السبت 26 شباط 2022
العدد 4571 السنة السادسة عشرة
Samedi 26 février 2022 nº 4571 16ème année

28 صفحة
5000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

رشا عزب
ذاكرة «مالحة»

اطلب القوس مع الأخبار

أوكرانيا وحيدةً
نريد التفاوض

[2 ـ 13]

على وقع استمرار القصف الروسي رفض الكرملين الحديث عن السقف الزمني المتوقّع للعملية (أ ف ب)

البلاد

بريد الأسرى

عن أجساد استراح الشقاء فيها
أسرانا المرضى... في «مسلخ الرملة»

[16]

عاصمة البلاد

مخطّط جديد لابتلاع جبل الزيتون
غيلان الاستيطان تطوّق البلدة القديمة

[17]

جبهات الصراع

40 عاماً على إضراب الجولان: ثابتون على الهوية

[18]

على الغلاف

الصدمة الروسية آتت مفعولها
أوكرانيا تعرض التفاوض

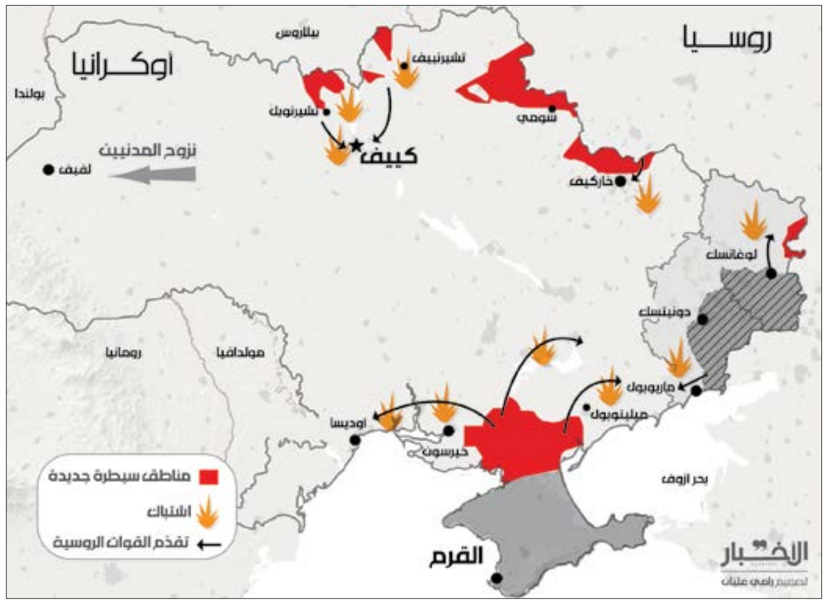

موسكو ـ أحمد الحاج علي

تسارعت، أمس، وتيرة التطوّرات على الجبهة الأوكرانية - الروسية، وسط غلبة واضحة وحاسمة لموسكو، دفعت الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي، الذي وجد نفسه وحيداً بعدما لمس تخاذلاً أميركياً - «أطلسياً» عن نصرته، إلى عرض التفاوض على روسيا، وهو ما أبدت الأخيرة تجاوباً أوّلياً معه،

> **لن يكون أمام زيلينسكي، على ما يبدو، سوى خيارين لا ثالث لهما**

وسط ترقّب لما يمكن أن تتطوّر إليه الأمور خلال الساعات المقبلة على هذا الصعيد. وجاء عرض التفاوض الأوكراني بعدما أعلن المسؤولون الغربيون، بصراحة، أنهم لن يقوموا بمدّ جسر دعم جوّي وبحري وبرّي عسكري لصالح كييف، أوّلاً لمحدودية القدرة على ذلك في ظلّ السيطرة الروسية الكاملة على الأجواء، وثانياً لما يمكن أن يجرّ إليه هكذا دعم من اشتباك مباشر مع موسكو، يعني بالضرورة فتح الباب على حرب شاملة لن تستثني أحداً.

وفي ظلّ هذا التململ الغربي، وانهيار الدفاعات الأوكرانية، لن يكون أمام زيلينسكي، على ما يبدو، سوى خيارين لا ثالث لهما: الأوّل قبول شروط الاستسلام الروسية وتسليم السلاح والبدء في مفاوضات تحييد أوكرانيا عن «الناتو»، أو ترك السلطة والتحوّل إلى حكومة منفى في إحدى الدول الغربية، التي قد تكون بريطانيا، في ظلّ عرض رئيس الوزراء البريطاني، بوريس جونسون، استضافته. وفي انتظار ما ستؤول إليه الأوضاع، يستمرّ الضغط الروسي في اتّجاه العاصمة الأوكرانية، كييف، التي باتت القوات الروسية أمس على مشارفها، حيث سيطرت على 83 موقعاً عسكرياً وعدد من الطائرات والمروحيات والمسيّرات والمدرّعات ومرابض المدفعية. وكانت قوّات «جمهوريتي» دونيتسك ولوغانسك تمكّنت، بدعم من سلاح الجوّ الروسي وبغطاء مدفعي روسي أيضاً، من اختراق الدفاعات الأوكرانية على طول الجبهة، وتوغّلت لـ8 كيلومترات في العمق الذي كانت تسيطر عليه السلطة الأوكرانية.

يظلّ الخطر النووي قائماً بالنظر إلى وجود 15 منشأة ومفاعل نووي على الأراضي الأوكرانية (أ ف ب)

كما تقدّمت القوات الروسية إلى مدينة خيرسون، وأعادت فتح القناة التي كانت تزوّد شبه الجزيرة بالمياه العذبة من سدّ خيرسون، ما يعني أن إعادة التواصل البرّي بين روسيا وشبه جزيرة القرم قد باتت ممكنة. وفي أعقاب سيطرة قوات مظلّية تابعة لموسكو على منشأة مفاعل تشيرنوبل النووية، جرى التفاهم مع القوات الأوكرانية المتواجدة هناك، والتي أبدت استعدادها للمحافظة على سلامة المنشأة وتسليم إدارتها للروس. إلّا أن الخطر النووي يظلّ قائماً، بالنظر إلى وجود 15 منشأة ومفاعل نووي على الأراضي الأوكرانية، معظمها قريب من كييف التي تشهد الآن معارك في شوارعها، بينما تسعى القوات الروسية للحفاظ على سلامة تلك المنشآت، لا سيما في ظلّ توافر معلومات حول وجود مجموعات من اليمينيين المتطرّفين وما يسمّى بـ«الفاشيين الجدد»، تسعى إلى تخريبها.

أيّ ردّ على العقوبات؟

أعلن المتحدث باسم الرئاسة الروسية، دميتري بيسكوف، أن موسكو ستردّ على العقوبات الغربية الجديدة وفق مبدأ «المعاملة بالمثل». وقال بيسكوف إن موسكو تدرس العقوبات الجديدة للردّ عليها بالمثل، والهدف من ذلك تحقيق المصالح الروسية الخاصة. بدورها، أكدت رئيسة مجلس الاتحاد الروسي، فالنتينا ماتفيينكو، أن بلادها استعدّت جيّداً للعقوبات المعلّنة، وجّهزت جميع الإجراءات الوقائية.

موسكو تتطلّع إلى ما بعد الحرب
نحو إحياء مشروع «نوفوروسيا»؟

موسكو ـ الأخبار

انقضى يوم إضافي من العملية الروسية الخاصة في أوكرانيا، على وقع التقدُّم الميداني والرسائل السياسية الخارجة من موسكو. الرئيس فلاديمير بوتين، أبدى خلال اتصال هاتفي مع نظيره الصيني، شي جين بينغ، بناءً على الإشارات الواردة من كييف، استعداده لإرسال وفد إلى مينسك لإجراء مفاوضات مع ممثلي أوكرانيا. ولفت الكرملين إلى أن بوتين أوضح أن «الغرض من العملية هو مساعدة الجيش في جمهوريتَي دونيتسك ولوغانسك الشعبيتَين، بما في ذلك من خلال نزع السلاح من أوكرانيا. وهذا، في الواقع، جزء لا يتجزّأ من الوضع المحايد». وبيّن أن الوفد الروسي سيضمّ ممثّلين عن وزارة الدفاع ووزارة الخارجية وإدارة الكرملين. كذلك، برزت دعوة الرئيس الروسي الجيش الأوكراني إلى أخذ زمام الأمور والسيطرة على السلطة، على اعتبار أن لدى روسيا فرصة أفضل للتفاهم مع الجيش.

في هذا الوقت، واصلت موسكو توضيح الأسباب التي دفعتها إلى بدء عمليتها؛ فالهدف «ليس احتلال الأراضي الأوكرانية»، إنّما «نزع السلاح من أوكرانيا» وفقاً لوزير الخارجية الروسي، سيرغي لافروف. وأكد لافروف أن «روسيا ستضمن نزع سلاح أوكرانيا»، مشيراً في ذلك إلى تهديد كييف بالحصول على أسلحة نووية والانضمام إلى حلف «الناتو». أمّا عن الخيارات المقبلة، فقال لافروف إن موسكو مستعدّة «لإجراء مباحثات فور تخلّي قوات كييف عن سلاحها». كما دافع بأن بلاده تعمل على «اجتثاث الطابع النازي من دوائرها الرئاسية»، داعياً «شعب أوكرانيا إلى أن يختار رئاسته بشكل ديموقراطي بعد تحرّر بلاده من النازية». بدوره، أوضح رئيس الاستخبارات الخارجية الروسي، سيرغي ناريشكين، أهداف العملية، مؤكداً أن روسيا أُجبرت على أن تدافع عن نفسها وعن حلفائها، مشدّداً على أنها «لم تكن لتسمح بأن تتحوّل أوكرانيا إلى خنجر في يد واشنطن». وجزم ناريشكين أن الهجوم «سيؤدي إلى استعادة السلام في أوكرانيا في وقت قصير، ومنع نشوب صراع عسكري محتمل على نطاق واسع في أوروبا».

برّت دعوة الرئيس الروسي الجيش الأوكراني الى أخذ زمام الامور والسيطرة على السلطة (أ ف ب)

أمّا على الصعيد العسكري، فواصل الجيش الروسي تحييد الأهداف العسكرية الأوكرانية. وعلى وقع استمرار القصف الروسي، رفض الكرملين الحديث عن السقف الزمني المتوقّع للعملية. ووصل الجيش الروسي، أمس، إلى حدود العاصمة الأوكرانية كييف، في حين يحاصر مدناً أخرى. ويظهر من طبيعة مجريات الميدان، وتحديداً بعد عملية الإنزال الناجحة في منطقة مطار غوستوميل في ضواحي كييف، أن الجيش الروسي يريد قطع أيّ اتصال للعاصمة مع الغرب الأوكراني، وهو ما أكدته وزارة الدفاع الروسية. ووفقاً للخبراء العسكريين الروس، فقد عمدت موسكو إلى تحييد سلاح الجوّ الأوكراني كلّياً، وهو

> **قال لافروف إن موسكو مستعدّة «لإجراء مباحثات فور تخلّي قوات كييف عن سلاحها»**

الحالي في دونباس، وهو ما يعادل نحو نصف إجمالي الإمكانات العسكرية الأوكرانية. ورأى لافروف أن سلاح الطيران سيبقى عنصراً مهمّاً للغاية، لأنه «حتى الآن، لا تزال إمكانات المقاومة لدى الجيش الأوكراني بعيدة عن أن تُستنفَد»، إذ «لم تُضعَف الضربات على مرافق البنية التحتية من الإمكانات القتالية للقوات البرّية التي لم تتكبّد خسائر كبيرة على عكس القوات الجوية وقوات الدفاع الجوي». ولفت إلى أن «الجيش الروسي يعمل على حسم المعركة سريعاً»، معتبراً أن «أهمّ مهمّة الآن هي أن يتجنّب الجيش الانجرار إلى معارك المدن لكلفتها الباهظة على القوات المهاجمة والمدافعة والمدنيين». وشدد على أنه «من أجل إنهاء الصراع بسرعة، من المهمّ كسر معنويات العدو»، إضافة إلى ضرورة أن تقتنع السلطات في كييف في أسرع وقت ممكن، بعدم «جدوى المقاومة والجلوس إلى طاولة المفاوضات». وفي السياق نفسه أيضاً، يبدو أن الجيش الروسي يضع في حساباته ضرب قدرات القوات الخاصة الأوكرانية التي أثبتت في أكثر من محطّة أنها تشكّل تهديداً خطيراً، خصوصاً في ظلّ احتمال تحوّل بعضها إلى مجموعات سرّية تعمل ضدّ الروس. أمّا عن المرحلة المقبلة من المعارك، فوفق المراقبين الروس، يمكن أن تعمل موسكو على إحياء مشروع «نوفوروسيا»، وهو مشروع اتحاد كونفيدرالي بين «جمهوريتَي» دونباس و5 مناطق أوكرانية بينها أوديسا. ويوضح الخبراء أن ذلك يعني أن يعمل الجيش الروسي على السيطرة على المنطقة الممتدّة من ماريوبول حتى أوديسا، وهذا ما يؤدّي مباشرة إلى عزل أوكرانيا عن بحرَي أزوف والأسود، بحيث تتحوّل إلى جيب برّي فقط. ويشير الخبراء إلى أن السيناريو المشار إليه سيُمكّن روسيا من الوصول إلى جمهورية مولدوفا بريدنيستروفيا، وهو ما يُعدّ بالتأكيد مغرياً لموسكو، كونه سيسمح بإغلاق الملفّ الأوكراني بشكل نهائي.

ابراهيم الأمين

الغضب الفالت والغضب العاقل

غضب في أميركا وأوروبا على روسيا بسبب عمليتها العسكرية ضد النظام الموالي للأميركيين في أوكرانيا. وللغضب الأميركي علامات ومظاهر. وهو يعكس طريقة التفكير، ويعكس القدرة وهامش الحركة أيضاً. في حالة الدول الضعيفة أو القوى غير الحكومية أو المجموعات الحزبية أو الأفراد، ينزل الغضب الأميركي ضربة قاتلة في لحظات. لا حاجة لأميركا إلى أن تسأل أو تستأذن أحداً، لا مجلس أمن ولا أمم متحدة ولا ناتو ولا قضاء ولا من يحزنون. وهي تفعل ذلك، لأن تقدير رد الفعل على غضبها يكون حاسماً في أن المقابل تحت السيطرة.

في حالات أخرى، يتمظهر الغضب الأميركي على شكل خطوات يصفها البعض بـ«المدروسة والعاقلة». وفي هذه الحالة، تكون أميركا نفسها، قد قدرت أن أي رد فعل على غضبها ستكون له أثمان تصيب مصالحها مباشرة، قبل أن تحسب حساب الحلفاء، في أي مكان من العالم. وفي هذه الحالة، تظهر «العقلانية» و«الحسابات» على شكل الإعلانات المتكررة عن الاتصالات والمشاورات الجارية مع «أركان المجتمع الحر».

طبعاً، لا يمكن للغضب الأميركي أن

> **يعلّمنا الدرس الأوكراني أن في الغرب عقلاً شريراً وانتهازياً وحاقداً، لكنه عقل يقيس الربح والخسارة**

يقتصر على الكلام فقط. هذا لو حصل يوماً ما، فسيكون بمقدور أهل المكسيك تجاوز الحدود والبدء باحتلال الولايات واحدة تلو أخرى. العقوبات الاقتصادية، والتشهير الجرمي بحق الخصوم، والحصار بكل أشكاله، والحملات الإعلامية، هي تحصيل حاصل في العقل العقابي الأميركي. لكن، عندما يقتصر الأمر على ذلك، فهذا يعني أن الضربة العسكرية غير متاحة... أقله في هذه اللحظة.

اليوم، نراقب مستوى من الغضب الأميركي (وتاليا الأوروبي) من النوع «العاقل والمحسوب». صحيح أن روسيا قالت بلسان رئيسها إنها مستعدة للأسوأ. إلا أن هذا الاستعداد ليس بالضرورة عنصراً كافياً للردع. بل هو في حدّه المنطقي إعلان الاستعداد للذهاب الى أبعد من المستوى القائم من الحرب الآن. وصحيح أيضاً أنه لا وجود في أوكرانيا لقوة قادرة على مواجهة الجيش الروسي. لكن الأهم هو أن الصنف «العاقل والمحسوب» من الغضب الأميركي يأخذ في الاعتبار أن توسع دائرة المواجهة قد يقود الى خسائر تتجاوز احتواء الروس للموقف الأوكراني أو إطاحة الحكم هناك. العقل والحساب الأميركي، هنا، ينظر بالضبط الى العناصر الواقعية التي جعلت فلاديمير بوتين يقرر إطلاق العملية العسكرية.

في هذا الإطار، من المفيد مراجعة ما سرّبته المصادر الأمنية والعسكرية والسياسية الأميركية طوال أسبوعين. هؤلاء الذين كانوا يجزمون بأن الحرب واقعة، ولم يكونوا يستندون فقط الى تعنت «زلمتهم» في كييف، ولا الى التحشيد العسكري الروسي على الحدود مع أوكرانيا، بل، أولاً وأخيراً، الى معطيات يملكها الأميركيون حول بروز عناصر جديدة تتيح لبوتين السير في الخيار العسكري.

وعلى قياس الموقف الأميركي، لنأخذ كل المواقف التي صدرت وتصدر عن أطراف حلف الناتو، وعن العواصم الغربية وعن المنظمات والهيئات بكل أصنافها، وخصوصاً غير الحكومية، حيث تباشر ماكينة جورج سوروس تحصيل الفواتير من كل الذين موّلهم خلال ثلاثة عقود، لأنه يخشى على النموذج الذي عمل على إنتاجه طوال عقود طويلة، وظن أنه بات راسخاً لا تهزه عاصفة ولا موقف، ولا يقدر أحد على إطاحته»... وكل هؤلاء يرفعون الصوت، ولن لا يريد أن يتعب نفسه في البحث، يكفي أن يعود الى أرشيف ثوار سوريا وليبيا من الذين انتهى بهم المطاف الى حيث ما نسمعه اليوم من «الدمية» زيلينسكي، الذي يصرخ في البرية: ها أنا متروك وحدي... والعالم الحرّ يتركني فريسة الدب الأكبر!

لنقل إن زيلينسكي كان يراهن على أن الغرب سيردع روسيا ويمنعها من شن الحرب. هذا كل ما كان يقدر على قياسه، لأنه يعرف أن واقع بلاده العسكري والأمني والسياسي والجغرافي والاقتصادي لا يمكنه من مواجهة الروس. وهو يعرف أن في بلاده أكثرية لا ترغب به، حتى ولو كانت هذه الأغلبية لا تريد لروسيا أن تعود الى حكم أوكرانيا. لكن الرجل يستمد قوته من النفوذ والدعم الغربيين. وهو كان يأمل أن يشتمل هذا الدعم على توفير درع حماية عسكري يقيه شر القتال، وعندما بدأ يسمع أزيز الرصاص، توهم أن الجيوش الغربية بدأت الزحف لنجدته، وعندما اكتشف فجأة أنه موهوم أو مخدوع، صار يرفع الصوت صارخاً في وجه الغرب، ويرفع الصوت مستجدياً حواراً مع روسيا علّه يبقى في الحكم ولو مع تنازلات.

عملياً، يعلّمنا الدرس الأوكراني أن الغرب فيه عقل. عقل شرير انتهازي حاقد، لكنه ليس عقلاً جاهلاً، بل عقل يقيس الربح والخسارة. وفي حالتنا هذه، يجد الغرب نفسه أنه أمام خيارات ضيقة جداً. فالغضب المطلق يدخله في مجهول ليس معروفاً منه سوى الموت والدمار. أما الغضب العاقل والمحسوب، فيتيح له اللعب على التناقضات، علّه يحدّ من خسائره، ويتعلم من أجل المواجهة المقبلة.

السؤال المهم اليوم: كيف تيقّن بوتين من عجز الغرب عن التورط في مواجهة شاملة؟ وهل هو خيار مفتوح أم يقف عند حدود كييف؟ وهل يذهب بوتين الى أبعد مما يمنع عودة الغرب الى الغضب المطلق؟ تلك مسألة ساعات أو أيام لا أكثر.

على الغلاف

الغرب يتمخّض فيَلد عقوبات: حتى لا يُقطع «خطّ الرجعة» مع روسيا

توافقَ ضمني وعلني بين الولايات المتحدة و«حلف شمال الأطلسي» والاتحاد الأوروبي، على مواصلة سياسة فرض العقوبات على روسيا، برفقة التهويل العسكري، عبر نشر المزيد من القوات في الدول التابعة لـ«الحلف»، على ما أعلنه أمينه العام، ينس ستولتنبرغ، مساء أمس. وفي الوقت الذي اتّفق فيه وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي على وضع الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، ووزير خارجيّته، سيرغي لافروف، على لائحة العقوبات، أعلن ستولتنبرغ أن «حلف شمال الأطلسي» نشر عناصر من قوة الرد لديه تحسّباً لأيّ

> «فورين بوليسي»: تناقش واشنطن خططاً لدعم المقاومة الأوكرانية المسلّحة

احتمال. وقال إن القوات التي جرى نشرها «تشمل 100 طائرة مقاتلة و120 سفينة، بينها مجموعات قتالية وحاملات طائرات». وإذ اعتبر أن «روسيا تقوم بغزو شامل لأوكرانيا باستخدام كلّ القدرات العسكرية»، فقد أشار إلى أن «هدفها هو إزالة الحكومة المنتخبة».

وتترافق تصريحات ستولتنبرغ مع التقييم الذي قدّمته وزارة الدفاع الأميركية، أول من أمس، للمراحل الأولى من الغزو الروسي. إذ أفادت صحيفة «نيويورك تايمز»، نقلاً عن «البنتاغون»، بأن «القوات العسكرية الروسية تتحرك لقطع رأس الحكومة الأوكرانية في كييف». وقال مسؤول دفاعي كبير إن ثلاثة صفوف من القوات العسكرية الروسية تتحرك بسرعة نحو المدن الأوكرانية، وقد توجّه اثنان منها نحو العاصمة كييف، حيث مقرّ حكومة الرئيس فولوديمير زيلينسكي. ولفت المسؤول إلى أن «هذه القوات تشقّ طريقها باتجاه كييف من بيلاروسيا في الشمال، وشبه جزيرة القرم في الجنوب»، مستخدمة الصواريخ والمدفعية البعيدة المدى. وأضاف للصحافيين: «تقييمنا هو أن لديهم كلّ النية لقطع رأس الحكومة، وإقامة أسلوبهم الخاص في الحكم». من جهته، رأى الأمين العامّ لـ«الأطلسي»، أن «التهديد قد يتجاوز أوكرانيا»، معتبراً أن «روسيا تتحدّى أعراف الأمن في أوروبا، وقد تهدّد نصف أعضاء الحلف». ومن هذا المنطلق، نبّه إلى أن «الأزمة في أوروبا قد تكون أخطر، إذا هدّدت روسيا أيّ بلد عضو في الناتو أو هاجمته».

وفي استرسال في سياسة التهويل بالدعم العسكري للجوار، أعلن رئيس الوزراء الإيطالي، ماريو دراغي، أن بلاده مستعدّة لنشر 3400 عسكري إضافي في الدول الأعضاء في «الأطلسي». وقال، في مداخلة أمام مجلس النواب، إن هذه القوات ستنتشر «في المنطقة الخاضعة لمسؤولية الحلف». كذلك، أعلن دراغي تخصيص 110 ملايين يورو كمساعدات لأوكرانيا، خدمة «لغايات إنسانية ولغرض استقرار الوضع المالي»، فضلاً عن مساعدات عبارة عن عتاد عسكري «يتعلّق خصوصاً بنزع الألغام ولوازم للوقاية».

وعلى المستوى السياسي، جاءت كلّ هذه التطوّرات غداة طرح القمّة الأوروبية الاستثنائية في بروكسل حزمة عقوبات على المسؤولين الروس، الأمر الذي أبدت كلّ من ألمانيا وإيطاليا تحفّظات عليه، بينما دعمه عدد كبير من القادة الأوروبيين، بحسب ما أفاد به مسؤولان. وفي إطار العقوبات التي جرت المصادقة عليها، تمّ الاتفاق على إلغاء الأوروبيين إمكانية السفر بدون تأشيرات دخول لحاملي جوازَ السفر الروسي. وغداة هذه القمّة، سعى أعضاء الاتحاد إلى إظهار نوع من الوحدة، عبر إعلان وزيرة الخارجية الألمانية، أنالينا بربوك، أمس، في بروكسل، أن الكتلة الأوروبية «ستفرض عقوبات قاسية» على بوتين ولافروف، لمسؤوليتهما في غزو أوكرانيا. ولدى وصولها لحضور اجتماع لوزراء خارجية الدول الـ 27 للموافقة على حزمة العقوبات، قالت: «المهم اليوم أنّ الاتحاد الأوروبي سيعاقب بشدّة بوتين ولافروف المسؤولَين عن هذا الوضع». وأضافت: «نضرب نظام بوتين حيث يجب ضربه، ليس فقط اقتصادياً ومالياً، ولكن أيضاً في صميم سلطته». وعلى المستوى ذاته، قال وزير خارجية الاتحاد الأوروبي، جوزيب بوريل، إنّ إعلان الوزيرة الألمانية «يعني أن برلين موافقة على معاقبة الرئيس الروسي ووزير خارجيته». وأضاف إن «هذا الاقتراح يُبحث خلال القمة الأوروبية أول من أمس، لكن لم يكن هناك إجماع واضح». وبعد كلّ هذا الأخذ والرد، أعلن المفوّض الأوروبي للسياسة الخارجية، أنّ العقوبات ستشمل كلّ من يتعاون مع روسيا من بيلاروسيا. وسيجري تجميد أصول بوتين ولافروف، إضافة إلى مسؤولين عسكريين. وقال: «سنمنع وصول روسيا ورؤوس الأموال الروسية إلى أسواق المال الأوروبية». على المستوى الأميركي، أفادت صحيفة «واشنطن بوست» بأن وزير الدفاع، لويد أوستن، أبلغ المشرّعين، أول من أمس، أن إدارة الرئيس جو بايدن تدرس سبُل تزويد أوكرانيا بمزيد من المعدّات الدفاعية، والطرق التي يمكنها من خلالها مواصلة تدريب الجنود الأوكرانيين خارج أوكرانيا، حتى لو سقطت الحكومة في كييف.

جاء ذلك في وقت ذكرت فيه مجلّة «فورين بوليسي» أن واشنطن تناقش خططاً لدعم المقاومة الأوكرانية المسلّحة، الأمر الذي يؤكّد المخاوف الأميركية من أن الجيش الأوكراني قد ينهار، في ظلّ هجوم من عشرات الآلاف من الجنود الروس. ولكن، بحسب مسؤولين ومساعدين في الكونغرس، فقد احتدم النقاش في داخل الإدارة بهذا الشأن، إذ أعرب بعض المسؤولين عن حذرهم من أن تسليح المقاومة الأوكرانية خلال حرب نشطة، يمكن أن يجعل الولايات المتحدة، من الناحية القانونية، متعاونة في حرب أوسع مع روسيا، ويصعّد التوتّرات بين القوّتين النوويتين. فضلاً عن ذلك، يعتقد بعض المساعدين في «الكابيتول»، بأنه يجب على بايدن أن يسعى للحصول على موافقة من الكونغرس، قبل إرسال أسلحة ومساعدات عسكرية أخرى إلى القوات الأوكرانية. وإذ أفاد بعض المسؤولين بأن مجلس الأمن القومي لا يستبعد خطط وزارة الدفاع الأميركية لتسليح الأوكرانيين، فقد أشاروا إلى أنه يطرح أسئلة بشأن كيف ومتى سيتمّ تسليم المساعدة، وما هي الصلاحيات القانونية التي يمكن لواشنطن استخدامها للقيام بهذه المهمّة، ولماذا قد يحتاج الأوكرانيون إلى الأسلحة. وإلى الآن، قدّمت إدارة بايدن أكثر من 600 مليون دولار كمساعدات عسكرية دفاعية لأوكرانيا، منذ أن بدأت روسيا بالتعزيزات العسكرية، في عام 2021. أميركياً أيضاً، اعتبر وزير الخارجية، أنطوني بلينكن، أن الرئيس الروسي وضع نصب عينيه دولاً أخرى، بالإضافة إلى أوكرانيا. وفي حديث إلى شبكة «سي بي إس»، قال: «لستُ بحاجة إلى معلومات استخبارية لتخبرك» بأن إنشاء اتحاد سوفياتي جديد، هو «بالضبط» ما يريده بوتين، مضيفاً: «لقد أوضح أنّه يودّ إعادة تشكيل الإمبراطورية السوفياتية». وأشار الوزير الأميركي إلى أن بوتين «بخلاف ذلك، يرغب في إعادة تأكيد مجال نفوذه حول البلدان المجاورة، التي كانت ذات يوم جزءاً من الكتلة السوفياتية».

(الأخبار)

أشار ستولتنبرغ إلى أن روسيا «هدفها هو إزالة الحكومة المنتخبة» (أ ف ب)

مهزلة الكونغرس: فَلْنطرد روسيا من مجلس الأمن

أفاد موقع "أكسيوس"، أمس، بتداوُل قرار بين أعضاء مجلس النواب الأميركي من كلا الحزبين، يدعو إلى طرد روسيا من مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، بسبب غزوها أوكرانيا، الأمر الذي لا يملك أيّ فرصة للنجاح. ويأتي هذا التطوُّر، في الوقت الذي يحاول فيه الكونغرس الداخل في إجازة حالياً، إبراز دور له في معاقبة روسيا، بعدما كان يتغاضى عن تمرير حزمة من العقوبات قُبيل الغزو. ووفق "أكسيوس"، يدعو القرار الأمم المتحدة إلى "اتخاذ إجراءات مباشرة وفورية" لتعديل المادة 23 من ميثاقها، لإزالة روسيا من العضوية الدائمة في مجلس الأمن. ويجادل بأن "غزو روسيا لأوكرانيا، ودعمها الجمهوريات الانفصالية يشكّلان تهديداً مباشراً للسلم والأمن الدوليين"، و"يتعارضان مع مسؤولياتها والتزاماتها، كعضو دائم في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة". إلّا أن المثير للسخرية، أن ميثاق الأمم المتحدة، يوجب على جميع الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن التوقيع على أيّ تعديلات، ممّا يمنح روسيا القدرة على منع مثل هذه الخطوة. وممّا يتسبّب بمزيد من الصداع للغرب، وللأعضاء "المتحمّسين" في مجلس النواب الأميركي، هو أن سفير روسيا لدى الأمم المتحدة، فاسيلي نابينزيا، يتولّى منصب رئيس الدورة الحالية للمجلس، بالتناوب هذا الشهر. كما كان يترأس اجتماعاً طارئاً، في اللحظة التي أعلن فيها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بدء العملية العسكرية ضدّ أوكرانيا.

(الأخبار)

«الهريبة» الأوكرانية من الموت: لا تضحية من أجل ثلّة فاسدين

حسين إبراهيم

في الوقت الذي كان فيه العالم مشغولاً بتحليل الحساب التاريخي الذي شنّ فلاديمير بوتين الحرب في أوكرانيا على أساسه، سقطت قراءة الجانب الأوكراني من الصورة، من زاوية الوهن الذي أصاب الجيش وبنية الدولة الأوكرانية التي كان يُفترض أن تكون قد ورثت جزءاً من

> سير المعركة حتى الآن يفضح لَعِب النخبة الأوكرانية على الشعور القومي الذي صار بازاراً للتجارة

القوّة العسكرية السوفياتية، وهي القوّة ذاتها التي استندت إليها روسيا، وأعادت بناء جيشها الذي بدا في اليوم الأول للحرب رشيق الحركة، كما لو أن جنوده يؤدّون رقصة باليه جماعية وهم ينتقلون من منشأة حيوية إلى أخرى، تحت تغطية نارية بدت هي الأخرى دقيقة ومتناسقة، بشكل لم نشهده، نوعاً على الأقلّ، لدى الجيوش الغربية، وتحديداً الجيش الأميركي، آخر حرب كبرى تصحّ مقارنتها مع حرب أوكرانيا، هي حرب إسقاط صدام حسين، باعتبار أن حروب يوغوسلافيا التي قورنت بها أوروبياً، هي في معظم جوانبها حروب عرقية وطائفية، أي أهلية، أو حملات جوية غربية. فجيش صدام حسين، على رغم أن نظام «البعث» كان متهالكاً ومعزولاً وساقطاً نظرياً، ما أفقد جنوده الحافزية للقتال، قاوم وصمد أكثر بكثير ممّا يفعل الجيش الأوكراني حالياً، ولم يسقط إلّا بعد وصول القوات الغازية إلى تخوم بغداد، وبعدما اختار القائد الهرب من ميدان القتال على أمل أن يقود مقاومة من مخبأ ما في تكريت، لولا أن وشى به بعض أقرب المقرّبين إليه. وحتى بعد ذلك، انتقلت قيادة المقاومة «البعثية» إلى نائبه عزّت إبراهيم الدوري. وفي المحصّلة، دامت العمليات القتالية الرئيسية في تلك الحرب نحو 26 يوماً، بينما يبدو أن كييف التي وصل الروس إلى تخومها بعد ساعات من بدء الحرب، ستسقط بمجرد أن يأخذ بوتين قرار إطاحة نظام فولوديمير زيلينسكي.

سير المعركة حتى الآن يفضح لَعِب النخبة الأوكرانية على الشعور القومي، الذي كان الرهان عليه لإذكاء روح المقاومة، فإذا بها تتحوّل إلى بازار للتجارة يُستخدم عالمياً وأوكرانياً لغرض تمدّد حلف «الناتو» والاتحاد الأوروبي إلى حدود روسيا بهدف تطويقها، مقابل مكاسب سياسية ومادية لفاسدي أوكرانيا. والأهمّ من ذلك أن ما حدث يوجّه ضربة قاصمة، نظراً الى حجم أوكرانيا، إلى سياسة استغلال غالبية أوكرانيا للدول الأوروبية الشرقية والجمهوريات السوفياتية السابقة من قِبَل «الناتو» لإخضاع روسيا، وهي سياسة مثّلت حرباً خفيّة كان قد بدأها الغرب مباشرة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، على اعتبار أن إسقاط ما عُرف بالكتلة الشرقية لن يصبح ناجزاً إلّا بتحقيق هذا الهدف. لم يكن المراقب بحاجة إلى كثير عناء ليلحظ الانهيار المعنوي لدى الأوكرانيين، والذي تراكم قبل الهجوم، ليتحوّل إلى هزيمة نفسية مُحقّقة لحظة بدء الحرب، خاصة وهم يشاهدون الحلفاء في أميركا وأوروبا يتنافسون على تخيين الساعة الصفر للهجوم الروسي، مشفوعاً بالإعلان سلفاً عن عدم الرغبة بالدخول في أيّ حرب مع موسكو، والتأكيد على عدم القدرة على مقاطعة النفط الروسي، في ظلّ ارتفاعات في أسعار الوقود قد تأخذ العالم إلى ركود جديد وتطيح حكومات في العالم الغربي. بالنتيجة، سلّم الغرب مبكراً بالهزيمة، وشجّع الأوكرانيين على خيار «الهريبة».

سلّم الغرب مبكراً بالهزيمة، وشجّع الأوكرانيين على خيار «الهريبة» (أ ف ب)

زد على ذلك، أن رئيس الوزراء «القومي المتشدّد»، زيلينسكي، وعندما لم يلبِّ أحد من الأوكرانيين دعوته إلى حمل السلاح والمقاومة، أقام حفلة نواح على نفسه وعائلته، عندما تحدّث عن أن موسكو عيّنته الهدف الرقم 1 لهجومها، وعائلته الهدف الرقم 2، مُقدّماً أمنه الشخصي وأمن عائلته على أمن البلد، ما استدعى عروضاً غربية عليه للجوء السياسي، لا تنسحب على الأرجح على مواطنيه العاديين الذين تدفّقوا بقوافل السيارات إلى الحدود الأوروبية من الجهة الأخرى، نحو بولندا ورومانيا ومولدوفا وسلوفاكيا والمجر، والتي سبق أن أوصت أبوابها أمام الفارّين من الحروب في الشرق الأوسط، أو المجاعات في أفريقيا. أمّا لماذا غابت روح المقاومة في هذا الحدّ؟ فالجواب الأكثر أن لا أحد من الأوكرانيين، ولا حتى في القوات النظامية، يرغب في الموت من أجل مجموعة من الفاسدين الذين ارتبطت مصالحهم بالغرب، حتى لو جاء هؤلاء في انتخابات ديموقراطية سبقها الغرب بدعاية طاغية تغري الأوكرانيين بنعيم الانضمام إلى «الناتو» والاتحاد الأوروبي، وهي دعاية خبيثة أخفت الأهداف الحقيقية من وراء العرض السخي، والأهمّ أنها تكتّمت على مكامن التفجير التي ينطوي عليها هذا الانضمام، وخاصة أن أجزاء أساسية من البلد عبارة عن هدايا سوفياتية كان قد قدّمها الزعماء السوفيات المتعاقبون لأوكرانيا، إرضاءً للقوميين، ما يجعله فعلياً يوغوسلافيا مقلوبة، وهو ما لا يمكن للواهب، أي موسكو، أن تقبل به، ليُستخدم ضدّها.

أوكرانيا، بحسب استطلاع للخبراء أجرته شركة «إرنست إند يونغ» عام 2017، تُعدّ تاسع أكثر الدول فساداً في العالم. وهذا الفساد هو ما أتاح للولايات المتحدة وبريطانيا استخدامها ضدّ روسيا، فحتى خطّ الأنابيب الذي ينقل الغاز الروسي إلى ألمانيا وباقي أوروبا عبر أوكرانيا، والذي كان يُفترض أن تتعامل معه كبيت كهبة من السماء، نظراً إلى فائدته الاقتصادية التي تتمنّاها دول كثيرة، حوّله فاسدو ذلك البلد إلى مصدر لابتزاز روسيا وألمانيا معاً، وجعلوه نهباً للصوص الذين كانوا يسرقون جزءاً من تلك الإمدادات، ما حدا بالأخيرتين إلى استبداله بخطّ أنابيب «السيل الشمالي 2» الذي اضطرّت ألمانيا من دون اقتناع، وتحت ضغط أميركي، إلى التخلّي عنه مؤقّتاً. كان يمكن لفاسدي أوكرانيا، أيضاً، إسقاط جو بايدن في الانتخابات الرئاسية عام 2020، لولا أن الأسباب التي دفعت بالأميركيين إلى التخلّص من دونالد ترامب، كانت أكبر. لكن ما فشل فيه الرئيس السابق حين حاول استغلال شبهة تورُّط هانتر بايدن، نجل بايدن، في قضية فساد أوكرانية، قد ينجح فيه إذا ما تنافس الرجلان في الانتخابات المقبلة عام 2024، فهو يملك هذه المرّة ذخيرة أكبر بدأ باستغلالها منذ الآن، حين أشاد باعتراف بوتين باستقلال الدونباس، واصفاً ذلك بأنه عمل «عبقري»، لكنه رأى أن هذه الأزمة ما كانت لتحدُث أبداً في ظلّ إدارته الجمهورية. لقد بدا جو «نعسانًا» بالفعل في تعامله مع حرب أوكرانيا.

كيف أثّر المناخ على توقيت دخول أوكرانيا؟

فيصل عادل

«إن الوقت والطقس هما كل شيء»، بهذه الكلمات أشار الباحث البريطاني، جيمس شير، في مقالته «شائعات الحرب: مفاجأة روسية أخرى في أوكرانيا؟»، التي نشرها «المركز الدولي للدفاع والأمن»، إلى أن شهر شباط هو شهر الحسم في مصير الأزمة الأوكرانية. أكد شير مرة أخرى على التوقيت، في كلمة أمام لجنة الدفاع في مجلس العموم البريطاني، داعياً الدبلوماسيين الغربيين إلى إبقاء النقاش مع نظرائهم الروس، مستمراً لمدة خمسة أو ستة أسابيع مقبلة، حتى قدوم الربيع من أجل إفشال خطط الدخول الروسي إلى أوكرانيا.

يذكر الصحافي البريطاني، تيم مارشال، في كتابه «سجناء الجغرافيا: عشر خرائط تفسّر كل شيء يتعلّق بالعالم»، مدى تأثير الجغرافيا والطقس على الحروب. يقول مارشال إنه «بعد أسابيع قليلة من أحداث الحادي عشر من سبتمبر، شنّت النغانثات الأميركية غاراتها على مواقع القاعدة والطالبان. كان القادة الأميركيون يستعدّون لفتح الطريق، في يسر وسهولة كما تصوروا، إلى العاصمة كابول، وفجأة كان للجغرافيا منطق آخر مغاير تماماً». يتابع قائلاً: «هيّت أسوأ عاصفة رملية خبرْتها في حياتي. وتحوّل كل شيء إلى لون المستردة الأصفر. ساعتها لم يعد بوسعك أن ترى بأكثر من بضع ياردات إلى الأمام، الشيء الوحيد الواضح كان القمر الاصطناعي الأميركي، الذي أصبح كفيفاً وعاجزاً في غمار هذا المناخ الجديد، وكل الأفراد ابتداءً من الرئيس بوش إلى رئيس الأركان الأميركي إلى سائر القوات على الأرض لم يكن أمامهم من خيار سوى الانتظار، بعدها بدأ هطول الأمطار. كانت الرمال قد تحوّلت إلى عجائن من طين، ومرة أخرى أصبح واضحاً ضرورة التوقّف والانتظار ريثما تقول الجغرافيا كلمتها».

لذا، حين أشار شير في مقالة إلى ضرورة المماطلة مع الروس وتعطيلهم، حتى الربيع، كان ذلك لأسباب عدة: ففي شهر شباط، تتجمّد الأراضي في أوكرانيا، وتحديداً «مستنقعات بينسك» التي تتحوّل من أرض موحلة إلى أرض مسطحة، بالإضافة إلى مساحتها التي تقرب من 100 ألف ميل مربع، ثلوج شباط تعدّ ظروفاً مواتية للقوات الروسية ومعداتها للتقدم. لكن في الربيع، يذوب الثلج وتتحوّل الأرض إلى مستنقعات، ما يجعل من الصعب على القوات والمعدات العسكرية الروسية التقدّم في أوكرانيا. يحيل شير إلى مقالة للمحلل كيريل ميخائيلوف: «من غير الملائم للغاية تنفيذ عمليات هجومية في الربيع (...) لأن ذوبان الجليد يحوّل الأودية إلى جداول، والجداول إلى أنهار، فإذا نُفذت عملية (عسكرية)، يجب تنفيذها إما في كانون الثاني أو شباط» وهو ما حدث.

كان الانتشار العسكري الروسي في إقليم دونباس أمراً مفروغاً منه بحسب أغلب المحللين، فلن تجد القوات الروسية المتقدمة معارضة تذكر. وبحسب الصحافيين روب ميلن، وولارس كراكلس، في مقالتهما المنشورة في «واشنطن بوست» بعنوان «الأراضي الرطبة والتربة المشعة: كيف يمكن أن تؤثر جغرافية أوكرانيا على الغزو الروسي»، فإن تقدم الروس نحو مدينة خاركيف، ثاني أكبر مدينة في أوكرانيا، من حيث عدد السكان، كان هدفاً سريعاً. وأرسلت روسيا بالتزامن مع حشد القوات على الحدود مع أوكرانيا، أكثر من 10 كتائب تكتيكية إلى بيلاروسيا، لتكون على مقربة من العاصمة الأوكرانية كييف بنحو 56 ميلاً فقط. لكن الطريق لم يكن معبداً أمامهم، فالطريق المباشر يمرّ عبر موقع الكارثة النووية في تشيرنوبيل، لذا كانت ضرورية السيطرة منذ اليوم الأول على الموقع، لكن لشدّة خطورته كان لزاماً على موسكو وكييف نقل القتال بعيداً عنه، الأمر الذي يفسر إعلان الجيش الروسي تعاونه مع نظيره الأوكراني في حماية الموقع.

وتعدّ المدن على نهر الدنيبر الذي يقسم أوكرانيا شرقاً وغرباً، هدفاً سهلاً، لكن تكرار تدمير القائد السوفياتي، جوزيف ستالين، للسد الكبير في مدينة زابوريزهزهيا، لجعل النهر أكثر صعوبة على القوات الألمانية لعبوره خلال الحرب العالمية الثانية ـ ما أسفر عن مقتل المدنيين وإغراق البلدات في هذه العملية ـ يظلّ وارداً جداً لإبطاء التقدم الروسي، بحسب جوزيف جونيرو، المحلل في معهد «مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية»، لذا تظهر العمليات العسكرية الروسية تركيزاً على الجانب الشرقي من أوكرانيا.

الروس أكثر علماً بالأراضي الأوكرانية من غيرهم، بحسب ألكسندر دوجين، المفكر الروسي، فهي «خاصرة» الإمبراطورية الروسية بحكم الجغرافيا. وفي خلال السنوات الـ 500 الماضية، تعرضت روسيا للهجوم عدة مرات من الغرب: جاء البولنديون عبر الساحة الأوروبية في عام 1605، أعقبهم السويديون بقيادة تشارلز الثاني عشر في عام 1707، والفرنسيون بقيادة نابوليون في عام 1812، والألمان مرتين في كلتا الحربين العالميتّين عامَي 1914 و1941، وقد كانت كل تلك المحاولات تمر عبر نقطة الضعف الجغرافية الوحيدة لروسيا، وهي الأراضي الأوكرانية.

على الغلاف

وجوه الحرب

في خضمّ العملية العسكرية الروسية ضدّ أوكرانيا، تبرز وجوه وشخصيات تحتلّ مواقع متقدّمة في سياق الحرب ومجرياتها.

ولعلّ نظرة مقارنة على سَير هذه الشخصيات تبدو كفيلة بإيضاح عُمق الفوارق بين الطرفَين، وتفسير الاختلال السريع والكبير في موازين القوى على الأرض. في ما يلي لمحات سريعة عن تلك السِّير، بدءاً من رئيس الجمهورية، مروراً بوزير الدفاع، وصولاً إلى رئيس الأركان

فلاديمير فلاديميروفيتش بوتين

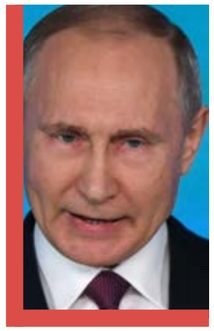

هو الاسم الكامل للرئيس الروسي، الذي تشخص إليه أنظار العالم بأسره اليوم. رجل روسيا الأول، سياسيّ من الطراز الرفيع، استطاع أن يعيد بلاده إلى واجهة السياسة الدولية، بعد مرحلة انهيار الاتحاد السوفياتي. الرجل الذي جمع في حياته بين السياسة والأمن، شحذت شخصيتَه سنواتٌ طويلة من العمل في الاستخبارات السوفياتية، قبل انتقاله إلى عالم السياسة. خرج بوتين من رحم عائلة عملت في المجال العسكري في الاتحاد السوفياتي، حيث كانت أمه عاملةً في مصنع، فيما خدم والده على متن غواصة في ثلاثينيات القرن الماضي، قبل أن يخدم على الجبهة الغربية خلال الحرب العالمية الثانية ويتعرّض للإصابة. لم يشذّ الرئيس المستقبلي لروسيا عن نهج عائلته، فبعد إنهائه دراسة القانون في جامعة لينينغراد في العام 1975، انضمّ إلى جهاز الاستخبارات السوفياتي، وتدرّج فيه حتى أُرسل في العام 1985 إلى مدينة دريسدن الألمانية في مهمة استخباراتية. مع انهيار الاتحاد، استقال بوتين من الـ«كي جي بي» وانتقل إلى السلك السياسي. فتولّى أولاً منصب مستشار عمدة مدينة لينينغراد لشؤون السياسة الخارجية. ثمّ في العام 1991، أصبح مدير جمعية العلاقات الخارجية في مكتب العمدة، قبل أن يتولّى منصب نائب رئيس حكومة سان بطرسبرغ في العام 1994. بعدها بعامين، دخل دائرة الحكم في موسكو، عندما عيّنه الرئيس الروسي، بوريس يلتسين، نائباً لمدير الموظفين الرئاسيين، وكانت تلك الفرصة التي انتظرها بوتين كي يشقّ طريقه نحو الكرملين بخُطى ثابتة. في العام 1998، وبعد أن أثار بوتين الإعجاب داخل أروقة الكرملين، عيّنه يلتسين على رأس جهاز الاستخبارات الروسية، لكن لم يلبث أن أصبح رئيساً للوزراء في العام اللاحق. اجتياح مقاتلي الشيشان لجمهورية داغستان في منطقة القوقاز شكّل أوّل علامة فارقة في مسيرة بوتين الرئاسية، حيث نجح في بناء صورته أمام الرأي العام الروسي، مقدّماً نفسه كحافظ لأمن روسيا ومحارب للحركات الانفصالية. وبعد أن أتمّ مهمته بنجاح على رأس الحكومة، ترشّح للانتخابات الرئاسية وفاز في آذار من العام 2000، ليجلس على عرش الكرملين للمرة الأولى، ويفتح صفحة جديدة من تاريخ روسيا، التي بفضله عادت لاعباً رئيساً في القارة الأوروبية.

فاليري فاسيليفيتش غيراسيموف

هو جنرال في الجيش الروسي والرئيس الحالي لهيئة الأركان العامة للقوات المسلحة للاتحاد الروسي، والنائب الأول لوزير الدفاع. عيّنه في منصبه الرئيس فلاديمير بوتين في 9 تشرين الثاني عام 2012. يوصف غيراسيموف بـ«الخبير الاستراتيجي» الذي يقال إنه أسّس لما سُمّي بـ«عقيدة غيراسيموف»، التي تجمع بين التكتيكات العسكرية والتكنولوجية والمعلوماتية والديبلوماسية والاقتصادية والثقافية، وغيرها من التكتيكات، لغرض تحقيق الأهداف الاستراتيجية. ولد في مدينة كازان، عاصمة جمهورية تاتارستان الروسية، وتخرّج من مدرسة كازان سوفوروف العسكرية (1971-1973)، ثمّ مدرسة قيادة الدبابات العليا في كازان (1973-1977)، وأكاديمية مالينوفسكي للقوات المدرّعة العسكرية (1984-1987)، ولاحقاً من أكاديمية هيئة الأركان العامة للقوات المسلحة الروسية (1995-1997). بين عامَي 1993 و1995، كان قائد الفرقة 144 مشاة في منطقة بحر البلطيق العسكرية، ثمّ مجموعة قوات الشمال الغربي. بعد تخرّجه من أكاديمية الأركان العامة، كان النائب الأوّل لقائد الجيش في منطقة موسكو العسكرية، وقائداً للجيش الثامن والخمسين في منطقة شمال القوقاز العسكرية خلال حرب الشيشان الثانية. عام 2006، أصبح قائد منطقة لينينغراد العسكرية، وانتقل ليكون قائد منطقة موسكو العسكرية عام 2009، ثمّ قائد المنطقة العسكرية المركزية في نيسان عام 2012. وفي 23 كانون الأول 2010، أصبح نائب رئيس هيئة الأركان العامة للقوات المسلّحة الروسية. يتّهمه الأوكران بأنه المشرف المباشر على «معركة إيلوفايسك» عام 2014، التي هُزمت فيها قوات الدفاع الشعبي في لوغانسك ودونيتسك القوات الأوكرانية التي خسرت فيها 1000 جندي. في نيسان عام 2014، فرض الاتحاد الأوروبي عقوبات على غيراسيموف بحجّة «تقويض وتهديد سلامة أراضي أوكرانيا وسيادتها واستقلالها». وبعدها بأشهر، أضافت كلّ من كندا وليختنشتاين وسويسرا وأستراليا، غيراسيموف إلى قوائم عقوباتها بذريعة التدخّل الروسي في أوكرانيا.

سيرجي كوزوجيتوفيتش شويغو

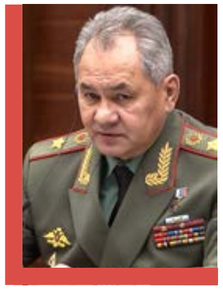

سياسي روسي وجنرال في الجيش الروسي، يشغل منصب وزير الدفاع في الاتحاد الروسي ورئيس مجلس وزراء الدفاع في «رابطة الدول المستقلة» منذ عام 2012. شغل منصب وزير «حالات الطوارئ» بين عامَي 1991 و2012، وشغل لفترة وجيزة حاكماً لمنطقة أوبلاست موسكو عام 2012. درس الهندسة المدنية، وبعد تخرّجه عام 1977 عمل في مشاريع البناء على الصعيد الوطني. عام 1988، أصبح شويغو موظفاً ثانوياً في فرع «أباكان» للحزب الشيوعي السوفياتي، ثمّ في «كومسومول» لبضع سنوات. عام 1990، انتقل شويغو إلى موسكو من سيبيريا، وعُيّن نائباً لرئيس لجنة الدولة للهندسة المعمارية والبناء في الاتحاد الروسي. عام 1991، عُيّن رئيساً لفيلق الإنقاذ، الذي تطوّر لاحقاً إلى مسمّى «لجنة الدولة لحالات الطوارئ»، لتتحوّل بعدها إلى «وزارة حالات الطوارئ». ويشغل شويغو حقيبتها في الحكومة. اكتسب شهرة بسبب أسلوب إدارته العملي ووضوحه العالي أثناء حالات الطوارئ، مثل الفيضانات والزلازل والعمليات الإرهابية. عام 1999، أصبح أحد قادة حزب «الوحدة» الروسي الموالي للحكومة. حصل على جائزة الدولة الأكثر شهرة في روسيا - بطل الاتحاد الروسي - عام 1999. في 6 تشرين الثاني 2012، عيّنه بوتين وزيراً للدفاع. في تموز عام 2014، أعلن النظام في كييف رفع قضية جنائية ضدّ شويغو بتهمة المساعدة على تشكيل «مجموعات عسكرية غير مشروعة» في شرق أوكرانيا قاتلت الجيش الأوكراني. ابتداءً من 30 أيلول عام 2015، يشرف على الحضور العسكري الروسي في سوريا. يُعرَف عن شويغو إتقانه لكثير من اللغات، المعروف منها: الإنكليزية، اليابانية، الصينية، التركية، إلى جانب لغته الأم الروسية.

فولوديمير زيلينسكي

قبل وصوله إلى السلطة عام 2019، لم يكن الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي، يتمتّع بأيّ خبرة في المجال السياسي تتخطّى تأديته دور رئيس للجمهورية خلال عمله السابق كممثّل كوميدي، إذ كان معروفاً على نطاق واسع ككوميدي، ومخرج، ومنتج، وكاتب سيناريو. وهو المؤسّس والمدير الفني لاستوديو «كفارتال-95». وصل زيلينسكي إلى الرئاسة بصفة محارب للفساد، وكان آنذاك واثقاً من قدرته على تأدية دور الوسيط في إحلال السلام في الصراع الطويل الأمد مع الانفصاليين المدعومين من روسيا المتمركزين خاصّةً شرقي البلاد. ومن خلال أجندة شعبوية، وعد فيها باستهداف طبقة الأوليغارشية، ومنع أوكرانيا، في الوقت عينه، من أن تكون «شريكاً فاسداً للغرب» أو «الشقيقة الصغرى لروسيا»، تمكّن من كسب 73% من أصوات الأوكرانيين، علماً أن الدعم الأكبر جاء من جنوب أوكرانيا وشرقها، بما في ذلك منطقتا دونيتسك ولوهانسك. تذكّر صحيفة «نيويورك تايمز» أنه مذّاك، كانت الشكوك تحاوط قدرته على تحقيق طموحاته، ولا سيما بعد انهيار فريق العمل الذي شكّله بسرعة، وانقلاب عدد كبير من حلفائه عليه، وحصول تبديلات عدّة في المناصب، ما جعل معظم الذين يشغلون المناصب من حوله من «الأوفياء»، لا من أصحاب الكفاءة، حتى إن عدداً منهم جاء من استديوهات الكوميديا حيث كان يعمل. حالياً، تُطاول زيلينسكي شبهات عدّة بالفساد، ساهمت في تراجع شعبيته، إذ إن 62% من الأوكرانيين لا يرغبون بأن يترشّح مرّة جديدة للانتخابات. وعلى الرغم من أنه قد يفوز بولاية ثانية في حال ترشّحه، تؤكد الصحيفة أنه سيحصد عدد أصوات أقلّ بكثير. ومن المعروف عن زيلينسكي أيضاً علاقته المتوتّرة مع الصحافيين والإعلام بشكل عام، نظراً إلى كرهه للأسئلة الصعبة والانتقاد، ما أدّى إلى مواجهات بينه وبينهم خلال محطات عدّة. وفي خضمّ الأحداث الأخيرة، اتّضح أن رئاسة أوكرانيا مهمّة أصعب بكثير ممّا ظنّ زيلينسكي، ولا سيما أن أكثر من نصف الأوكرانيين يشكّكون في قدرته على مواجهة روسيا في أوكرانيا، وأنه قبل العملية العسكرية الروسية مباشرةً، كان يسخر من «تهويل الأوكرانيين ورعبهم» من التدخّل الروسي. حالياً، عقب العملية الروسية في أوكرانيا، يرى مراقبون أن زيلينسكي قد يواجه نقمة شعبية متنامية، خاصةً أنه يؤدي هذه المرّة دوراً، لم يسبق أن تمرّن عليه يوماً.

فاليري فيدوروفيتش زالوجني

القائد العام للقوات المسلحة الأوكرانية (منذ 27 تموز 2021)، وهو عضو في «مجلس الأمن القومي والدفاع» في كييف حالياً، وقائد القوات البرّية سابقاً. التحق بالكلية العسكرية في معهد أوديسّا للقوات البرية، وتخرّج منه عام 1997 برتبة الشرف. بدأ خدمته في الجيش الأوكراني، واجتاز جميع مراحل الخدمة العسكرية وصولاً إلى قيادة كتيبة. وفي عام 2005، التحق بـ«الأكاديمية الوطنية للدفاع»، ثم تخرّج منها عام 2007، بميدالية ذهبيّة. في عام 2014، تخرّج من «جامعة إيفان تشيرنياخوفسكي الوطنية للدفاع» في أوكرانيا، كأفضل خرّيج في المستوى التشغيلي والاستراتيجي للتدريب، وحصل على «السيف الملكي» من الملكة إليزابيث الثانية. في تموز 2021، عيّنه الرئيس الأوكراني، فولوديمير زيلينسكي، قائداً أعلى للقوات المسلحة الأوكرانية، خلفاً لرسلان خومتشاك. يُعدّ من الجنرالات الأكثر موثوقية لدى زيلينسكي، ولم يخدم في الجيش السوفياتي أبداً، وهو معادٍ للعقيدة العسكرية السوفياتية، ولطالما سعى إلى تغييرها. شارك زالوجني في القتال ضدّ «قوات إقليم دونباس» في 2014. وكانت إحدى أبرز خطواته الأولى في منصبه الحالي، السماح للقوات الأوكرانية في الجبهة الشرقية بفتح النار ردّاً على جنود الإقليم، من دون الحاجة إلى الرجوع إلى القيادة العليا. عقب تسلّمه منصبه قائداً عاماً للقوات المسلحة الأوكرانية، قال فاليري زالوجني: «إن المسار العام لإصلاح القوات المسلّحة الأوكرانية، بما يتماشى مع مبادئ الناتو ومعاييره، لا رجعة عنه. والمفتاح هنا هو (تغيير) المبادئ».

أوليكسي يوريفيتش ريزنيكوف

وزير الدفاع في حكومة فلوديمير زيلينسكي منذ تشرين الثاني 2021. هو محامٍ شغل سابقاً عدّة مناصب أخرى في حكومة أوكرانيا، منها نائب رئيس الوزراء، وزير «إعادة دمج الأراضي المحتلّة مؤقتاً في أوكرانيا»، نائب رئيس إدارة مدينة كييف بين عامَي 2016 و2018، نائب رئيس البلدية وسكرتير مجلس مدينة كييف من حزيران 2014 إلى كانون الأول 2015. شغل ريزنيكوف أيضاً منصب رئيس الوفد الوطني الأوكراني في كونغرس السلطات المحلية والإقليمية لمجلس أوروبا من عام 2015 إلى عام 2016، وتمّ اختياره من قِبَل زيلينسكي في 5 أيار 2020 لتمثيل أوكرانيا في «المجموعة الفرعية السياسية العاملة في الاتصال الثلاثي»، وهي مجموعة خاصة لتسوية الحرب في الدونباس. لا خبرة عسكرية لريزنيكوف، لكن لعلّ سجلّه الحافل ضمن الفريق الخاص بواشنطن في أوكرانيا أهّله لبلوغ منصب وزير الدفاع. عام 2004، تولّى ريزنيكوف الدفاع عن المرشح الرئاسي آنذاك فيكتور يوشينكو (زعيم الثورة البرتقالية) أمام المحكمة العليا في أوكرانيا، لإلغاء نتائج الجولة الثالثة من الانتخابات الرئاسية الأوكرانية لعام 2004. في سيرته الذاتية، يوصَف بأنه «يستمتع بالغوص ولعب التنس والتزلّج»، كما سُجّلت مشاركته في «رالي داكار» عام 2009.

كيوسكُ الصحافة

من نحن؟ ومن غيرنا؟

في قلب العديد من الشكوك التي تتمحور حول الانخراط الأميركي في الأزمة الأوكرانية، يظهر سؤال: «من نحن؟». مَن نحن، بتاريخنا الطويل من الغزوات والتدخّلات، لنُلقي المحاضرات على فلاديمير بوتين بشأن احترام السيادة الوطنية والقانون الدولي؟ من نحن، مع سجلّنا المحلّي من العبودية والتمييز، وسجلّنا الخارجي في دعم الديكتاتوريين الودودين، والظلم المستمرّ للحياة الأميركية، لنقدّم أنفسنا كنماذج للحرية وحقوق الإنسان؟ مَن نحن، بعد 198 عاماً على «عقيدة مونرو»، لنحاول منع روسيا من تحديد مجال نفوذها؟ مَن نحن، بجهلنا المعتاد، لنتدخّل في نزاعات بعيدة، لا نعرف عنها إلّا القليل؟ غالباً ما تُطرح مثل هذه الأسئلة من قِبَل الأشخاص الموجودين على اليسار، ولكنّ هناك نماذجُ قوية من التفكير ذاته على اليمين. عندما سأل بيل أورايلي، دونالد ترامب، في عام 2017، كيف يمكنه «احترام» بوتين، على اعتبار أن الرئيس الروسي «قاتل»، أجاب ترامب: «لدينا الكثير من القتلة. ماذا؟ هل تعتقد أن بلدنا بريء للغاية؟».

(...) لماذا اختار بوتين هذه اللحظة ليقوم بخطوته تجاه أوكرانيا؟ كما أشار كثيرون، فإن روسيا دولة ضعيفة من الناحية الموضوعية - «فولتا العليا بأسلحة نووية»، كما قال أحدهم ساخراً، مع ناتج محلّي إجمالي أصغر من كوريا الجنوبية. وبعيداً عن الطاقة والمعادن والمعدّات العسكرية من الدرجة الثانية، هي لا تُنتج أيّ شيء يريده الخارج تقريباً: لا توجد أجهزة iPhone أو Lexus روسية. تتمثّل مشكلة بوتين مع أوكرانيا، بدءاً من انتفاضة عام 2014، في أن الأوكرانيين لا يريدون أيّ علاقة به. إذا كان شخصية «ديزني»، فسيكون والدة رابونزيل. لكن لدى بوتين مزايا لا يتمتّع بها خصومه، وهي تتجاوز العلاقة المتبادَلة بين القوات العسكرية في دونباس.

إحدى المزايا هي ترابط الشهيّات: يريد بوتين أوكرانيا تحت إبهامه، أكثر بكثير ممّا يريد الغرب إبقاء أوكرانيا في فلكه، وهو على استعداد لدفع ثمن أعلى للحصول عليها. وهناك ميزة أخرى تتمثّل في ترابط مدى الاهتمام: فقد وضع بوتين نُصب عينيه، بشكل منهجي، إعادة أوكرانيا إلى حظيرته، منذ عام 2004 على الأقل. بالنسبة إلى الغرب، فإن أوكرانيا هي أزمة معقّدة أخرى سوف يتعب منها في النهاية. الميزة الثالثة هي ارتباط الإرادات: يريد بوتين تغيير النظام الجيوسياسي لأوروبا، وهو مستعدّ لتحمّل مخاطر كبيرة للقيام بذلك. أمّا إدارة جو بايدن، فتريد الحفاظ على الوضع الراهن المهتزّ، الذي يفقد الحياة على نحو متزايد. الحظّ يميل إلى تفضيل الشجعان. لكنّ الميزة الأعظم لبوتين هي الثقة بالنفس. قد يسخر المؤرّخون الجادّون من نظرياته التاريخية المعقّدة حول عدم وجود أوكرانيا كدولة حقيقية. لكنه يعتقد ذلك، أو على الأقلّ يقدّم عرضاً مقنعاً لذلك. ما الذي يعتقده الغرب حقاً بشأن أوكرانيا، بخلاف أنه سيكون من العار والمخيف أن يبتلع بوتين أجزاء كبيرة منها؟ بالتأكيد لا شيء يستحقّ القتال من أجله.

يفهم معظمنا أن للتاريخ طريقة للتحوُّل إلى أسطورة، لكنّ العكس يمكن أن يكون أيضاً صحيحاً: الأساطير لديها طريقة في صُنع التاريخ. يميل الحظ أيضاً إلى تفضيل المؤمنين المتحمّسين. اعتادت الولايات المتحدة على الإيمان بنفسها. اعتقدت أجيال متعدّدة من الأميركيين أن حضارتنا تمثّل التقدّم البشري. كانت مُثُلنا السياسية - بشأن سيادة القانون، وحقوق الإنسان، والحريات الفردية، والحكم الديموقراطي - مُثُلاً عليا لجميع الناس، بما في ذلك مَن هم خارج حدودنا. تحدّث أدبُنا عن التجربة الإنسانية العالمية، وتحدّثت موسيقانا للروح العالمية. (...) حتى أسوأ أخطائنا، كما في فيتنام، نابعة من مبادئ يمكن الدفاع عنها. كانت خطايانا حقيقية ومتعمّدة، لكنها كانت عيوباً قابلة للتصحيح، وليست سمات نظامية. ولكنّ غنيّ عن القول إنّ هذا الإيمان بالنفس - مثل كلّ المعتقدات - كان مزيجاً من الحقيقة والغرور والمثالية والغطرسة والرؤية والعمى. لقد قادنا إلى ارتكاب جميع أنواع الأخطاء، التي أصبح إدراكها الحادّ هو الضغط المهيمن في حياتنا الفكرية.

(...) لم تكن هذه الانتصارات نتيجة التساؤل «من نحن؟». جاءت عن طريق السؤال: «من غيرنا؟». في أزمة أوكرانيا، التي هي حقاً أزمة الغرب، قد نبدأ في طرح السؤال الثاني، أكثر قليلاً من السؤال الأوّل.

(بريت ستيفان - ذي نيويورك تايمز)

على الغلاف

تركيا تنعى «الركن الغربي الشديد»
أوكرانيا سقطت... ماذا بعد؟

محمد نور الدين

وقع الهجوم الروسي على أوكرانيا، في الوقت الذي لا تبدو فيه تركيا في موقع تُحسد عليه لجهة «المسافة الواحدة» مع موسكو والغرب. لم تتأخّر أنقرة في إدانة العملية الروسية على لسان جميع المسؤولين الموالين كما المعارضة، فيما اضطرّت الأزمة الرئيس التركي، رجب طيب إردوغان، إلى قطع جولته الأفريقية، والعودة على وجه السرعة إلى بلاده لمتابعة التطوّرات، والمشاركة في قمّة «حلف شمال الأطلسي». وكتب إردوغان، في تغريدة على «تويتر»، أن «العملية الروسية غير مقبولة، وهي تنتهك القانون الدولي. العملية تشكّل ضربة قوية للسلام والأمن الدوليَّين». وخلال استقباله وفد «اتحاد الديموقراطيين الدولي»، قال إردوغان: «إنّنا نواجه بحزن شديد ما جرى بين بلدَين صديقَين لتركيا، ولنا معهما علاقات قوية سياسية واقتصادية واجتماعية». وأضاف أن «تركيا تدعم وحدة الأراضي الأوكرانية»، داعياً إلى «حلّ المشكلات بين البلدَين عن طريق تطبيق اتفاقيات مينسك». وكما اعتبر الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، أن «أوكرانيا هي صنيعة الطرف الروسي، وكانت جزءاً من التاريخ الروسي»، أشار إردوغان إلى أن «الدولة العثمانية كانت منذ القرن الأول لتاسيسها دولة أوروبية، وأن عدداً كبيراً من الدول الحالية في أوروبا كانت جزءاً من الدولة العثمانية»، مضيفاً أنه «لا يمكن لأحد أن يستبعد تركيا من أوروبا وأن يضعها في الطرف المقابل». وردّ الرئيس التركي على أسئلة لصحيفة «يني شفق» بالقول: «إن اتّخاذ تركيا موقفاً حاسماً في هذه اللحظات الانفعالية أمر خاطئ. يجب أن نتصرف بدقّة وحساسية عالية. نحن عضو في حلف شمال الأطلسي، ولكنّنا على علاقات متطوّرة مع أوكرانيا وروسيا». وتابع: «إننا لا يمكن أن نكون إلى جانب طرف دون آخر. يقولون لنا تخلّوا عن أوكرانيا، لا لن نتخلّى. ويقولون لنا تخلّوا عن روسيا، لا لن نتخلّى. السيناريو الأفضل لتركيا هو أن يتّفق البلدان». كذلك، اجتمعت أحزاب البرلمان الرئيسة، وأصدرت بياناً مشتركاً رأى في الهجوم الروسي «خطوة غير صائبة»، داعياً إلى الحفاظ على وحدة الأراضي الأوكرانية. وندّد «حزب الشعوب الديموقراطي» الكردي بالعملية، فيما شجب «حزب الحركة القومية»، شريك إردوغان في السلطة، الدول الغربية لأنها «تستخدم الأزمة الأوكرانية لابتزاز خصومها». أمّا مرال أقشنير، زعيمة «الحزب الجيّد» المعارض، فدعت إلى عودة تركيا إلى محورها القديم الأوروبي، و«التحرُّر من العلاقات» مع موسكو، عبر إلغاء صفقة صواريخ «إس 400»، وهو ما أثنى عليه مثلاً الكاتب المعروف، طه أقيول، في صحيفة «قرار». من جهة أخرى، دعا بعض النوّاب إلى حماية المواطنين الأتراك في أوكرانيا عبر التواصل معهم، علماً أن عدد هؤلاء يقارب 15 ألفاً. وجاء هذا بينما انعكس الهجوم الروسي اهتزازاً للأسواق المالية في تركيا، حيث تراجع سعر صرف الليرة حوالي ليرة واحدة، ليصل سعر صرف الدولار إلى أكثر من 14 ليرة. كذلك، تتخوّف تركيا من انعكاس ارتفاع أسعار النفط والغاز الطبيعي عليها، كونها تستورد تقريباً كامل احتياجاتها من الخارج، ولا سيما من روسيا وإيران. كما يتهدّد أنقرة خطرُ خسارة السوق الأوكرانية كأكبر سوق مستوردة للطائرات التركية المسيّرة.

الأسوأ من ذلك هو أن أنقرة تواجه تحدّياً جديداً متمثّلاً في طلب السفير الأوكراني لديها، فاسيل بودنار، من تركيا، منع مرور السفن الحربية الروسية في المضائق، وفقاً للبند 19 من «اتفاقية مونترو للمضائق» عام 1936، والتي تقول بوجوب إغلاق المضائق أمام سفن أيّ دولة في البحر الأسود تكون في حالة حرب مع دولة أخرى. وفي أعقاب هذا الطلب، أعلن الناطق باسم الحكومة التركية، عمر تشيليك، أن الحكومة ستفي بالتزاماتها وفقاً لأحكام الاتفاقية، لافتاً إلى أنه يتمّ تقييم الأمر من جوانبه القانونية والديبلوماسية. وأضاف أن بلاده تعمل على الاستعداد لكلّ السيناريوات المحتملة، وخصوصاً الأمن في البحر الأسود. وجدّد انتقاد الهجوم الروسي، محذّراً من أنه «ستنتج منه تداعيات خطيرة جدّاً على الصعيد القانوني الدولي». لكنّ وزير الخارجية التركي، مولود تشاووش أوغلو، عاد ليقول إن «أحكام مونترو واضحة جدّاً؛ في حالة عدم كون تركيا طرفاً في حرب، فإن بإمكانها اتّخاذ إجراءات تجاه أيّ دولة في البحر الأسود هي طرف في حرب. الآن هل ما يجري في أوكرانيا حالة حرب أم لا؟ هذا ما يعقّد على دراسته خبراؤنا. إذا كانت حالة حرب، يمكن أن نمنع السفن من المرور، لكنّ هناك بنداً آخر يقول إن أيّ دولة في البحر الأسود تقدّم طلباً لعودة سفنها الحربية خارج البحر الأسود إلى قواعدها، يتمّ السماح لها بذلك». وفي تعليقات الكتّاب، قال سليمان سيفي أوزغون، في صحيفة «يني شفق» الموالية، إن «أوكرانيا سقطت»، ولم يَعُد في إمكان الغرب وأوروبا فعل أيّ شيء. واعتبر أن «روسيا رسّخت هيمنتها في أوكرانيا وشرق أوروبا غربياً، وفي كازاخستان وتتارستان شرقاً، فيما الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي منهاران». وأضاف أن الرئيس الأميركي، جو بايدن، «فشل حرفياً»، وأن المسألة الآن هي كيف ستكون الولايات المتحدة بعد بايدن. من جهته، رأى سلجوق طاق يلماز، في الصحيفة نفسها، أن تركيا لا يمكن أن تعتمد على الغرب ولا أن تثق بروسيا، متابعاً أن مُضيّ بلاده في «الطريق الثالث» هو الذي يزيد من قوّتها ويحمي وحدة أراضيها. وأشار إلى أن «روسيا بغزو أوكرانيا استفادت من قوّة جغرافيّتها عبر التاريخ، ونحن أيضاً يمكننا الاستفادة من قوة جغرافيّتنا. لقد انتهى عصر الاعتماد على الغرب». وفي صحيفة «جمهوريات»، كتب محمد علي غولر أن روسيا بغزوها أوكرانيا أوقفت توسّع «حلف شمال الأطلسي»، وكبحت بعض مظاهر الهيمنة العالمية، وتعمل على إنشاء أوضاع عالمية جديدة. وعدّ ما فعلته «انتصاراً للسود (روسيا) على البيض (اميركا) في لعبة الشطرنج». وحذّر غولر من الأفخاخ التي يمكن أن تنصبها واشنطن لكلّ من موسكو وأنقرة، حيث «تشكّل الأزمة الأوكرانية قاعدة مناسبة لتلك الأفخاخ. وهذه هي المسألة الأساسية التي يجب أن تتنبّه لها تركيا». وانتقد السلطة كما المعارضة التركيتَين لجهة إدانة الهجوم الروسي، واصفاً ذلك بأنه «مؤشّر محزن» إلى إمكانية الوقوع في الأفخاخ الأميركية.

من جهته، يرى وصال حسن زاده، في «جمهوريات»، أن «الأزمة الأوكرانية تمثّل فرصة أمام تركيا لكي تهتمّ أكثر بتشكيل تحالف الجمهوريات التركية». ويلفت إلى أن «تركيا تحتلّ موقعاً مركزياً في السياسة الخارجية لروسيا»، معتبراً أن «على أنقرة أن تحتفظ بهذه العلاقات القوية، على أن يكون خيارها الأول لاحقاً تشكيل تحالف الجمهوريات التركية». ويعرب يوسف ضيا جومرت، في صحيفة «قرار»، بدوره، عن اعتقاده بأن «الحرب الأوكرانية، ولو لم تدخلها تركيا فإنها تُنعبها. فاللیرة تجاوزت الأربعة عشر مقابل الدولار، وأزمة قمح تلوح في أفق البلاد، والسياحة ستتراجع والتضخّم الاقتصادي سيرتفع». وفي الاتّجاه نفسه، يشدّد أحمد طاش غيتيرين، في الصحيفة نفسها، على أن «تركيا وإن كان قلبها مع أوكرانيا، يجب ألّا تقطع علاقاتها مع موسكو، لكن علينا أن نَخرج بأقلّ قدر ممكن من الخسائر من هذه الحرب»، مضيفاً أن «هذا ما يقلق تركيا أكثر من غيره». وكتب محمد متينير، في صحيفة «يني شفق» الموالية، من جانبه، أن «على تركيا أن تأخذ مكانها في لعبة التاريخ هذه، وفي مرحلة عدم اليقين الراهنة»، منبّهاً إلى أن «أيّ خطوة ناقصة قد تضع البلاد أمام رغبة بايدن في إنهاء حُكم إردوغان»، مضيفاً أن «على تركيا أن تدرك أن الولايات المتحدة عدو، وكذلك الاتحاد الأوروبي. والحرب الأوكرانية ليست حربنا. ولا يجب كوننا عضواً في حلف شمال الأطلسي أن نخدم المصالح السياسية للولايات المتحدة». وأشار متينير إلى أنه «إذا تصاعدت الحرب فسيصاب الاقتصاد التركي بالشلل، وتتدمّر السياحة، ولا ننسى العواقب السياسية الداخلية». ومن هنا، يختم بأنه «يجب عدم الوقوع في لعبة بايدن في قتل عصفورَين بحجر واحد، لأن انخراط تركيا في هذا الصراع هو جزء من خطّة بايدن ضدّ بوتين وضدّ إردوغان. لكن أيضاً يجب ألّا نتخلّى عن دفاعنا عن وحدة أراضي أوكرانيا، والذي بدأ برفض ضمّ شبه جزيرة القرم سابقاً إلى روسيا».

اجتمعت أحزاب البرلمان الرئيسة، وأصدرت بياناً مشتركاً رأى في الهجوم الروسي «خطوة غير صائبة»

إسرائيل لا ترى غيْر سوريا: متى ستشعل روسيا الضوء الأحمر؟

يحيى دبوق

تسعى إسرائيل، بكلّ جُهدها، إلى أن لا تتسبّب العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا، بتداعيات سلبية على أمنها واستراتيجياتها في مواجهة أعدائها، وتحديداً في الساحة السورية. والظاهر أن آمالها في ذلك تفوق تقديراتها الواقعية لما يمكن أن يُقدم عليه «الصديق» الروسي لاحقاً، وإن كانت تل أبيب إلى الآن لا تتلمس سلبيات من شأنها الإضرار بما تسمّيه «حرية عملها» في الساحة السورية، التي تكاد تكون العنصر الوحيد الذي يهدّ الكيان العبري من كلّ القصة الأوكرانية.

ومن هنا، يمكن فهمُ التخبّط الذي لا يزال يسم موقف إسرائيل إزاء ما يجري؛ فهي، من جهة، مجبَرة على أن تكون إلى جانب الولايات المتحدة والغرب بحُكم تموضعها الطبيعي، لكنّها، من جهة أخرى، معنيّة أيضاً بأن لا تُغضب موسكو، على خلفيّة القدرة الروسية على الإضرار بأمنها، بمستويات يصعب عليها أن تتغاضى معها. والحديث في هذا المجال يتعلّق تحديداً بالساحة السورية، التي تمنّعت فيها إسرائيل بهامش مناورة واسع نسبياً لتوجيه ضربات عسكرية مباشرة إلى أهداف ترتبط بتعاظم القدرة العسكرية النوعية المعادية لها هناك، بتنسيق وسماح روسيَّيْن لافتيْن، بفعل تخادم المصالح بينها وبين موسكو.

على هذه الخلفية، عمدت تل أبيب، ابتداءً، إلى إصدار بيان أوّل لم يتضمّن أيّ إدانة لروسيا، بل لم يَذكر الأخيرة بالاسم، مكتفياً بالتشديد على ضرورة حفظ سيادة أوكرانيا على أراضيها. إلّا أنها عادت في اليوم التالي لتُصدر بيان شجب لـ«الغزو الروسي»، في خطوة عُدّت استجابة للإملاءات الأميركية. والتباين الحادّ بين البيانَين الأوّل والثاني، يكشف ماهيّة موقف إسرائيل الذي يوصف بأنه كـ«مَن يمشي على البيض وبين النقاط». على أن المسألة ليست مقصورة على حدود البيانات فقط، بل إن قلق إسرائيل يتركّز على اليوم الذي يلي العملية العسكرية في أوكرانيا، وأضطرارها للوقوف عملياً إلى جانب الولايات المتحدة والغرب في محاصرة روسيا والإضرار بها اقتصادياً. وإن كانت تل أبيب، في هذه المرحلة، تؤكد أنها لن تكون جزءاً من حصار غربي ضدّ موسكو، فهل ستظلّ قادرة بالفعل على التملّص من الإملاءات الأميركية؟

تخشى المؤسّسة الأمنية من أن يسمح بوتين لإيران بأن تنشط بحرّية أكبر في سوريا

بالنسبة إلى إسرائيل، يمكن تقسيم تبعات ما يجري إلى نوعَين: تداعيات آنية، وأخرى لاحقة، ولكلّ منهما تقدير وموقف خاصّان، قد يستدعيان من المؤسّسة الأمنية مداراتهما، كونها معنيّة بأن لا تُظهر أيّ سلبيات أمام أعدائها، حتى وإن قرّرت روسيا، مثلاً، دونما إعلان، تجميد «حرية العمل» الإسرائيلية للوقوف عملياً إلى جانب السورية. صحيح أن ما أعقب بيان الإدانة الإسرائيلي أظهر أن موسكو لن تتعامل معه بوصفه نهاية المطاف، للمصادر نفسها بـ«الهدوء المؤقّت» الذي قد يعمد الجانب الروسي إلى فرضه، في إشارة إلى إمكانية تجميد الهجمات في سوريا. هذه الفرضية كانت محلّ النقاش لدى عدد من معلّقي الشؤون العسكرية في وسائل الإعلام العبرية، حيث اعتبر بعضهم (القناة 13) أن «على إسرائيل أن تدرك حجمها، ومَن هو الجار الذي بات لديها في الساحة الشمالية (الجيش الروسي)، إذ إن آخر ما نريده هو مشاهدة تساقط سلاح الجوّ الإسرائيلي في السماء السورية، بصواريخ روسية».

على أيّ حال، وعلى رغم أن التداعيات المنتظرة إسرائيلياً قد تكون قصيرة الأمد، ومن النوع الذي يمكنها أحرونوت) أن المؤسّسة العسكرية تستعدّ لمواجهة سيناريوات مختلفة، وفي المقدّمة منها ما يمكن وصفه وفقاً للمصادر نفسها بـ«الهدوء المؤقّت» الذي قد يعمد الجانب الروسي إلى فرضه، في إشارة إلى إمكانية تجميد الهجمات في سوريا. هذه الفرضية كانت محلّاً للنقاش لدى عدد من معلّقي الشؤون العسكرية في وسائل الإعلام العبرية، حيث اعتبر بعضهم (القناة 13) أن «على إسرائيل أن تدرك حجمها، ومَن هو الجار الذي بات لديها في الساحة الشمالية (الجيش الروسي)، إذ إن آخر ما نريده هو مشاهدة تساقط سلاح الجوّ الإسرائيلي في السماء السورية، بصواريخ روسية».

على أيّ حال، وعلى رغم أن التداعيات المنتظرة إسرائيلياً قد تكون قصيرة الأمد، ومن النوع الذي يمكنها تحييده عبر اتّصالات توضيحية من هذا النوع أو ذاك، إلّا أن القلق الذي يساور إسرائيل فعلياً، وتحديداً المؤسسة الأمنية فيها، هو من اليوم التالي، وبتعبير أوضح من المرحلة التي تبدأ فيها موسكو تلمّس تصاعد عدائية الغرب تجاهها، وإرادته الإضرار بتموضعها العسكري والأمني ومناعتها الاقتصادية، إذ إن ذلك سيدفعها إلى تعزيز علاقاتها مع أعداء أميركا، وعلى رأسهم إيران، ما يعني بالضرورة فوائد لمصالح الأخيرة العسكرية والأمنية في سوريا. ووفقاً لمصادر استخبارية إسرائيلية (هآرتس)، «تخشى المؤسّسة الأمنية من أن يسمح (الرئيس الروسي فلاديمير) بوتين، جزاء ما يتعرّض له من ضغوط غربية، لإيران بأن تنشط بحرّية أكبر بكثير في سوريا، وبما لا يمكن لإسرائيل أن تحتويه».

عمدت تل أبيب، ابتداءً، إلى إصدار بيان أوّل لم يتضمّن أيّ إدانة لروسيا (أ ف ب)

مقالة

أوروبا تفتح ذراعَيها: أهلاً باللاجئين البيض!

لندن - سعيد محمّد

ألمحت جهات أميركية إلى أن ما يصل إلى خمسة ملايين لاجئ قد يفرّون من أوكرانيا نحو قلب القارة الأوروبية. ومن الجليّ أن مجمل القوات الأميركية المتمركزة في بولندا - والتي يبلغ قوامها 5500 جندي - منهمكة منذ أسابيع في العمل مع سلطات وارسو على بناء قدرة استيعاب استثنائيّة لموجة ضخمة من اللاجئين، يبدو أن الأميركيين، وبالتعاون مع الأوروبيين، يسعون لاستقطابها بغرض خلق معضلة لروسيا التي اندفعت قواتها داخل الأراضي الأوكرانية بداية من مساء الخميس الماضي. وقال الناطق باسم الجيش الأميركي إن القوات المتمركزة في بولندا تأخذ مواقع لها على طول الحدود بين بولندا وأوكرانيا للمساعدة في توفير الحماية والمساعدة لفارّين من التقدم الروسي السريع شرقيّ البلاد. وقد جهّزت هذه القوات، بالتعاون مع الجيش البولندي، ما لا يقلّ عن ثمانية مراكز للتعامل مع عشرات آلاف الأشخاص الذين قد يتدفّقون من أوكرانيا المجاورة، وتجهيزهم للانتقال إلى مواقع إيواء داخل البلاد بحسب الحاجة. كما وُضعت أكثر من ألف مستشفى في حال طوارئ، وعُلّقت كلّ الشروط الصحيّة المتعلقة بـ«كوفيد 19». وتبدي حكومة وارسو، من جهتها، حماسة غير مسبوقة تجاه اللاجئين الأوكرانيين، إذ أعلنت على لسان ماريوش كامينسكي، وزير داخليتها، أنها «على كامل الاستعداد لتوفير المأوى لأي شخص يفر من الصراع نحوها». وأن الحدود ستظل مفتوحة بشكل كامل». وأشارت تصريحات الوزير البولنديّ سخريّة المراقبين، الذين قارنوا سلوك بلاده الحالي بالأزمة الحدودية الأخيرة لبولندا مع بيلاروسيا، والتي كادت تؤدي إلى نشوب حرب بين البلدين، بعد أن حاول أقلّ من 25 ألف لاجئ، أغلبهم من الشرق الأوسط، العبور نحو أوروبا مروراً بالأراضي البولنديّة، وتصدت لهم وقتها قوات الجيش ومتطرفون يمينيون وأبعدوهم بالقوّة. ومن الواضح أن عرق اللاجئين ودياناتهم يلعبان دوراً في ذلك؛ فالأوكرانيون من ذوي البشرة البيضاء ومسيحيّون غالباً، وهناك بالفعل جالية أوكرانية ضخمة مقيمة في البلاد منذ انقلاب 2014 يُقدر عددها بمليون شخص. لكن الأصابع الأميركية ظاهرة هذه المرّة، وهناك تسابق لدى حكومات «حلف وارسو» السابق على إرضاء الولايات المتحدة عبر استقبال ملايين اللاجئين ليكونوا كورقة ضغط في يد «الناتو» ضدّ موسكو، تماماً على غرار ما حدث خلال الحرب في سوريا في العقد الماضي، عندما سهّلت دول عدة عبور اللاجئين السوريين إليها وعبرها لخلق معضلة سكانيّة لا يسهل حلّها من قبل دمشق.

وإذا نجحت الخطط الأميركية بهذا الشأن، فإن هذه الموجة التي ينبغي لأوروبا استيعابها ستجعل من أزمة الهجرة نحو القارة في 2015 مجرّد نزهة. وكانت تلك الموجة التي شملت حوالي مليون لاجئ قد تركت تأثيراً عميقاً على الأوضاع السياسية والاجتماعية في العديد من المجتمعات الأوروبية، وعزّزت من صعود الأحزاب اليمينية المتطرفة فيها. ويتحدّث مسؤولون أميركيون الآن عن خمسة ملايين لاجئ أوكراني (من أصل 44 مليوناً، هم عدد سكان أوكرانيا)، لا شك أن كثيرين منهم لن يكتفوا بالبقاء في دول شرقي أوروبا الفقيرة، وسيحاولون الانتقال نحو الغرب، إلى ألمانيا والنمسا وفرنسا وهولندا وبريطانيا وغيرها من الدول الثريّة. ويتمتع الأوكرانيّون بحق الإقامة لـ90 يوماً بلا تأشيرة في دول الاتحاد الأوروبي. ولكن ازدواجية المعايير الأوروبية ستنكشف سريعاً من دون شك، عندما يسرع لاجئون إلى أوكرانيا من الشرق الأوسط وآسيا بالعبور نحو الغرب، حيث سيواجه هؤلاء معاملة مختلفة، وعلى الأغلب لن يُسمح لهم باستكمال رحلتهم.

ومع أن عدداً من الأوكرانيين قد فرّوا بالفعل من بلادهم عبر منافذ بريّة خلال الأيام القليلة الماضية نحو بولندا وهنغاريا وثلاث دول أوروبيّة أخرى لها حدود مع أوكرانيا – سلوفاكيا ورومانيا ومولدوفا -، إلا أن الأرقام لا تزال إلى الآن محدودة، وتتعلق غالباً بأشخاص وعائلات يعبرون على الأقدام، فيما قدّرت مصادر في الأمم المتحدة أن أكثر من مئة ألف شخص قد تركوا منازلهم وفرّوا إلى مناطق أخرى داخل أوكرانيا الشاسعة.

هنغاريا، من جانبها، قالت إنها «مستعدة لاستقبال اللاجئين من أوكرانيا». وعبرت عدّة سيارات أوكرانية تقلّ مدنيين إلى مواقع إيواء داخل البلاد بحسب الحاجة. كما وُضعت أكثر من ألف مستشفى في حال طوارئ، وعُلّقت كلّ الشروط الصحيّة المتعلقة بـ«كوفيد 19». وتبدي حكومة وارسو، من جهتها، حماسة غير مسبوقة تجاه اللاجئين الأوكرانيين، إذ أعلنت على لسان ماريوش كامينسكي، وزير داخليتها، أنها «على كامل الاستعداد لتوفير المأوى لأي شخص يفر من الصراع نحوها». و«أن الحدود ستظل مفتوحة بشكل كامل». وأشارت تصريحات الوزير البولنديّ سخريّة المراقبين، الذين قارنوا سلوك بلاده الحالي بالأزمة الحدودية الأخيرة لبولندا مع بيلاروسيا، والتي كادت تؤدي إلى نشوب حرب بين البلدين، بعد أن حاول أقلّ من 25 ألف لاجئ، أغلبهم من الشرق الأوسط، العبور نحو أوروبا مروراً بالأراضي البولنديّة، وتصدت لهم وقتها قوات الجيش ومتطرفون يمينيون وأبعدوهم بالقوّة. ومن الواضح أن عرق اللاجئين ودياناتهم يلعبان دوراً في ذلك؛ فالأوكرانيون من ذوي البشرة البيضاء ومسيحيّون غالباً، وهناك بالفعل جالية أوكرانية ضخمة مقيمة في البلاد منذ انقلاب 2014 يُقدر عددها بمليون شخص. لكن الأصابع الأميركية ظاهرة هذه المرّة، وهناك تسابق لدى حكومات «حلف وارسو» السابق على إرضاء الولايات المتحدة عبر استقبال ملايين اللاجئين ليكونوا كورقة ضغط في يد «الناتو» ضدّ موسكو، تماماً على غرار ما حدث خلال الحرب في سوريا في العقد الماضي، عندما سهّلت دول عدة عبور اللاجئين السوريين إليها وعبرها لخلق معضلة سكانيّة لا يسهل حلّها من قبل دمشق.

وإذا نجحت الخطط الأميركية بهذا الشأن، فإن هذه الموجة التي ينبغي لأوروبا استيعابها ستجعل من أزمة الهجرة نحو القارة في 2015 مجرّد نزهة. وكانت تلك الموجة التي شملت حوالي مليون لاجئ قد تركت تأثيراً عميقاً على الأوضاع السياسية والاجتماعية في العديد من المجتمعات الأوروبية، وعزّزت من صعود الأحزاب اليمينية المتطرفة فيها. ويتحدّث مسؤولون أميركيون الآن عن خمسة ملايين لاجئ أوكراني (من أصل 44 مليوناً، هم عدد سكان أوكرانيا)، لا شك أن كثيرين منهم لن يكتفوا بالبقاء في دول شرقي أوروبا الفقيرة، وسيحاولون

على الغلاف

مرحلة ما بعد نهاية الحرب الباردة

أسعد أبو خليك

للمرّة الأولى منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، تفقد الولايات المتحدة الأميركيّة السيطرة على مقدّرات العالم. تعوّدت أميركا منذ ذلك التاريخ على السيطرة على العالم وعلى إملاء إرادتها بالقوة أو بالتهديد أو بالحسنى على كل دول العالم. لم تكن روسيا ولا الصين في موقع المعارضة لا بل شاركت الدولتان في إرساء معالم نظام عالمي جديد تتحكّم فيه الولايات المتحدة. لم تتوقّف أميركا عن شن الحروب مباشرة أو مداورة في كل العالم. هناك حروب تشارك فيها أميركا من دون إعلانات رسميّة ولا تدري بها من المتابعة اليوميّة للإعلام الغربي أو العربي. أميركا دمّرت الصومال وتمعن في تدمير عدد من الدول باسم محاربة الإرهاب. أحياناً تحارب أميركا بالوكالة وأحياناً بجيوشها المنتشرة. اليوم، أدركت أميركا أن هذا الحلم قد بدأ. إن المشكلة ليست في العراق ولا في أفغانستان ولا في مالي. المشكلة أن دولاً شبه كبرى، مثل الصين وروسيا، لم تعد تسمح بالاستمرار في نظام عالمي أميركي. هذه مرحلة بالغة الخطورة في حياة الإمبراطوريّة الأميركيّة لأن الحكومات الأميركيّة المتعاقبة عملت على تجنّبها. أن يشنّ بوتين حرباً على دولة متحالفة مع أميركا هي من الممنوعات. يستطيع بوتين أن يهدّد وأن يرفع الصوت، لكن أن يشنّ حرباً بعد تهديدات ووعيد أميركي من خلال الصحافة الأميركيّة المطيعة دليل على أن روسيا باتت اليوم في مرتبة من فرض النفوذ: أقلّ من مرتبة الاتحاد السوفياتي لكن حتماً أعلى من مرتبة روسيا قبل 2014. ليست هذه الأزمة وهذه الحرب إلا وليدة جرائم وأفعال أميركا المتفلّتة حول العالم. هذه مرحلة تتطلّب وقف التعاون في الحروب الأميركيّة الجارية باسم مكافحة الإرهاب. هذه حروب لفرض السيطرة الأميركيّة، وأميركا ترعى أنظمة ومنظّمات إرهابيّة.

خطاب بوتين الشامل عن أوكرانيا أدخل العالم في حقبة جديدة تؤرّخ لنهاية ما بعد الحرب الباردة. من المُبكّر القطع بأن العالم دخل في منافسة جديدة بين جبّارَين، لكن شحن الإعلام الأميركي (الليبرالي منه خصوصاً) يشير إلى حالة ذعر تسود العاصمة وأشنطن بسبب تقلّص السيطرة الأميركيّة العالميّة. بالرغم من وصف الجنون الذي أسبغه الإعلام الليبرالي على ترامب، فإن حقبة بايدن سرعان ما زادت من منسوب التوتّر العالمي. كان الإعلام الليبرالي وشبكة السياسة الخارجيّة المتنفّذة في وأشنطن تثور على ترامب كلّما أعلن نيّته تخفيف التوتر مع بوتين ومع رئيس الصين، جي. التوتّر العالمي وإعلان العداء ضد الصين وروسيا باتا من مستلزمات السياسة الخارجيّة الأميركيّة. الانسحاب الأميركي من أفغانستان أقلق المتنفّذين (من الحزبيْن) في وأشنطن وسارع حلفاء أميركا من الطغاة في الخليج إلى إبداء القلق من انكفاء أو تراجع أميركي، في وقت لا تزال القوّات الأميركيّة منتشرة في أكثر من 800 قاعدة عسكريّة أميركيّة حول العالم (هذا فقط التعداد الرسمي للقواعد والرقم لا يشمل قواعد سريّة في كل أنحاء الكرة الأرضيّة). إن تحالف السعوديّة والبحرين والإمارات مع إسرائيل هو نتيجة خيبة من هذه الدول (العروبيّة، كما يصفها لنا السنيورة وجحجح والجميّل) من تمنّع أميركي عن شنّ المزيد من الحروب. أميركا لم تُصب فجأة بداء اللا عنف. لا، أميركا أصيبت في الهزيمة في العراق وفي أفغانستان ولم يعد شعبها في وارد تأييد المزيد من الحروب الخاسرة، ولو لإرضاء لطغاة محترمين في الخليج. الحروب والإلتزامات العسكريّة الأميركيّة أفقرت الطبقة الوسطى هنا وزادت من الأعباء الماليّة للفقراء.

لم يمضِ على بايدن في البيت الأبيض أكثر من أشهر قبل أن يحضّ على تمرير قانون إنفاق هائل بقيمة 200 مليار دولار. القانون الذي مرّ في مجلس الشيوخ بإجماع صوّت ضدّه. القانون له اسم «الإبداع والمنافسة الأميركيّة» يهدف إلى مواجهة النفوذ الصيني على أكثر من صعيد. طبعاً، القانون تحدّث عن أجيال أميركيّة جديدة وعن دفع التنافسيّة الأميركيّة قدماً. وقانون بهذا الاسم لا يخفي مضامين عسكريّة وأمنيّة واستخباراتيّة فيه. هذه دولة تسنّ قانوناً لشنّ حرب في بلد ما باسم: «قانون عنق الشعوب». معظم التخطيط والإنفاق الأميركي العسكري والاستخباراتي مُوجّه نحو الصين لكن العداء لروسيا لم يخفت أبداً. توماس فريدمان ـ أشمئزّ من الاستشهاد به بسبب خلافة فكره وعنصريّة تعبيراته ونفاقه وصهيونيّته ـ خالف الإجماع المخيف بين اليمين واليسار الليبرالي عندما حاول قبل أيّام، وبلطف، التذكير بمسؤوليّة واشنطن في الأزمة الحالية. جذور الأزمة الحالية تعود إلى توسيع نطاق حلف شمال الأطلسي. أميركا تريد تطويق روسيا وخنقها من أجل التفرّغ للخطر الصيني. استخفّت أميركا بالخطر الروسي ولهجة بوتين الأخيرة تعكس ذلك. أميركا لا تعبأ لكرامة الشعوب وليس تعاطيها مع العرب عبر العقود إلا دليل على ذلك. أميركا لم تخفِ نيّتها الخبيثة بعد انهيار الاتحاد السوفياتي. أرادت السيطرة على كل العالم أجمع وفرض هيمنتها على كل الشعوب قاطبة. بهذه البساطة. لكن لم تكن توارب في طموحاتها الهتلريّة. وبوريس يلتسن كان مثالياً للسياسة الأميركيّة. أصبح تابعاً لأميركا وكان وزير خارجيّته يتلقّى الأوامر من وزارة الخارجيّة الأميركيّة. لم تمانع أميركا أن يلتسن كان مخموراً أو أنه كان فاسداً أو أنّه خرّج جيلاً من أثرياء الفساد الذين انتشروا في أنحاء أوروبا. سخّرت أميركا صندوق النقد الدولي لضمان انتخاب يلتسن في تموّز عام 1996، صدرت مجلّة «تايم» بغلاف يشرح، أو يزهو بالخطة الأميركيّة السرّية لتثبيت يلتسن في الرئاسة. في حينه، لم تتورّع إدارة بيل كلينتون عن تهديد الشعب الروسي في حال تخلّى عن المرشّح الأميركي. كان ذلك في زمن كان الشعب الروسي يعترف بأنه بحاجة إلى زمن الشيوعيّة بسبب تردّي الحالة المعيشيّة (لا تزال هناك نسبة ملحوظة تحنّ إلى زمن الاتحاد السوفياتي). لم تكتفِ أميركا بالسيطرة على المقدّرات السياسيّة لروسيا وجعلها دولة تابعة بالكامل لها، بل هي أحاطتها بدول معادية تحتضن قوات وسلاحاً أميركياً. توسيع حلف شمال الأطلسي أشعل الأزمة الحالية. أميركا لم تتورّع عن ضم جمهوريّات ثلاث كانت جزءاً من الاتحاد السوفياتي إلى حلف شمال الأطلسي. كيف يمكن أن تقرأ روسيا العمل هذا غير أنه عمل عدائي صريح؟

كان معظم خبراء الدراسات السوفياتية أو ما سُمّي بـ«دراسات ما بعد السوفياتيّة» يعارضون توسيع الـ«ناتو». الخطوة بنظر الخبراء كانت استفزازية وتهدّد بعودة للحرب الباردة. أذكر تلك الفترة كيف أن خبراء الدراسات السوفياتية وما بعد السوفياتيّة في جامعة كاليفورنيا في بيركلي (وهم ليسوا من اليسار) أجمعوا على معارضة توسيع الـ«ناتو». رأوا في ذلك إشعال حرب مؤجّلة واستفزازاً صريحاً لروسيا. كانت روسيا ضعيفة يومها ولم تكترث واشنطن لمشاعرها. حتى عميد الخبراء الحكوميّين في الإدارات الأميركيّة في الحرب الباردة، جورج كينان، حذّر من مغبّة توسيع الـ«ناتو». والوقاحة الأميركيّة تعتبر أن لبنان في الخمسينيّات والثمانينيّات يمثّل مصالحها الحيويّة، وأن غزو أي انتعاش للقوّة الروسية تحت أي مسمّى. والعداء الأميركي يثبت أن الحرب الباردة لم تكن أيديولوجيّة بالنسبة لها. كانت صراع قوّة محض. أميركا أرادت تركيع روسيا إلى الأبد. هي تعاملت مع روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي كما تعامل المنتصرون مع ألمانيا بعد الحرب العالميّة الأولى. لم يكن هناك أي تفسير عقلاني لإصرار الأميركي على الحفاظ على الـ«ناتو» وضمّ أعضاء سابقين في المنظومة الشيوعيّة فيه. هذا المخطط هو جزء من هيمنة أميركيّة على أوروبا برمّتها ومنع الطرف القوي فيها من الانبعاث مرّة أخرى.

خطاب بوتين إعلان ظهور القوة الروسية العالميّة، على الأقل في نطاق إقليمي. بدأت ملامح التململ الصيني والروسي في عام 2011 في قرار مجلس الأمن 1973 القاضي بحماية المدنيّين في ليبيا. اتخذته إدارة أوباما ذريعة لغزو ليبيا وتدميرها ـ تدميرها وطناً ومجتمعاً كما فعلت في العراق وفي أفغانستان. والرئيس الأميركي الحالي، مع مساعده أنتوني بلينكن آنذاك، حاججا بضرورة تفتيت العراق وتقسيمه إلى ثلاثة كانتونات. علمت روسيا والصين أن شهية أميركا للسيطرة والهيمنة لا حدود لها وأن الانصياع الصيني ـ الروسي لها في مجلس الأمن إنما يزيد في غيّها. بوتين يستعين بخطاب الأمن القومي الأميركي الذي تستعمله أميركا حول العالم للدفاع عن مجاله الحيوي حول حدوده. المفارقات لا نهاية لها في الوضع العالمي الحالي. الحكومة الكنديّة تفرض إجراءات قمعيّة بوليسيّة ضد محتجّين سلميّين في أوتاوا وتجمّد أرصدتهم وأرصدة من يتعاون معهم، فيما تتشدّق بشعارات الحرّية. السفارة الصينيّة في كندا لم يفتها المقارنة بين الخطاب الكندي في الدفاع عن حقوق المحتجّين في هونغ كونغ مقارنة بقمع المحتجّين في أوتاوا. بوتين يتحدّث عن الوضع على حدود روسيا، بصرف النظر إذا كان ذلك حقاً له أم لا. لكن أميركا استعملت الخطاب لغزو بلاد تبعد عنها نحو عشرة آلاف ميل.

بوتين يتحدّث عن الوضع على حدود روسيا، بصرف النظر إذا كان ذلك حقاً له أم لا. لكن أميركا استعملت الخطاب لغزو بلاد تبعد عنها نحو عشرة آلاف ميل

الوضع الاقتصادي الأميركي ليس مريحاً، والرئيس الأميركي يبدو حائراً في ما عليه أن يفعله. هو يحثّ أوروبا على اتخاذ مواقف صلبة، لكنه لا يستطيع أن يجاريها في ترجمة هذا التصلّب

لم تبدُ الإمبراطوريّة الأميركيّة في حالة ارتباك لا بل ذعر كما تبدو هذه الأيّام. وهي لم تتحضّر لهذه اللحظة. أحسن نيكسون وكيسنجر التحضير للحظة التوتر في العلاقة بين الجبّارين عبر تحسين العلاقة مع الصين. أمّن ذلك إمكانيّة محاصرة الاتحاد السوفياتي بجبّارَين، لا يتشاركان في الأيديولوجيا. لو أن الاتحاد السوفياتي استثمر في تحسين العلاقة مع الصين وإنهاء الشقاق الروسي ـ الصيني لكان ذلك قد أمدّ في عمر الاتحاد السوفياتي. أميركا اليوم تضرب خبط عشواء وتستعدي الصين وروسيا معاً. صحيح أن الصين لم تساند الإعلان الروسي لكنها لم تعارضه. هي تراقب مستخلصة الدرس حول مواجهة محتملة (أو حتميّة) حول تايوان. السلوك الأميركي سهّل التوقّع: تصنيع التفوّق الأخلاقي والنطق بلغة القانون الدولي وإطلاق كلام يسهل توجيهه لإدانة كل سلوك الولايات المتحدة منذ الحرب الباردة (أو منذ الحرب العالميّة الثانية). أميركا بعدوانيّتها تدفع بالصين وروسيا لرصّ الصفوف وتدفع بهما لاتخاذ مواقف أكثر تشدّداً في مواجهة الولايات المتحدة في مجلس الأمن. خسرت أميركا مجلس الأمن حتى إشعار آخر.

العقوبات الأميركيّة باتت سلاحاً مفضّلاً وهو سلاح قاتل. التبادلات التجاريّة خاضعة للسيطرة الأميركيّة بحكم هيمنة الدولار وهي سهلة المراقبة في العصر الإلكتروني. إرسال مبلغ بضع مئات دولارات يتطلّب ملء قسيمة طويلة في مكاتب «وسترن يونيون». قضت أميركا بعد 11 أيلول على حريّة التبادل... المالي الرأسمالي. لكن سلاح العقوبات له أجل محدّد. يمكن تشكيل جبهة عالميّة لإيجاد بدائل. الصين وروسيا تتحضّران لذلك (كتب عامر محسن هنا قبل أيّام عن استبدال نظام «سويفت»). وهل إن الحكومة الأميركيّة في عهد الرئيس الأقل شعبيّة قادرة على تحمّل أعباء مالية جديدة بسبب تدهور الاقتصاد ونحن على أعتاب أقلّ من سنة للانتخابات النصفيّة التي ستنهي على الأرجح السيطرة الديموقراطيّة على الكونغرس؟ والعقوبات رفعت سعر برميل النفط إلى مئة دولار وهذا سيفيد روسيا وسيضرّ أميركا التي تتقرّر فيها مصائر الحزب الحاكم أحياناً بناء على أسعار المحروقات في محطات البنزين.

الحرب الباردة لم تتوقّف بالنسبة لأميركا لأن عناوينها لم يكن فقط صراعها ضد الاتحاد السوفياتي. هي كانت تحارب كل الحركات والأنظمة التي كانت تعارض المشيئة الأميركيّة. أميركا كانت تحارب عبد الناصر حتى عندما كان يمنع العمل الشيوعي في مصر لأن الأساس بالنسبة إليها هو منع حزيّة الشعوب وحماية مصالح الغرب وإسرائيل. هذه الحرب الدعائية التي توخّضها أميركا تستعير من زمن الحرب الباردة. ودور الإعلام الغربي (الليبرالي في معظمه) لا يزال إعلاماً حكومياً دعائياً. إعلام الغرب حرّض للحرب لا بل إن إجماعاً ساده هذا الأسبوع تمحور حول خطيئة عهد أوباما لأنه لم يقصف سوريا كما يجب عندما وضع «خطاً أحمر». إعلام الغرب وإعلام الخليج بات يتوافق على ضرورة استخدام المزيد من القوّة في السياسة الخارجيّة الأميركيّة. يلومون أميركا لأنها وديعة ومسالمة بإفراط.

عالم العلاقات الدولية يتشكّل من جديد. نشبت الحرب أم لم تنشب الزمام يتملّص من يد أميركا. لن تصبح روسيا اتحاداً سوفياتياً ولن تعزف أميركا عن محاولة السيطرة على العالم لكن جرائم أميركا وأكاذيبها تلاحقها منذ نهاية الحرب الباردة. هي تدفع اليوم ثمن أكاذيبها لروسيا. أميركا وعدت روسيا بعد سقوط جدار برلين بأن الـ«ناتو» لن يتوسّع شرقاً. والصحافة الألمانيّة (كما كتب «ذا ديسيدنت») وجدت دلائل على صحّة خبر الوعد الأميركي الذي تنفيه الحكومة الأميركيّة والصحافة الغربيّة الموالية عن أن أميركا كانت قد وعدت روسيا في عام 1991 بأنها لن توسّع الـ«ناتو» نحو الشرق. وأميركا عريقة في الحنث بالوعود والتعهّدات والمعاهدات، منذ عهد الاتفاقيات التي كانت توقّعها مع قبائل السكّان الأصليّين. وليس نقض الاتفاقيّة الخاصّة بالسلاح النووي الإيراني إلا مثالاً على سلوك أميركا في العلاقات الدوليّة. أميركا توقّعت أن يكون بوتين مثالاً للحاكم الروسي الدمية الذي يطيع الأوامر مقابل تمويل (لحكومته ولعصابته من الفاسدين). أميركا تعاملت مع العالم بعد انهيار الاتحاد السوفياتي كما المنتصرين في الحرب الثانية: أن العالم لها، لا تتقاسمه مع أحد، ومن يعترض هناك القوة المسلّحة بانتظاره مصحوبة بعقوبات قاتلة ـ حرفياً قاتلة، لأن عقوبات أميركا تقتل الشعوب.

مجلس الأمن كان مطواعاً للمشيئة الأميركيّة، وشكّل مصدر ذرائع ومخرج تفسيرات للحروب والغزوات الأميركيّة. وكانت الحرب ضد الإرهاب بعد 11 أيلول الطريق السهل لأميركا كي تنشر قوات حول العالم. الصين وروسيا راقبتا السلوك الأميركي وتعاونتا على تمرير المشاريع الأميركيّة والحروب لكن بعد غزو ليبيا باتت الدولتان تخشيان على مصالحهما. تقول الـ«إيكونومست» في تعليقها على الأحداث في أوكرانيا إن بوتين سيشكّل الدافع الأكبر للقومية الأوكرانيّة أكثر بكثير من لينين في احترامه لحق الشعوب في تقرير مصيرها في الإمبراطوريّة. لكن أميركا في سلوكها تغذّي ليس فقط القوميّة في الصين وروسيا بل أيضاً تلعب دوراً في حث الدولتيْن، ومعهما دول أخرى، على تشكيل جبهة عالميّة مناهضة للهيمنة الأميركيّة. أميركا كانت متحمّسة لتغذية الصراع في أوكرانيا أكثر من أوكرانيا وهي التي حثّت ألمانيا على توقيف أنبوب الغاز. أميركا استثمرت في تصليب موقف الحكومة الأوكرانيّة، وفرض شراء باهظ للسلاح الأميركي. أميركا لا تريد حلولاً سلميّة وهي نشرت قوات لها في عدد من دول أوروبا الشرقيّة (أكثر من 14 ألف جندي) قبل أن تتحرّك القوّات الروسيّة في الإقليميْن المنفصلَيْن. أميركا صمّمت أن تبقى أوكرانيا، على حدود روسيا، دولة تابعة لها للضغط على روسيا ومحاصرتها من كل الجهات. وهي لا تفهم سبب القلق الروسي مع أنها نشرت صواريخ لها في سلوفانيا ورومانيا، وقريباً ستنشر في بولونيا.

الإمبراطوريّة الأميركيّة تعلم أنها لن تخلد لكنها لن تسلّم بذلك سلميّاً. العمليّة ستستغرق سنوات وربما عقوداً لكنها ستحتاج إلى حروب وغزوات لتثبيت المواقع. لكن الإمبراطوريّة ليست في وضع يسمح لها باستعمال القوة المسلّحة بنفس سهولة الثلاثين سنة الماضية. حرب العراق وأفغانستان كانت فشلاً ذريعاً، والوضع الاقتصادي الأميركي ليس مريحاً، والرئيس الأميركي يبدو حائراً في ما عليه أن يفعله. هو يحثّ أوروبا على اتخاذ مواقف صلبة، لكنه لا يستطيع أن يجاريها في ترجمة هذا التصلّب. هذه أزمة بداتها أميركا عندما دعمت انقلاباً في أوكرانيا في 2014، ثم دعمت موقف الحكم الدمية الجديد في إهمال اتفاقيّة «منسك» التي كانت تقضي باحترام وضع الإقليميْن الشرقيّيْن في أوكرانيا واللذيْن كانا يتعرّضان لقصف مستمر على مدى ثماني سنوات. التدخّل العسكري الروسي سيرسم خريطة جديدة من المواقع والتحالفات وأميركا ستزيد من أفعالها الاستفزازيّة ومن حروبها وعقوباتها ضد الشعوب. لكن الموقف العربي المتحمّس للتدخل الروسي لا مبرّر له، كما ذكّر إبراهيم الأمين، إلا من ناحية أن هناك مَن يتحدّى أميركا للمرّة الأولى في أوروبا بعد الحرب الباردة. صحيح أن بوتين صديق إسرائيل (كما أن الرئيس الأوكراني هو صهيوني صفيق) لكن تحدّي الإرادة الأميركيّة يشفي ـ وإن قليلاً ـ غليل من عاش ومات تحت وطأة القنابل والصواريخ الأميركيّة في بلادنا.

الإمبراطورية الأميركية تعلم انها لن تخذ لكنها لن تسلّم بذلك سلمياً (أ ف ب)

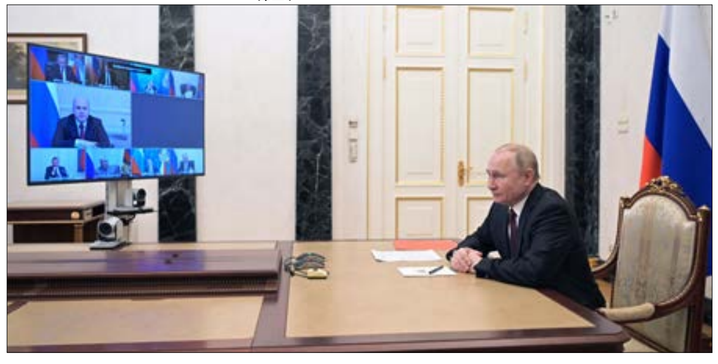

ادخل خطاب بوتين الشامل عن أوكرانيا العالم في حقبة جديدة تؤرّخ لنهاية ما بعد الحرب الباردة (أ ف ب)

مقالة

النتيجة الأولية للحرب: انجلاء العجز الغربي

وليد شرارة

هل كان من الممكن أن تتدخّل روسيا عسكرياً ضدّ «الثورة البرتقالية» في أوكرانيا في 2004، والتي هدفت إلى تصفية بقايا نفوذها في هذا البلد، وضمّه إلى المعسكر الأطلسي؟ من الممكن طرح السؤال نفسه بالنسبة إلى الموقف الروسي من «ثورة الورود» التي وقعت في جورجيا قبل عام من أحداث أوكرانيا، في 2003، وسعت إلى تحقيق أهدافها عينها. روسيا كانت مدركة أن هذه «الثورات الملوّنة» كانت مندرجة ضمن استراتيجية الغرب لاحتوائها وتطويقها، لكن موازين القوى بينها وبين الغرب لم تكن تتيح لها التحرّك بسرعة وبقوّة للتصدّي لها. التدخّل العسكري الروسي في أوكرانيا مؤشّر حاسم إلى انقلاب هذه الموازين. يقول نيل فيرغسون، المؤرّخ البريطاني ـ الأميركي المحافظ والمسكون بالحنين الماضوي إلى أمجاد الإمبراطوريّتين البريطانية ومن ثمّ الأميركية، في مقال له على موقع «ذي سبيكتاتور»، بعنوان «فلاد الغازي: بوتين يسعى إلى إعادة بناء الإمبراطورية الروسية»، إن «الحرب، وفقاً للمنظّر العسكري البروسي كلاوزفيتز، هي استمرار للسياسة بوسائل أخرى. أجيال من الديموقراطيين، الأميركيين والأوروبيين، يرغبون في نسيان هذه الحقيقة. ذعرهم من عنف الحروب دفعهم إلى البحث، بلا جدوى، عن بدائل تغنيهم عن خوضها. عندما أمر بوتين بضمّ القرم في 2014، كان ردّ أوباما عقوبات اقتصادية. وعندما تدخّل الأوّل في الحرب الأهلية السورية، لجأ الثاني وغيره من القادة الغربيين إلى الخطابات المستهجنة. وعندما أصبح واضحاً أن بوتين ينوي القيام بتوغّل عسكري جديد وواسع في أوكرانيا، اختار بايدن وفريقه الردّ بالعقوبات مرّة أخرى... والذين يخشون الحرب يقاربون الدبلوماسية بطريقة خاطئة، ويَفترضون أنها بديل من الحرب. إن لم تكن مستعدّاً للحرب، ولو كخيار أخير، فإن المفاوضات ستسمح بأفضل الأحوال بتأجيل عدوان الطرف المقابل».

عدم استعداد الغرب، وفي الواقع عجزه المتزايد، عن خوض حروب كبرى وتحمّل أكلافها، بعد التجارب الدامية في أفغانستان والعراق، ومعارضة القطاع الأعظم من شعوبه لها، وخاصةً إذا لم تكن مرتبطة بالدفاع عن بلاده ضدّ تهديد مباشر لها، هو من بين أبرز العوامل التي تفسّر القرار الذي اتّخذه الرئيس الروسي حيال أوكرانيا. نقطة أخرى ينبغي الالتفات إليها عند تناول القدرة العسكرية للولايات المتحدة، وهي أن الأخيرة، منذ صيرورتها قوة دولية في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، لم تخض حروباً سوى ضدّ أطراف تتمتّع تجاهها بتفوّق نوعي ساحق، ككوريا الشمالية وفيتنام وكمبوديا وأفغانستان والعراق. وهي بالنتيجة، هُزمت في جميع هذه الحروب بعد سنين طويلة من الصراع. غير أنها لم تتورّط أبداً في نزاع مباشر مع قوّة لديها قدرات عسكرية متساوية، بدرجة أو بأخرى، لتلك التي تمتلكها. هي تُشهر في وجه روسيا، التي تُعتبر أنها في خضمّ معركة تذود فيها عن أمنها القومي، سلاح العقوبات الاقتصادية، وتراهن على وقوعها في شرك احتلال مديد لأوكرانيا يُحوّلها إلى أفغانستان جديدة. يتناسى أصحاب مثل هذه الرهانات، من مسؤولين وخبراء أميركيين، أن القياديّين السياسية والعسكرية في روسيا لن تُكرّرا خطأ أفغانستان، على عكس الولايات المتحدة التي كرّرت خطأ فيتنام عندما غزت أفغانستان والعراق. وحتى مفكّر معادٍ لبوتين كفرغسون، في المقال المذكور سابقاً، يؤكد أن «بوتين لن يرتكب مجدّداً خطأ بريجنيف في أفغانستان أو بوش الابن في العراق. الرئيس الروسي، على الأغلب، سيشنّ عملية عسكرية سريعة ومدمّرة غايتها إلحاق أضرار بالغة بالقوات العسكرية الأوكرانية وبنياها التحتية، يليها تغيير نظام، عبر إستبدال فلوديمير زيلنسكي برئيس من نوعية فكتور يانوكوفيتش، الذي أُطيح به منذ 8 سنوات».

ستكون المآلات المواجهة الاستراتيجية الدائرة في أوكرانيا، وما يتبدّى خلالها من ضعف وعجز أميركي وغربي، تداعيات مهمة على تلك المرشّحة للاحتدام بين وأشنطن وبيكين. تعزيز موقع روسيا في مقابل الولايات المتحدة، المضطرّة إلى حشد المزيد من القوات في الدول الأعضاء في «الناتو» على المسرح الأوروبي، يطرح دون تركيز الولايات المتحدة لقدراتها حصراً ضدّ الصين. أنجيلا ستينت، الخبيرة في شؤون روسيا في جامعة جورج تاون، رأت في مقابلة مع «نيويوركر»، أن «فلاديمير بوتين ما كان ليُقدم على هذا العدوان، في هذا التوقيت، ما لم يكن أكيداً من الدعم الصيني. هو عرف أن الصين ستسانده مهما حصل. إدراك هذا الأمر أساسي لفهم ما يفعله الرئيس الروسي». الوقوف مع روسيا لإلحاق هزيمة سياسية جديدة بالولايات المتحدة، بعد خروجها المذلّ من أفغانستان، وإضعاف هيبتها ومكانتها على الصعيد العالمي، ضرورة استراتيجية بالنسبة إلى القيادة الصينية، لأنه سيقود إلى تراجع أكبر في هيمنتها. هو سيشجّع كذلك خصومها في الشرق الأوسط وأميركا اللاتينية وغيرها من بقاع الجنوب على تصلّب أشدّ في مواجهتها.

قضية

بوحبيب كتب وميقاتي عدّل... وشقير وافق

بيان الخارجية: الرئيس لم يكن يعلم

رلى إبراهيم

الأزمة التي فجّرها بيان وزارة الخارجية، أول من أمس، بإدانة «الاجتياح» الروسي للأراضي الأوكرانية، تفاعلت أمس، ولا سيما لجهة موقف رئيس الجمهورية ميشال عون الرافض لمضمون البيان. الرواية التي حصلت عليها «الأخبار» من مصادر عدة، تقاطعت عند إصرار رئيس الحكومة نجيب ميقاتي على وجوب إصدار بيان حول ما يحصل في أوكرانيا. وهو تواصل لهذا الغرض مع وزير الخارجية عبد الله بوحبيب الذي أبلغ رئاسة الجمهورية طلب ميقاتي. وأعدّ بوحبيب مسودة بيان «رمادية»، حملها الى بعبدا الخميس، أثناء انعقاد اجتماع وزاري لمناقشة مسألة الكهرباء في حضور ميقاتي. على هامش الاجتماع، عُقدت خلوة ضمت رئيس الحكومة ووزير الخارجية ومستشار رئيس الجمهورية أنطوان شقير، عرض خلالها المسودة على ميقاتي، فاصرّ الاخير على إيراد تضمينها عبارة تدين «الاجتياح الروسي»، فيما لم يبد أي معارضة. عندها، أصدر بوحبيب البيان بصيغته النهائية بعد تعديلات رئيس الحكومة.

وبحسب المعلومات، فإن شقير لم يطلع رئيس الجمهورية على الصيغة المعدّلة ما دفع عون إلى تأنيبه لاحقاً. وثمة من يربط بين أداء المستشار الرئاسي وبين وعد تلقاه من ميقاتي بالموافقة على تعيينه سفيراً لدى الفاتيكان ضمن

> **باسيل اتصل بالسفير الروسي: بيان الخارجية اللبنانية لا يعبّر عن رأينا**

التعديلات الدبلوماسية التي وعد رئيس الحكومة بوضعها على جدول أعمال الجلسة المقبلة. فيما تؤكد مصادر مطّلعة أن موقف ميقاتي جاء بطلب مباشر من السفيرة الأميركية في لبنان دوروثي شيا، وهو ما أبلغه الى رئيس الحزب الاشتراكي وليد جنبلاط عندما هاتفه الأخير مستنكراً مضمون البيان.

هكذا، قررت حكومة الحرص على «الحياد» و«الناي بالنفس» أن تغادر الناي الذي لا يتناسب مع أجندة السفيرة الأميركية، واستعجل رئيس الحكومة ومعه الفريق «السيادي» والحيادي الذي أقام الدنيا وأقعدها على تصريح لوزير الإعلام السابق جورج قرداحي حول العدوان السعودي على اليمن، الاصطفاف السياسي بناءً على مصالح أميركية. وفي إطار تصويب الموقف اللبناني، أجرى رئيس التيار الوطني الحر جبران باسيل اتصالاً بالسفير الروسي في لبنان الكسندر روداكوف أمس أبلغه فيه أن البيان الصادر عن الخارجية اللبنانية «لا يعبّر عن رأينا»، وأكّد التمسك بـ«سياسة الناي بالنفس». وقالت مصادر التيار إن الاتصال ساهم في إزالة «سوء التفاهم»، وخصوصاً مع إشارة رئيس التيار الى عدم وجود إجماع لبناني حول البيان، وتأكيد تعرّض بوحبيب لضغوط. في حين قالت مصادر قريبة من رئيس الجمهورية إن موقف باسيل يعكس موقف عون، وسيكون هذا الموضوع على طاولة البحث خلال زيارة مستشاره للشؤون الروسية أمل أبو زيد موسكو الأسبوع المقبل للقاء نائب وزير الخارجية الروسي ميخائيل بوغدانوف. وأكدت المصادر أن «عون لم يكن على اطلاع كامل على البيان، رغم مناقشة المسودة في بعبدا»، مشيرة إلى أن بوحبيب لا يمكن أن يصدر بياناً من دون استشارة رئيس الجمهورية أو رئيس الحكومة، «والواضح أنه استشار الثاني».

وفي جلسة مجلس الوزراء أمس، أثير موضوع البيان بشكل سريع بعد ادانة وزير العمل مصطفى بيرم لمحتواه ومعاتبته لعدم استشارة فريقه قبل اصداره، ليقفل الحديث على ذلك.

إلى ذلك، انتقدت السفارة الروسية في بيروت أمس «مخالفة لبنان سياسة الناي بالنفس وتموضعه إلى جانب طرف ضدّ طرف آخر». وأبدت في بيان «دهشتها لهذه المخالفة»، مذكّرة بأن روسيا «لم تُوفّر جهداً في المساهمة بنهوض لبنان واستقراره».

واستغرب مسؤول في قسم الشرق الأوسط وأفريقيا في الخارجية الروسية، في اتصال مع «الأخبار»، مقارنة البيان الحرب في أوكرانيا بالاجتياحات الإسرائيلية للبنان في الفقرة التي تتحدث عما «شهده تاريخ لبنان الحديث من اجتياحات عسكرية لأراضيه ألحقت به وبشعبه أفدح الخسائر التي امتد أثرها البالغ لسنوات طويلة على استقراره وازدهاره»، وتساءل عن «صدق نيات المسؤولين اللبنانيين الذين يزورون موسكو لطلب المساعدة والدعم في حل المشكلات الداخلية والإقليمية من منطلق موقع روسيا الدولي».

إلا أن تداعيات بيان الخارجية لم تثن بوحبيب عن إكمال خريطة المواجهة المرسومة له. فكرّر خلال استقباله سفيرَي فرنسا وألمانيا أمس لشكره على البيان تثبيت لبنان بموقفه «والتزام مبادئ الشرعية الدولية والقانون الدولي، التي تشكّل الضمانة الأساسية لحماية السلم والانتظام الدوليَين وسلامة أراضي الدول الصغيرة»، مشيراً الى «معاناة لبنان الأمرّين من الاحتلال الإسرائيلي وانتهاكاته المستمرة حتى اليوم». السفيران الأوروبيان طلبا من بوحبيب مشاركة لبنان في «تبنّي القرار المقدّم أمام مجلس الأمن ضدّ روسيا والتصويت عليه في الجمعية العامة لاحقاً»، فأبلغهما امتناع لبنان عن المشاركة في تبنّي القرار وأنّه سيتم درس الموقف اللبناني لناحية التصويت في حال إحالة القرار إلى الجمعية العامة، بالتشاور مع المجموعة العربية».

بولندا تواظب على إدخال اللبنانيين

تتفاعل قضية الطلاب اللبنانيين في أوكرانيا، ولا سيما مع اعتصام أهاليهم مطالبين بإجلائهم. هذا الأمر كان مدار نقاش في اللجنة التي شكلتها وزارة الخارجية، حيث جرى الاتفاق على وضع تطبيق هاتفي للبنانيين في أوكرانيا للتواصل مع السفارة ورابط إلكتروني لتسجيل الراغبين في المغادرة أسماءهم، علماً بأن مصادر الخارجية أشارت الى أن الوزارة دعت قبيل أيام من اندلاع الأزمة الى مغادرة من يرغب على مسؤوليته. وقد استدعى وزير الخارجية عبد الله بوحبيب أول من أمس سفيرَي بولندا ورومانيا للحصول على موافقة بلديهما على تسهيل مغادرة اللبنانيين عبر حدودهما البرية، وقد أعلنت بولندا أمس السماح للبنانيين الموجودين في أوكرانيا بعبور حدودها من دون تأشيرة لفترة لا تتعدى 15 يوماً، فيما ستمنح رومانيا تأشيرات مجانية للراغبين بعبور حدودها من الأراضي الأوكرانية. كذلك جرى التواصل مع الجانبين الأوكراني والروسي لتسهّل أوكرانيا طلب المغادرة وتسمح روسيا بدخول الوافدين إليها. كما طلب بوحبيب من السفيرة الفرنسية آن غريو أن تشمل بلادها اللبنانيين في أي خطة لإجلاء رعاياها.

أوكرانيا لبنانياً: الانقسام تجاه السياسة الغربية

دخلت الحرب الروسية - الأوكرانية عاملاً من عوامل الانقسام السياسي في لبنان. إذ إن آثارها ستعيد رسم حدود سياسية في المنطقة، وتساهم في تكريس صورة تراجع النفوذ الغربي

هيام القصيفي

لا يمكن تخطّي ما يحصل في أوكرانيا، ليس بسبب أزمة القمح العالمية وارتداداتها في لبنان الذي بدا مسؤولوه وكأنهم فوجئوا بها، فلم يعملوا على إعداد مخزون قمح كاف، بل بما تثيره الحرب التي اندلعت من مقارنات سبق أن عاشها اللبنانيون.

لم يتابع عموم اللبنانيين تطورات مالي ولا الانسحاب الفرنسي، ولا أخبار الانتخابات الرئاسية في باريس، أو مناقشات مجلس العموم البريطاني حول أداء رئيس الوزراء بوريس جونسون. لكن أوكرانيا تحوّلت حدثاً سياسياً وكأنها على الأطراف اللبنانيين. ورغم أن قوى 8 آذار حوّلت موسكو واحدة من القوى التي تريد من خلالها تصويب اليومية. وكشفت في الوقت نفسه الانقسام السياسي والشعبي تجاه أزمة عالمية.

في 13 تشرين الأول 1990، دخلت القوات السورية القسم الشرقي من بيروت على وقع قصف جوي وبري. حتى اليوم، لا يزال صوت الطائرات السورية يتردد صداه فوق القصر الجمهوري. بين 1990 و2005، عاش فريق من اللبنانيين المعادلة نفسها، حين «تخلى» الغرب، والأميركيون تحديداً، عنهم، فتولّت سوريا رعاية الوضع اللبناني. ولعل هنا مكمن الانقسام اللبناني حيال الحرب الروسية - الأوكرانية. ورد الفعل لا يتعلق بمسميات هذه الحرب ولا في النظر إليها من زاوية إنسانية بعد أخبار الموت والتدمير والتهجير والنزوح التي عرفها اللبنانيون طوال حروبهم. بل تتعلق بما قامت به دول أوروبية وواشنطن حيال أوكرانيا، قبل الأزمة وبعد اندلاع الحرب. فروسيا، كدولة، لم تشكّل في حد ذاتها عامل انقسام بين قوى 8 و14 آذار في لبنان. إذ لم تقف ضد أي قوة لبنانية لا في الحرب ولا بعدها. ومنذ أن تكرّس الانقسام اللبناني بين قوتين سياسيتين عام 2005، وخلال حرب تموز وبعدها، نسجت موسكو علاقات متوازنة مع الأطراف اللبنانيين. ورغم أن قوى 8 آذار حوّلت موسكو واحدة من القوى التي تريد من خلالها تصويب الاتجاه الاقتصادي شرقاً أو نسج علاقات تتعلق بالمسيحية المشرقية. لكنها كدبلوماسية سعت إلى إقامة توازن لم يعكّره دورها في سوريا.

فحرب سوريا ساهمت في تقريب موسكو من المتوسط، لكنها لم تغرقها في الرمال اللبنانية إلى الحد

> **اي تعثر غربي في اوكرانيا يعني بالنسبة إلى الفريق المناهض لمحور إيران خطوة إضافية إلى الوراء**

الذي يمكن معه فرز اللبنانيين مع روسيا أو ضدها بالمطلق. يمكن لأداء بوتين نفسه أن يشكل عامل استفزاز أو العكس، نتيجة تعامله مع قوى المعارضة داخل بلاده، وطموحه إلى استعادة أمجاد الإمبراطورية. لكن الحرب الأوكرانية جعلت اللبنانيين والأطراف السياسيين يتماهون مع طرفي الحرب: فريق مع روسيا وآخر مع أوكرانيا. وعمق الانقسام يتعلق بالرؤية تجاه الدول الغربية وواشنطن تحديداً في ما آلت إليه أوضاع أوكرانيا، واحتمال إسقاط المشهد الأوروبي والأميركي على لبنان انطلاقاً من التجارب السابقة.

منذ أن هدد الرئيس باراك أوباما بضربة لم تحصل على سوريا بسبب الأسلحة الكيميائية، وصولاً إلى أداء الرئيس الأميركي جو بايدن في الشرق الأوسط بعد خروج الرئيس الجمهوري دونالد ترامب، ثمة ما يقلق حلفاء واشنطن من تداعيات السياسة «الديموقراطية» على لبنان كواحدة من ساحات تتخبط تحت وطأة القرار الأميركي بالانسحاب من المنطقة بالمطلق أو عدمه. لذا، من الطبيعي أن يتماهى أفرقاء لبنانيون مع الأوكرانيين تحت وطأة الدخول الروسي، لأن كل التحذيرات الغربية لروسيا لم تكن بالحجم الذي يخيف بوتين، تماماً كما حال العقوبات الأميركية وبعض القرارات الدولية التي سبق أن عرفها لبنان ولم تنفذ، أو البيانات التي تدعو إلى احترام المواعيد الدستورية الانتخابية يوم طاول التمديد لمرات السلطة التنفيذية والتشريعية.

والتلويح الأوروبي بعقوبات على روسيا يشبه تماماً تحذيرات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بعقوبات على سياسيين لبنانيين، وإقناع الاتحاد الأوروبي بخطوات مماثلة لم يتحقق منها شيء، والدول الأوروبية عالقة في مواسم انتخابية (كفرنسا)، أو معالجة أوضاع داخلية متعثّرة بعد أزمة كورونا، وستنشغل أكثر مع تداعيات حرب أوكرانيا والخوف من اللاجئين والآثار الاقتصادية وفي مقدمها مشكلة الغاز. ومع التردد الأميركي على مستوى اتخاذ القرار، واحتمالات الاتفاق النووي مع إيران، تصبح قيادة روسيا الحرب واحدة من المشكلات التي أصبحت فجاة في صلب الاهتمام اللبناني، لأن تداعياتها أشمل من وصول نازحين إلى لبنان، كما حصل مع النازحين السوريين، أو تعذر إمدادات القمح، وتدخل روسيا في الشؤون اللبنانية، بل يتعلق بتعاظم انحسار الدور الغربي. فبيروت على موعد مع استحقاقات نيابية ورئاسية وعلى موعد مع تحديات اقتصادية ومالية، وأي تعثر غربي كما يحصل على مستوى أوكرانيا، يعني بالنسبة إلى الفريق الذي يناهض محور إيران، خطوة إضافية إلى الوراء، لا سيما أن الخشية من مقايضات تتعلق بالاتفاق النووي وبحدود يمكن أن ترتسم مع حرب بوتين، يجعل من حدث أوكرانيا حدثاً لبنانياً، أكبر من النقاش «الثقافي» الذي يدور بين اختصاصيين أوروبيين حول الديموقراطية والديكتاتورية ومفاهيم روسيا القديمة وأحلامها.

الأسعار إلى ارتفاع: نفط وقمح وذرة وزيوت

يتوقع أن تزداد أسعار المشتقات النفطية في السوق المحلية من بنزين ومازوت وغاز، في الأسابيع الثلاثة المقبلة، بزيادة أسبوعية أو حتى نصف أسبوعية تبلغ 15 ألف ليرة لكل صفيحة. سبب الزيادة، كما هو واضح، الارتفاع في الأسعار العالمية التي قفزت بسبب التطورات العسكرية الجارية بين روسيا وأوكرانيا حالياً. فقد قفزت أسعار النفط إلى ما فوق 104 دولارات للبرميل الواحد، وانعكس هذا الأمر على المشتقات النفطية، فارتفع سعر طن البنزين من 900 دولار إلى 960 دولاراً، كما سجّل سعر المازوت ارتفاعاً مماثلاً. لكن هذه الزيادات ليست نهائية بعد، والأسعار مرشحة لمزيد من الارتفاع، إذ إن السيناريو الذي يُحتسب على أساسه ارتفاع السعر في السوق المحلية هو أن التسعير يتضمن متوسط الأسعار العالمية في الأسابيع الأربعة الأخيرة، وبالتالي فإن تحقق كامل الزيادة يتطلب في الحدّ الأدنى أربعة أسابيع، علماً بأنه خلال هذه الفترة قد تتغير الأسعار نحو الارتفاع أو الانخفاض وتؤثر على المتوسط الذي يحتسب على أساسه السعر للمستهلك في لبنان.

لكن المشكلة لا تنحصر بالمشتقات النفطية التي تنطوي على تزايد العجز في الميزان التجاري، وبالتالي تزايد العجز في ميزان المدفوعات، بل تتعلق أيضاً بسلاسل توريد السلع الآتية من البحر الأسود، ولا سيما من روسيا وأوكرانيا. فهذان البلدان هما المصدران الأساسيان للقمح إلى لبنان، ولمجموعة من السلع الأساسية مثل مشتقات النفط والخشب والزيوت وبعض المنتجات النباتية.

حجم التبادل التجاري بين لبنان وروسيا يبلغ 527 مليون دولار، غالبيتها مواد نفطية وقمح. أما حجم التبادل التجاري بين لبنان وأوكرانيا، فيبلغ 272 مليون دولار؛ أبرزها القمح والزيوت والخشب.

إذاً، تداعيات العمليات الروسية على النشاط التجاري انطلاقاً من البحر الأسود لن تكون متصلة فقط بتأثيرها على أسعار السلع المتداولة في البورصات العالمية كالنفط والقمح والذرة ومنتجات العلف، بل تتصل أيضاً بإنتاج وتوريد السلع من البلدان التي يرتبط تصديرها بالبحر الأسود. مولدافيا مثلاً ليس لديها مرافئ تصدير، وكانت تخزّن القمح لدى أوكرانيا وتصدّره من هناك. فالقمح سلعة استراتيجية ولا تقاس فقط بكمية الدولارات التي ستنفقها لشراء مخزون، بل بمدى كفاية هذا المخزون للاستهلاك. والقمح الأوكراني أو الروسي لا يأتي فقط إلى لبنان، بل يذهب إلى غالبية دول حوض شرق المتوسط، وبالتالي فإن انعكاس الطلب على هذه السلعة سينعكس ارتفاعاً إضافياً في الأسعار ومزاحمة للحصول على الكميات.

وما يفاقم المشكلة أكثر العقوبات التي

> **سعر صفيحة البنزين سيرتفع بمعدل 15 الف ليرة اسبوعياً أو كل نصف اسبوع في الاسابيع الثلاثة المقبلة**

سيفرضها الأميركيون والأوروبيون على روسيا. إذ إنها ستؤدي بعد انتهاء الأعمال العسكرية إلى مشاكل إضافية في شراء الكميات وتسديد ثمنها، وبالبحث عن مصادر توريد جديدة، وبالتالي فإن ارتفاع الأسعار سيبقى لفترة أطول بعد انتهاء الأعمال العسكرية.

المشكلة ستكون مضاعفة في لبنان. فارتفاع أسعار النفط يعني ضغطاً إضافياً على الدولار، سواء الطلب من السوق الحرة أو التمويل بواسطة الدولارات المتوافرة لدى مصرف لبنان من مخزون الاحتياطات بالعملات الأجنبية. هذا الأمر يؤدي إلى استنزاف إضافي للدولارات، وضغط إضافي على سعر الصرف. والمشكلة لن تكون فقط في هذا الأمر، إن إن وجود السلع سيكون رهناً بمدى قدرة لبنان على تأمين مصادر بديلة من روسيا وأوكرانيا، ولا سيما للسلع الأساسية. في كل الأحوال، أدى ارتفاع أسعار النفط وزيادة المخاوف من الأعمال العسكرية إلى ارتفاع كلفة النقل والشحن والتأمين وسائر الأكلاف المرتبطة بها، وبالتالي سنشهد ارتفاعاً في أسعار السلع التي ليس لها بديل منتج محلياً.

(الأخبار)

(هيثم الموسوي)

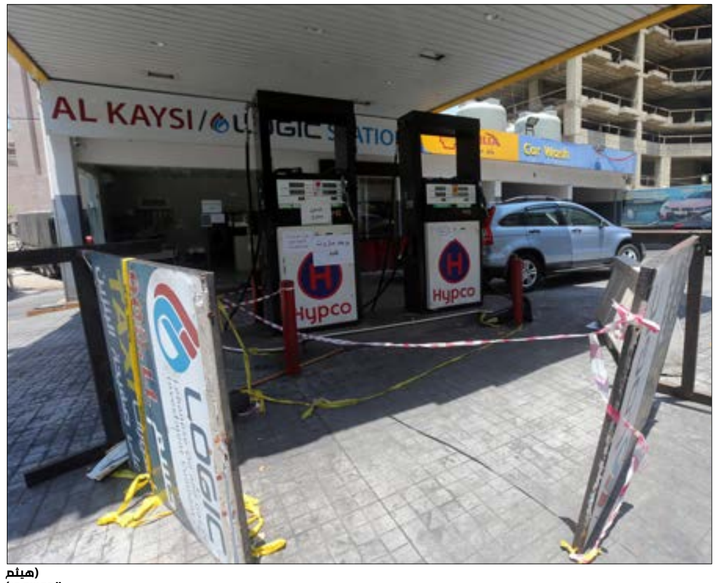

(هيثم الموسوي)

الجالية اللبنانية تدين الانحياز الى أميركا

عبرت الجالية اللبنانية في روسيا عن «الدهشة والاستغراب لبيان الخارجية اللبنانية الجاهل للحقيقة وللأوضاع بين روسيا وأوكرانيا». ووصفت هذا الموقف في بيان بأنه «منحاز الى أميركا ولم يأخذ بمصالح اللبنانيين في روسيا ويضرّ بالعلاقات اللبنانية ـ الروسية». وسجلت اعتراضها على «البيان المشبوه والمجحف بحق روسيا والعبارات التي تجافي تاريخ روسيا صاحبة الأيادي البيضاء في دعم لبنان ونصرته. وكان الأجدر بالدولة اللبنانية أن تهتم بتأمين الماء والكهرباء والعيش الكريم لشعبها». وطالبت الجالية بإعادة تصويب الدولة لموقفها وأن تكون على مسافة واحدة من روسيا وأوكرانيا.

قضية اليوم

إقرار ملتبس لخطّة الكهرباء

بشكل ملتبس، أقرّت الحكومة أمس «موافقة مبدئية» على خطّة الكهرباء، وربطها بمجموعة شروط يفترض تضمينها في الخطة بشكل واضح تمهيداً لإعادة عرضها على مجلس الوزراء وإقرارها. «الموافقة المبدئية»، بمعنى آخر، هي إرجاء للمشكلة التي لم تستطع الحكومات المتعاقبة أن تجد حلّاً لها منذ عقود. وممارسة هذا التأجيل بدلاً من السلوك المعتاد لقوى السلطة في السجال المباشر والعلني، مرتبط بما اشترطه البنك الدولي لتمويل صفقات استجرار الكهرباء من الأردن وشراء الغاز من مصر لجهة أن تكون لدى لبنان خطّة كهرباء. لذا، فإن الموافقة المبدئية، تترجم ادعاء لبنان بأن لديه خطّة رغم أنها قد لا تكون خطّة توافقية قابلة للتنفيذ مستقبلاً

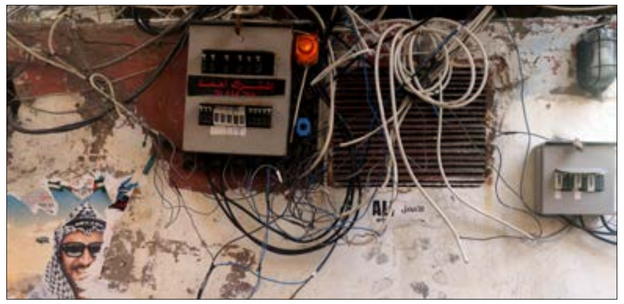
(هيثم الموسوي)

لم تأخذ خطة الكهرباء وقتاً طويلاً في النقاش الحكومي، رغم أنها الأكثر سخونة بين الملفات المطروحة سابقاً وحالياً. ففي جلسات محدودة وقصيرة، اتخذ القرار بإقرار الخطّة رغم الاعتراضات عليها، وأبرزها اعتراضات رئيس الحكومة نفسه نجيب ميقاتي الذي ادّعى في إحدى الجلسات أن شركته قادرة على إنشاء المعامل خلال 18 شهراً وتحقيق ربح أيضاً.

لكن فجأة، ومن دون اعتراضات علنية، أقرّ المجلس الخطّة التي لا تختلف كثيراً عن خطط وزراء الطاقة الآتين من التيار الوطني الحرّ. إنما هذه المرّة، وبسبب الحاجة الملحّة إلى تمويل البنك الدولي لاستجرار الكهرباء من الأردن وشراء الغاز من مصر لتشغيل معامل الإنتاج في لبنان بواسطتها، وبالتالي زيادة التغذية بالتيار لبضع ساعات إضافية، أقرّت الخطة بلا ضجّة. وبحسب قرار مجلس الوزراء في جلسة أمس، فإن قرار المجلس جاء بالموافقة المبدئية على «الخطة الوطنية للنهوض المستدام بقطاع الكهرباء»، شرط أن يصار إلى الالتزام بالنقاط الآتية:

ـ في وجوب تطبيق القانون الرقم 462 تاريخ 2002/9/2 (تنظيم قطاع الكهرباء) بشكل فوري ولا سيما في شقّه المتعلق بتشكيل الهيئة الناظمة وتسمية أعضائها بالمواصفات المعتمدة وفق المعايير الدولية.

ـ تأليف لجنة وزارية برئاسة وزير العدل وعضوية وزراء: الطاقة والمياه، الداخلية والبلديات، التربية والتعليم العالي والثقافة، مهمتها مراجعة قانون تنظيم قطاع الكهرباء 462 واقتراح ما قد تراه من ملاحظات تستدعي إجراء تعديلات عليه عند الاقتضاء ومن دون أن يحول ذلك بطبيعة الحال، دون تطبيق القانون بصيغته الراهنة تنفيذاً لما جاء في البند الأول.

> الموافقة «المبدئية» إرجاء لمشكلة لم تستطع الحكومات المتعاقبة أن تجد حلاً لها منذ عقود

ـ رفع التعرفة بعد تحسين التغذية ابتداء من 8 إلى 10 ساعات يومياً مع مراعاة وضع ذوي الدخل المحدود الذين لا يتجاوز استهلاكهم الشهري 500 كيلواط، ومراعاة وضع القطاعات الإنتاجية المستحقة بحيث يستفيد جميع هؤلاء من تعرفة خاصة. وفي هذا السياق، تلتزم الحكومة تعديل التعرفة بشكل تدريجي وعلى مراحل بالتزامن مع تحسين التغذية.

ـ وضع خطة لتحسين الجباية ولا سيما من خلال استعمال العدادات الذكية.

ـ إعداد دفتر الشروط اللازم للإعلان عن مناقصة بحسب الأصول وتهدف إلى تحسين الشبكة وإنتاج الطاقة وفقاً للمخطط التوجيهي بأقل كلفة بعد إجراء مراجعة لهذا المخطط عند الاقتضاء.

إذاً، رغم كل الصراخ الذي كان يعلو أي نقاش في خطط الكهرباء، فإن هذه الخطة أقرّت بشكل ملتبس ومؤجل رغم أنها ملف يوازي بسخونته خطة التعافي بكل تفاصيلها المتعلقة بتوزيع خسائر القطاع المصرفي. إنما المسألة في خطة الكهرباء ليست مفهومة بمقدار مسألة توزيع الخسائر. إذ بعكس مسألة توزيع الخسائر التي ستحمّل أطرافاً أكثر من غيرهم ما يولّد صراعاً كبيراً بين أطراف معروفة ستحاول خفض حصتها من الخسائر، لا توجد جهة على استعداد للتصريح بأنها تريد الانتفاع من ملف الكهرباء أو تقاسم هذا الانتفاع مع غيرها. فما ظهر في ملف الكهرباء خلال السنوات الماضية، أن هناك اتهامات متبادلة لا وضوح فيها. فهناك من يتهم التيار الوطني الحرّ بأنه يريد تكريس منشأة كهرباء في سلعاتا لأسباب انتخابية، أو من أجل صفقة ما، وفي المقابل هناك اتهامات بأن حركة أمل هي التي تعرقل تطبيق الخطّة. ورغم أن الطموح بأن تكون هناك منشأة في سلعاتا مصدرها سلوك التوزيع الطائفي لمعامل الكهرباء من الزهراني إلى الجية والذوق ودير عمار... فإن السؤال الأساسي هو: هل لبنان بحاجة إلى معامل منتشرة على كل الأراضي؟ هذه مسألة واحدة من القصّة الكاملة. فهل تمسّك حركة أمل بإنشاء الهيئة الناظمة هو مفتاح الحلّ للكهرباء؟ ما حصل عملياً خلال كل السنوات الماضية، أن السلطة امتنعت أو منعت تعزيز القدرة الإنتاجية لمعامل الكهرباء، ورفضت تطوير شبكة نقل وتوزيع قادرة على إيصال الكهرباء بوتيرة واضحة وبلا مشاكل إلى كل المناطق، ولم يتم بناء بنية تحتية للتحصيل والجباية والتسعير أيضاً حتى بعد خصخصة هذا المجال. والمفارقة أن خطّة الكهرباء تتطرق إلى كل هذه المسائل، لكن النقاش ينحصر منذ أكثر من 15 سنة بالهيئة الناظمة، وبخصخصة القدرات الإنتاجية وشراء الغاز بدلاً من الفيول الذي تحوم رائحة الصفقات حوله منذ عقود ولم يوقفه أحد بعد... في ظل كل هذه المفارقات، أظهر الانهيار أن تأمين الكهرباء ليس ممكناً بلا مساعدة الولايات المتحدة التي يفترض أن تسمح للبنان باستجرار الكهرباء من الأردن وشراء الغاز من مصر لتشغيل معامله بكلفة أقل... لكن ليس لدى لبنان أموال ليدفع ثمن هذه الخدمات والسلع، وبالتالي عليه أن يقترض من البنك الدولي الذي لا يوافق على كل ذلك بلا خطّة كهرباء. وبحسب تصريح صادر أخيراً عن المدير الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط في البنك الدولي كومار جاه، بعد زيارة ميقاتي، فإن كومار أبلغه أن تبنّي لبنان خطّة للكهرباء شرط أساسي للبنك الدولي لتأمين تمويل الكهرباء. (الأخبار)

تقرير

الأمن العام «يحتجز» اللبنانيين؟

في سعيها للتخفيف من الضغط على مراكزها نتيجة ارتفاع طلب اللبنانيين على جوازات السفر، فرضت المديرية العامة للأمن العام شروطاً غير قابلة للتحقق في كثير من الحالات للحصول على جوازات سفر، ما يرى فيه قانونيون خرقاً للدستور ومخالفة لمبدأي حرية التنقل والمساواة بين المواطنين

ندى أيوب

في 23 شباط الجاري، أرسل المدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم برقية تطلب من كافة مكاتب ودوائر ومراكز المديرية عدم استقبال طلبات جواز السفر للمسجّلين على المنصة المخصصة للتقديم أو من لديهم مواعيد مسبقة، إلا في حال عدم حيازة مقدّم الطلب جواز سفر صالحاً أو في حال كانت صلاحية جواز سفره أقل من سنة ونصف سنة، إضافة إلى حيازته إقامة صالحة في الخارج، أو سمة (Visa) ملصقة على جواز السفر، أو موعد سفارة ضمن شهر من تاريخ تقديم الطلب، أو لمتابعة الدراسة أو العلاج الطبي أو العمل في الخارج شرط إرفاق مستندات تثبت ذلك.

البرقية أحدثت بلبلة تحديداً لدى من يرغبون بالسفر إلى دول لا تفرض عليهم حيازة تأشيرة دخول، إن كان بهدف السياحة أو ممن يضطرون إلى إجراء مقابلات عمل قبل توقيع العقود أو كحالة عائلة مغترب تود زيارته أو تجّار الألبسة الذين يشترون بضائعهم من تركيا... والأمثلة كثيرة. هؤلاء جميعاً حرمتهم هذه الشروط من حقهم البديهي في حيازة جواز سفر وحق التنقل المكفول دستورياً. أبعد من ذلك، جعلت مقدمة الدستور اللبنانيين سواسية أمام القانون، وهنا خرق إضافي يكرّسه القرار، إذ يميّز بين المواطنين في قبوله أو رفضه لطلباتهم. لكل تلك الأسباب «يصبح القرار الإداري قابلاً للطعن أمام مجلس شورى الدولة من أي مواطن متضرر»، بحسب ما يؤكد المحامي حسن بزي لـ«الأخبار»، مشيراً إلى نيّته تقديم طعن مخاصمة الدولة ووزارة الداخلية الثلاثاء المقبل، استناداً إلى مخالفة القرار لمبدأي حريّة التنقل والمساواة بين المواطنين، بهدف إبطاله ووقف العمل به. وفي هذه الحالة يتعيّن على شورى الدولة البت بالطعن وإصدار قراره الملزم في مهلة لا تتعدى الشهر. وينطلق بزي من قاعدة تقول إن «مخالفة القاعدة الدنيا للقاعدة العليا توجب البطلان المطلق، وبما أن المعاهدات الدولية الموقع عليها لبنان تتيح للأفراد التنقل بحرية كما الدستور اللبناني، وبما أن للمعاهدات والدستور قيمة أعلى من القرار الإداري، فالطعن به متاح وموجبات بطلانه متوافرة».

وعما إذا كان القرار محصوراً بطلبات جوازات السفر المستعجلة أم تلك العادية أيضاً، يجيب: «بحسب ظاهر القرار لا يتضمّن النص ما يميّز بين النوعين من الجوازات. وحتى وإن كان القرار محصوراً بالجوازات المستعجلة فهو مخالف قانوناً لما يتضمنه من إعطاء أفضلية لمواطن على آخر».

وشهدت مراكز الأمن العام في الشهور الماضية ازدحاماً غير مسبوق لتجديد جوازات السفر أو الاستحصال على جوازات جديدة. وفي الأسبوع الأخير من كانون الأول الماضي، أطلقت المديرية منصة إلكترونية لتقديم طلبات حجز مواعيد لإنجاز الجوازات لمعالجة مشكلة الاكتظاظ، إلا أن كثيرين شكوا من تسجيل المنصة مواعيد أقربها بعد بين شهرين وثلاثة، لياتي القرار الجديد ويخفّض عدد طلبات التقديم إلى حدوده الدنيا.

وفيما لم يصدر عن الأمن العام أي بيان توضيحي، علمت «الأخبار» أن القرار جاء أساساً بسبب نقص في الأموال المعتمدة لطباعة الجوازات، علماً أن إيجاد المخرج يقع على عاتق السلطة السياسية المسؤولة عن عمل الإدارات والمديريات، والتي يفترض بها التقدم بحلول تراعي الدستور والمعاهدات والقوانين لا أن تخرقها وتسجن اللبنانيين أو تتخذهم رهائن أزمة تسببت بها.

> شروط شبه مستحيلة للحصول على جوازات سفر لأسباب مالية؟

تقرير

شبكة «تفجيرات الضاحية»: الإفراج عن موقوفين

بعد أقل من 36 ساعة على إعلان قوى الأمن الداخلي وفرع المعلومات عن كشف شبكة مرتبطة بتنظيم «داعش» خططت لتنفيذ هجمات انغماسية في الضاحية الجنوبية، أفرج أمس عن اثنين من الموقوفين الأربعة، هما الفلسطينيان القاصران لؤي المدد وياسر مرعي من سكان حي الزيب في مخيم عين الحلوة، فيما لا يزال الفلسطينيان بهاء شحادة وعلي الراعي من الحي نفسه قيد التوقيف.

وكان شحادة والراعي قد سلّما عناصر فرع المعلومات في 3 شباط الجاري السترات الناسفة. وفي 17 شباط، حضرا لتسليم عناصر الفرع بنادق ومماشط ورواية «داعش»، واصطحبا معهما المدد ومرعي اللذين تبيّن للمحققين أنهما لم يكونا على علم بالمخطط، لذلك أطلق سراحهما. (الأخبار)

إعلانات رسمية

إعلان نقابة المهندسين في طرابلس

عملاً بالمواد من 29 – 32 من قانون تنظيم مهنة الهندسة والمواد 5 (3 و 6) – 9 (2 و3) من النظام الداخلي والمادتين 4 و7 من قانون الصندوق التقاعدي، تدعى الهيئة العامة لعقد جلسة انتخابية لانتخاب أربعة أعضاء لمجلس النقابة عن الفروع التالية:

* المهندسين المدنيين الاستشاريين
* المهندسين المعماريين الاستشاريين
* المهندسين الموظفين في القطاعين العام والخاص
* المهندسين الزراعيين والمتعهدين وأصحاب المصالح الصناعية والتجارية والزراعية وذوي الاختصاصات المختلفة

- انتخاب عضوين أصليين وعضو رديف للمجلس التأديبي.
- انتخاب عضو للجنة إدارة الصندوق التقاعدي من أعضاء المجلس السابقين
- انتخاب 3 أعضاء للجنة مراقبة الصندوق التقاعدي

جلسة أولى: يوم الأحد في 2022/3/20 في دار النقابة

جلسة ثانية: يوم الأحد في 2022/3/27 في دار النقابة – قاعة المؤتمرات – منطقة الضم والفرز طرابلس من الساعة 9 صباحاً وحتى الخامسة عصراً ويعتبر النصاب قانونياً بمن حضر.

تقدم طلبات الترشيح للمجلس التأديبي ولجنة مراقبة حسابات الصندوق التقاعدي وعضوية الصندوق التقاعدي لغاية نهاية دوام يوم الجمعة في 2022/3/11.

النقيب بهاء بومرعب حرب

إعلان

من أمانة السجل العقاري في البقاع الغربي

طلب المحامي وسام محمود رحيمه سند تمليك بدل ضائع بحصة موروث موكله حسين قاسم أبو شحادة في العقار 3431 لالا.

للاعتراض المراجعة في مهلة أقصاها 15 يوماً.

أمين السجل العقاري
ربى حسن الدغيدي

تبليغ استئنافي

محكمة مرجعيون الشرعية الجعفرية إلى مجهول محل الإقامة

مجدي ماجد العقيبي . جنسيته أميركي

نبلّغه بالدعوى المقامة عليه من هنادي غازي بيطار

بموضوع إثبات طلاق وإلزام تنفيذه وتسجيله في محكمة مرجعيون الشرعية الجعفرية

وبالجلسة المحدّدة بتاريخ 2022/4/21 الساعة الثانية عشرة في غرفة القاضي الشيخ محمد مهدي زراقط، وفي حال تخلّفكم عن الحضور يجري بحقكم الإيجاب القانوني ويكون كل تبليغ لك في قلم المحكمة صحيحاً حتى الحكم النهائي القطعي.

رئيس القلم
محمد جواد شمس الدين

بلاغ رقم: 1/2

تعلن وزارة الاتصالات بأنها ستضع قيد التحصيل إعتباراً من 2022/02/16 الكشوفات التالية:

كشوفات فواتير الهاتف الثابت عن شهر كانون الثاني 2022

بالإضافة الى كشوفات الفواتير المتأخرة غير المسددة، ولقد حددت مهلة أقصاها 2022/03/14 لتسديدها.

وتُذكر المشتركين الكرام بالتدابير التالية:

في حال التخلف:

1 - تُقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2022/03/16.

2 - تُقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن الدفع بالاتجاهين اعتباراً من تاريخ 2022/04/04 وتستوفى الغرامة عن إعادة وصل الخط (11,000 ل.ل.) اعتباراً من هذا التاريخ

3 - تُلغى اشتراكاتهم بصورة مؤقتة بعد مرور شهر واحد على تاريخ قطع الإشتراك اعتباراً من 2022/05/02 ويعاد وصله بعد تسديد المتأخرات المستحقة إضافة الى رسم اعادة وصل الخط (11,000 ل.ل) وذلك حتى تاريخ الإلغاء النهائي.

4 - تُلغى اشتراكاتهم بصورة نهائية بعد مرور ثلاثة أشهر على تاريخ الإلغاء المؤقت اعتباراً من تاريخ 2022/08/01 وتستوفى غرامة قدرها (2%) شهرياً وتحرر الارقام الملغاة وتحصل المتأخرات بالطرق القانونية المعمول بها.

استناداً الى المادة 45 من قانون المحاسبة العمومية.

5 - يُحرم المشترك الملغى رقمه من الحصول على إشتراك جديد قبل تسديد جميع الفواتير المستحقة عليه.

ملاحظة: 1 - تُقطع خطوط المشتركين المتخلفين عن دفع فاتورة هاتف شهر كانون الأول 2021 باتجاه واحد «للاستقبال فقط» اعتباراً من تاريخ 2022/02/17.

ب - يمكن للمشتركين الملغاة خطوطهم والذين لم يسددوا فواتيرهم المتأخرة المبادرة الى تقسيط المتأخرات في صناديق المناطق الهاتفية وفي مصلحة الشؤون المالية - مبنى وزارة الاتصالات، شارع رياض الصلح وإمكانية الحصول على إشتراك جديد.

إمكانية تسديد الفواتير عبر الوسائل التالية:

- لدى اي صندوق من صناديق قبض الفواتير التابعة لوزارة الاتصالات على كافة الاراضي اللبنانية.

- لدى اي مصرف عبر توطين الفاتورة مقابل 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة او أكثر (للاستعلام اتصل بمصرفك).

- مكاتب LibanPost: مقابل 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة أو بكلفة 1,500 ل.ل. للفاتورة الواحدة عبر الاشتراك بخدمة «جباية من العنوان» (للاشتراك بهذه الخدمة يمكن الاتصال بالرقم 01/629629 - مقسم 333).

- مكاتب شركة ويسترن يونيون OMT بكلفة 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.

- مكاتب شركة ويسترن يونيون BOB FINANCE بكلفة 2,000 ل.ل. للفاتورة الواحدة.

- عبر شبكة الانترنت على موقع هيئة أوجيرو (ogero.gov.lb).

كما تذكر المشتركين: بأحكام المرسوم رقم 93/4565 (المادة الثالثة منه) وتعديله بالمرسوم 11682 تاريخ 1998/01/30 لجهة تحديد مهلة أربعة أشهر للإعتراض بعد إنتهاء المهلة المحددة للدفع والمذكورة اعلاه، ووجوب تقديم طلب الاعتراض في المنطقة الهاتفية التابع لها رقم المشترك.

يُطلب من المشتركين الكرام التجاوب السريع مع مضمون هذا البلاغ، شاكرين لهم حسن تعاونهم.

بيروت في 8 شباط 2022
المدير العام لإستثمار وصيانة المواصلات السلكية واللاسلكية
المهندس باسل أحمد الأيوبي
التكليف 85

اعلان

تبليغ مجهول محل الإقامة

المرجع: محكمة النبطية الشرعية الجعفرية

ورقة دعوة صادرة عن محكمة النبطية الشرعية الجعفرية، موجهة إلى عبير عبدالحميد الرحيل مجهول محل الإقامة. في الدعوى المقامة عليك من عادل محمد نصار بمادة إثبات طلاق أساس 2022/332، تعين موعد الجلسة فيها يوم الثلاثاء في 2022/3/29 فيقتضي حضورك أو إرسال من ينوب عنك إلى قلم المحكمة لإستلام نسخة عن إستحضار الدعوى وإلا اعتبرت مبلغاً حسب الأصول، وجرت بحقك المعاملات القانونية وكل تبليغ لك على لوحة الإعلانات في المحكمة حتى تبليغ الحكم القطعي يكون صحيحاً.

رئيس القلم
جعفر حسن نور الدين

استراحة

كلمات متقاطعة 3968

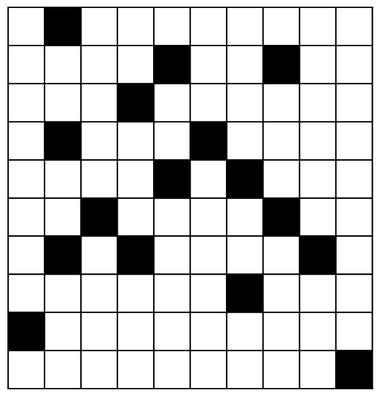

أفقيا

1- فيزيائي وكيميائي فرنسي راحل – 2- تهيّأ للحملة في الحرب – أصل – مدينة عراقية قديمة – 3- فنانة مصرية – نفير السيارة – 4- نسبة الى مواطن من بلد شرق أوسطي – مهر فطم او بلغ السنة – 5- يقوم بهجوم عسكري – نسبة الى مواطن لبناني من طائفة معينة – 6- بسط يده – تلاميذ – قفز – 7- لطيف بالأجنبية – 8- لسان النار – قبعة – 9- سيطرة دولة على دولة واستغلالها وفرض السيادة عليها – 10- مدينة مصرية

عمودياً

1- دولة في اميركا الوسطى – 2- فيلسوف عربي – كلمة ترحيب – 3- عش الطائر – مرتفعات من الأرض – 4- مدينة إيطالية – من الأوزان – عكسها رجل دين – 5- ما فوق الفخذ – صفة الإنقطاع عن الدنيا الى الله وعدم الزواج – 6- للتأفف – تربية الماشية وتولي أمرها – 7- والد – مرح ولهو – تطوّر البلاد اقتصادياً – 8- عاصمة آسيوية – البسة – 9- نهر إيطالي – واحد بالأجنبية – ليّن – 10- مدينة سورية

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- ساركوزي – بر – 2- الأردن – كلا – 3- ميسي – دبياج – 4- يو – تنين – تي – 5- انف – رق – صيف – 6- لاروس – براغ – 7- جن – ايل – 8- السنديان – 9- بنير – او – سد – 10- لبنان – دوري

عمودياً

1- سامي الجميل – 2- اليونان – نب – 3- راس – فر – أين – 4- كريت – والرا – 5- ود – نرسيس – 6- زنديق – لنا – 7- ين – دود – 8- كب – صربي – 9- بلاتيا – أسر – 10- راجيف غاندي

sudoku 3968

6	4		5				9	
				9	2			6
	2	7						1
	9	8				6		2
	5			3			7	
3		2				8	5	
5			8		4	3		
2			9	7				5
	1				6		2	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 3967

9	4	1	5	6	2	3	7	8
2	8	5	9	7	3	4	6	1
3	7	6	1	4	8	5	9	2
5	1	2	7	3	4	6	8	9
4	6	3	8	1	9	2	5	7
7	9	8	2	5	6	1	3	4
6	2	7	4	8	5	9	1	3
8	5	9	3	2	1	7	4	6
1	3	4	6	9	7	8	2	5

مشاهير 3968

كاتب مصري (1886-1927). رائد من رواد الصحافة والحركة الوطنية. كتب مقالات في صحف اللواء والعلم والشعب وسُجن خلال الحرب العالمية الأولى

1+6+7+5+4+3 = نهر أوروبي ■ 10+2+11 = أخو أبي ■ 8+9 = للتذمر

حل الشبكة الماضية: **انريكو فيرمي**

إعداد
نعوم مسعود

البلاد

بريد الأسرى

انطلقت، منتصف الشهر الجاري، حملة شعبية ورسمية متجدّدة تضامناً مع الأسرى المرضى في سجون العدو الإسرائيلي، ومطالبةً بوقف جريمة الإهمال المرتكبة بحقّهم. وتعيد هذه الحملة تسليط الضوء على معاناتهم هؤلاء في السجون، حيث تبدأ مشكلاتهم غالباً من وعكة بسيطة، سرعان ما تتطوّر على نحو خطير بفعل الإهمال، لتنتهي بهم إلى الاستشهاد أو الإقامة الدائمة في عيادة سجن الرملة، التي تبدو أقرب إلى مسلخ منها إلى مركز رعاية

عن أجساد استراح الشقاء فيها
أسرانا المرضى ... في «مسلخ الرملة»

غزة - **يوسف فارس**

أعلنت الحركة الأسيرة في السجون إطلاق حملة شعبية ورسمية لتسليط الضوء على جرائم مصلحة إدارة السجون الإسرائيلية بحقّ الأسرى المرضى، الحملة التي بدأت فعّالياتها منتصف الشهر الجاري، انطلقت تحت شعار «الحياة حق» بشكل متزامن بين غزة والضفة، وبمشاركة من الفصائل الفلسطينية وهيئات أهلية، وهي تهدف إلى فضح سياسة الإهمال الطبي المتعمّد بحقّ الأسرى المرضى، «لك أن تتخيّل فقط أشخاصاً خائري القوى، محتجَزين في مكان جدرانه متعفّنة، ورائحته كريهة من شدّة الرطوبة، ولا ينظرون سوى الموت». بهذه الكلمات، وصفت زوجة الأسير خالد الشاويش عيادة سجن الرملة التي يُحتجَز الأسرى المرضى داخلها. وأضافت إيمان مصطفى: «هو مقبرة وليس عيادة»، أكثر من 600 أسير من أصحاب الأمراض المزمنة، هم الذين انطلقت حملة «الحياة حق» للمطالبة بتوفير العناية الصحّية لهم، خصوصاً بعد زيادةٍ في سجّلات الأسرى الشهداء، نتيجة سياسة الإهمال الطبي المتعمّد. ووفقاً لإحصائيات «نادي الأسير الفلسطيني»، فإن عدد الشهداء الأسرى في سجون الاحتلال ارتفع إلى 227 شهيداً منذ عام 1967، منهم 72 أسيراً ارتقوا نتيجة لجريمة الإهمال الطبّي، كان أخرهم الأسير سامي العمور من قطاع غزة، والذي قضى في نهاية العام الماضي.

> مشكلات الأسرى الصحّية التي تنتهي ببعضهم إلى الاستشهاد، أو الإقامة الدائمة في عيادة سجن الرملة، تحمل جلّها بداية واحدة: وعكة صحّية بسيطة، لا تتعاطى إدارة مصلحة السجون بمسؤولية معها، ثمّ تتطوّر نتيجة الإهمال إلى أمراض قاتلة. ذلك بالضبط ما حدث مع الأسير الشهيد سامر أبو دياك، الذي يروي والده عاهد، في حديثه إلى «الأخبار»، أن نجله الشهيد شعر بتوعّك صحّي عاديّ في الأمعاء، طالب إثره إدارة السجن بإجراء كشف طبّي له، لكن أكثر ما تمّ توفيره له طوال عام كامل من الألم، هو «حبّة مسكّن من نوع بنادول». يتابع أبو دياك: «ذات مرّة، حدث توتّر مع السجّانين، حيث وقف سامر مدافعاً عن زملائه الأسرى، فما كان من الجنود إلّا أن أقدموا على ضربه رغم مرضه الشديد، ليسقط إثر ذلك أرضاً، ويُنقل إلى مستشفى سوروكا العسكري، ويتبيّن أنه دخل في مرحلة متقدّمة من التسمّم في الأمعاء»، عدّة شهور مضت على تلك الحادثة، تكشّف بعدها أن أبو دياك، المحكوم بالسجن ثلاثة مؤبّدات وثلاثين عاماً، يعاني من سرطان في الأمعاء، سرعان ما قضى عليه بعد تراخٍ وإهمال، وظروف نقل سيّئة بين مستشفيات السجون.

> مشكلات الأسرى الصحّية التي تنتهي ببعضهم إلى الاستشهاد تحمل جلّها بداية واحدة

حادثة أبو دياك دفعت أهالي الأسرى المرضى إلى دقّ أبواب الجهات المعنيّة، علّها تساعدهم في وضع حدّ لمعاناة أبنائهم. يقول عمر رداد، وهو شقيق الأسير المعتصم، إن شقيقه اعتُقل عقب سنوات من المطاردة، وقد دخل السجن «بحالة صحّية مثل الحديد». ويضيف، في حديثه إلى «الأخبار»، أن «معتصم كان رياضياً، ذا قوة بدنية ولياقة عالية، يشارك في سباقات الضاحية، ويقطع 7 كيلومترات في 20 دقيقة». غير أنه، وعقب اعتقاله في 1/12/2006، بدأت تظهر عليه أعراض مَرَضية بسيطة، تطوّرت على نحو سريع إلى مضاعفات مركّبة، قضى إثرها 14 عاماً مقيماً في عيادة سجن الرملة، إذ لم تُقبل أيّ من السجون الإسرائيلية استقباله لديها، بسبب وضعه الصحّي الشديد الخطورة. ويوضح عمر أن شقيقه «يعاني من تلف بنسبة 80% في الأمعاء يسبّب ألماً لا يُرَيحُ دائماً، إضافة إلى عجز في أعصاب جسمه الشمالية، أورثه ضعفاً في عضلة القلب وضعفاً في البصر، وهشاشة حادّة في العظام، حتى إن جسمه لا يحتمل إجراء جلسات علاج طبيعي». وعن البروتوكول الطبّي الذي تتبعه إدارة سجن الرملة مع هكذا حالات، يبيّن عمر أن أكثر ما يقدّمونه هو مسكّنات شديدة، تُصنَّف على أنها مخدّرات طبية، حتى يستطيع النوم، إلى جانب الأدوية التي تعالج الأعراض لا الأمراض. وأمام هذا الواقع الصعب، يفيد رداد بأنه توجّه إلى المؤسّسات الحقوقية والدولية كافّة للتدخّل لإنقاذ حياة شقيقه، لكنّه فوجئ بعد ضغط متواصل، بأن مؤسسة «أطباء بلا حدود» اتّصلت به وسألته عن نوع الدواء الذي يأخذه معتصم، ليجيبها بـ«أننا لا نعلم، لأن معتصم يتناول 55 حبّة دواء في اليوم، والأوْلى أن يدخلوا هم بفريق طبّي ويكشفوا عن حالته، ويتأكّدوا من سلامة الإجراءات الطبّية».

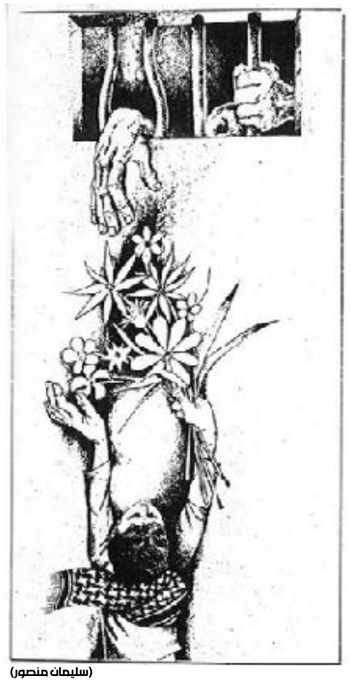
(سليمان منصور)

وإلى جانب من داهمتهم الأمراض المزمنة في السجون، اعتقلت قوات الاحتلال عدداً من الفلسطينيين على رغم إصاباتهم، كما الأسير ناهض الأقرع، الذي اعتُقل أثناء عودته من رحلة علاجية من الأردن إلى الضفة الغربية، التي كان من المقرّر أن يدخلها لاستكمال علاجه، قبل أن يعود إلى القطاع. وعلى رغم أنه مُقعد على كرسيّ متحرّك، نتيجة بتر أطرافه، إلّا أن عجزه الحركي لم يمنع الحُكم عليه بالسجن ثلاثة مؤبّدات. يقول شقيقه عهد في حديثه إلى «الأخبار»: «اعتُقل ناهض من سيارة الإسعاف، ونُقل في يوم اعتقاله عام 2007 إلى مستشفى سجن الرملة مباشرة، نظراً إلى خطورة وضعه الصحي». وبعاني ناهض من أعراض صحّية تسبّبت بإصابته. ووفقاً لعهد، فإن «عدم قدرة شقيقه على الحركة، ونومه الدائم، أدّيا إلى إصابته بعطل في فقرات الظهر، فقَدَ أخيراً قدرته على الجلوس». أمّا الأسير خالد الشاويش، فقد اعتُقل وهو مصاب إصابة خطيرة، إذ استقرّت 25 شظية في جسده، تسبّبت في الضغط على الأعصاب، ما ولّد عجزاً في يده اليمنى. تقول زوجته: «فقد خالد قدرته على استخدام يده، فقد تفتّتت عظامها بعد كسرها، وأُجريت لها عملية جراحية فاشلة داخل السجن، وخلصت الجهود الطبية غير المسؤولة إلى ضرورة بترها، وهو الأمر الذي يرفضه».

عاصمة البلاد

مخطّط جديد لابتلاع جبل الزيتون
غيلان الاستيطان تطوّق البلدة القديمة

القدس - **الأخبار**

لا تُفرّق دولة الاحتلال، في سعيها إلى تهويد مدينة القدس، بين أملاك المسلمين والمسيحيين. وفي آخر فصول مساعيها هذه، أميط اللثام عن مخطّط لما تُسمّى «سلطة الطبيعة والحدائق»، لمصلحة «مؤسّسة الحديقة الوطنية» التابعة لـ«جمعية إعاد الاستيطانية»، يستهدف السيطرة على أملاك الكنائس الشرقية في جبل الزيتون، على طريق تطويق البلدة القديمة. ومن المقرّر أن يُعرض المخطّط الجديد، الشهر المقبل، أمام «لجنة التخطيط والبناء المحلية» في بلدية الاحتلال في المدينة لأخذ الموافقة المبدئية على المشروع، والذي يتّخذ ذريعة له «تجديد الأراضي التي تمّ إهمالها منذ فترة طويلة، وضمان طبيعة وصبغة المنطقة، من خلال الحفاظ على القيم التاريخية، الدينية والقومية، والمناظر الطبيعية التاريخية». وعلى رغم ادّعاء سلطات العدو أن الخطّة الجديدة لن تضرّ بممتلكات الكنيسة المدمجة في «الحديقة الوطنية»، إلّا أن المسيحيين يرون أنها تستهدف ابتلاع مساحة واسعة من أراضي كنائسهم، فضلاً عن المسّ بجبل الزيتون ومنع تطويره في المستقبل لمصلحة الكنائس. وعلى خلفية ذلك، توجّه رؤساء الكنائس الكبرى في القدس، نهاية الأسبوع الماضي، إلى وزيرة البيئة في دولة الاحتلال، تامار زاندبرغ، والتي يشرف مكتبها على «سلطة الطبيعة والحدائق»، في رسالة اعترضوا فيها على المشروع. وجاء في الرسالة التي كتبها بطريرك القدس للروم الأرثوذكس ثيوفيلوس الثالث، وحارس الأراضي المقدّسة للكنيسة الكاثوليكية فرانشيسكو باتون، وبطريرك الأرمن الأرثوذكس نورهان مانوجيان، أنه «على الرغم من أن الخطّة تمّ تقديمها رسمياً من قِبَل سلطة الطبيعة والحدائق، يبدو أنه تمّ طرحها وتنسيقها وتطويرها والترويج لها من قِبَل كيانات هدفها الوحيد الظاهر هو مصادرة أحد أقدس المواقع المسيحية وتغيير طبيعته»، في إشارة إلى جبل الزيتون، الذي يَعتقد المسيحيون أنه كان موقعاً للعديد من الأحداث الرئيسة في حياة المسيح. وأضافت الرسالة أن «هذا إجراء وحشي، يشكّل هجوماً مباشراً ومتعمّداً على المسيحيين في الأراضي المقدسة، وعلى حقوقهم القديمة المضمونة دولياً، تحت ستار حماية المساحات الخضراء»، ويبدو أن الخطّة تخدم أجندة إيديولوجية تُنكر مكانة المسيحيين وحقوقهم في القدس».

وفي عام 1968، بعد احتلال مدينة القدس، أقام الاحتلال «الحديقة التوراتية»، التي تمتدّ على 1085 دونماً، وتسيطر جمعية «إلعاد» على القسم المركزي فيها، والواقع في بلدة سلوان، فضلاً عن أماكن أخرى في الحديقة وسّعت الجمعية سيطرتها إليها. وبحسب المخطّط الإسرائيلي، سيجري توسيع حدود «حديقة أسوار القدس الوطنية» بنحو 275 دونماً، لتشمل جزءاً كبيراً من جبل الزيتون، وأجزاء إضافية من وادي قدرون ووادي هنوم، وتلتفّ حول محيط البلدة القديمة شرقاً وجنوباً وغرباً. ويوضح رئيس «التجمّع الوطني المسيحي في الأراضي المقدسة»، ديمتري ديلياني، أن المشروع الجديد «لا يختلف كثيراً عن خطة الاستيلاء على عقارات باب الخليل في القدس القديمة، سوى أنه يأتي من جهة حكومية تحت ذريعة الحفاظ على البيئة، علماً أن لا علاقة للبيئة بذلك». بدورها، تُبيّن منظّمات حقوقية إسرائيلية أنه باستيلاء العائلات اليهودية تدريجياً على منازل وأراض في الشيخ جراح وسلوان شمال البلدة القديمة وجنوبها، وتوسيع «حديقة أسوار القدس» لتشمل جبل الزيتون، ستتمكّن جمعية «إلعاد» من تطويق البلدة القديمة بالبؤر الاستيطانية والمشاريع السكنية والأثرية والبيئية اليهودية، وهو ما يهدّد بإدخال المنطقة في «حرب دينية» لا تُحمد عُقباها.

(الأناضول)

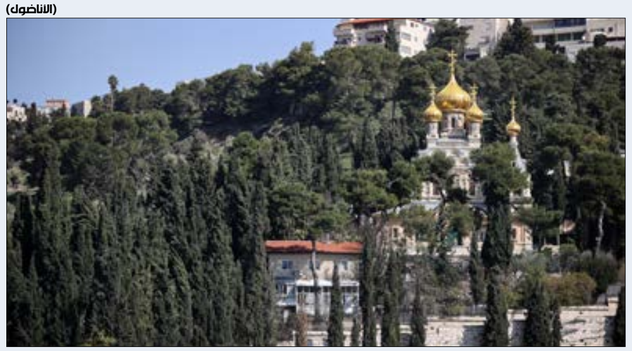

شتات

مدارس المخيّمات تلفظ طلّابها

حنين رياح

"يدقّ جرس الفرصة، لا يقف طفل واحد ليشاهد رفاقه يأكلون المناقيش مع العصير كما في المسلسلات الدرامية. هنا الكلّ يقف متفرّجاً، كلّ الأطفال لا يملكون المال لشراء منقوشة المدرسة المعروفة. لا شيء هنا سوى فيروس يجول بين الطلاب". هكذا يصف الأستاذ محمد (اسم مستعار) "الفرصة" في مدرسة القادسية في مخيم الرشيدية. أمّا في مخيم برج البراجنة، فيسير أبو سمير (60 سنة) متّكئاً على عكّازه، تماماً كما هي حال العام الدراسي بالنسبة لأبناء المخيم. يصطحب أحفاده في الصباح، محمد إلى المدرسة، وعمر وإبراهيم إلى "قهوة أبو سمرا" للعمل في توصيل الطلبات. يوم مدرسي عادي أقرّته "وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين" (الأونروا)، لكن لا يكاد يخلو زقاق في المخيم من الأطفال اللاعبين. آلاف الأسر هنا تخلّت عن إرسال أطفالها إلى المخيمات والتجمّعات الفلسطينية في لبنان، محمد الشولي، هو أن عدد الملقّحين من الطلاب لا يزيد على الـ1 بالألف. كما يؤكد الشولي طالب واحد في باص المدرسة تزيد على 300 إلى 400 ألف ليرة لبنانية في الشهر الواحد، فيما أغلب الأسر لا يقلّ عدد أطفال كلّ منها عن الـ3.

10 أيام في الشهر تقريباً، هي مجمل الأيام التي يتلقّى فيها الطالب الفلسطيني تدريسه، على شكل أسبوع تعليم يلحقه أسبوع عطلة. ومن الممكن أن يتقلّص هذا العدد مع الأعطال الرسمية وإقفال المدارس بسبب تفشّي فيروس كورونا". إقفال يستمرّ لثلاثة أيام لتعقيم المدرسة، وليس بداعي حجر الطلاب والأساتذة. أمّا الطالب الذي يعاني من عوارض الإصابة بالفيروس، فيُجري فحص «PCR» على حسابه. هكذا، وبعد عامَين من التعليم عن بعد، عادت "الأونروا" إلى التعليم بـ"التناوب"، من دون توافر مقوّمات صحية أو تشجيع على اللقاح. لا تُقدّم الوكالة أيّ رقم عن عدد الملقّحين من الأساتذة أو الطلاب، أو ربّما لا تملك إحصائية، لكن ما يؤكده مسؤول اللجان الأهلية في المخيمات والتجمّعات الفلسطينية في لبنان، محمد الشولي، هو أن عدد الملقّحين من الطلاب لا يزيد على الـ1 بالألف. كما يؤكد الشولي "انخفاض أيام التدريس لدى الطلاب، وعدم التعويض لهم بشكل فعّال مع الإقفالات المتكرّرة للصفوف أو المدارس التي ينتشر فيها فيروس كورونا بنسبة تفوق الـ10%"، إضافة إلى عدم تفعيل "الأونروا" لمنصّة تعليمية عبر موقعها، تتيح للطالب التعلّم عن بعد، وذلك بسبب عدم توافر طاقم تعليمي كافٍ للتشغيل"، و"تهرّباً من متطلّبات الطلاب من أجهزة إلكترونية وكهرباء، وشبكات إنترنت".

من جهته، يفيد اتحاد المعلمين، "الأخبار"، بأن "مدرسة رام الله في مخيم شاتيلا ومدرسة غزة في الشمال أقفلت أبوابها بسبب تفشّي الفيروس بين طلابها". تكتفي المدارس، في أسبوع العطلة، بإرسال خطّة دراسية للطالب، تطبيقاً للبرنامج التعليمي لـ"الأونروا". وبحسب الأستاذ علاء (اسم مستعار)، فإن "هذه الخطّة لا تُطبَّق في أغلب الأحيان نتيجة عدم قدرة الأهل غير المتعلّمين على المتابعة، إضافة إلى تكلفة تصوير الأوراق الباهظة في المخيمات، والتي تكون عادة على عاتق الأهل". التعليم لا يعني أن تحجز مقعداً في الصف؛ هو عملية مرتبطة بتكاليف المواصلات والقرطاسية والأكل اليومي للطالب، والذي تتخطّى فاتورته الـ10 دولارا شهرياً، ما يضطرّ الكثير من عائلات المخيم إلى العزوف عن إرسال أبنائها إلى المدرسة بسبب عدم القدرة على دفع هذه التكاليف، إضافة إلى حاجة الطلاب إلى الدروس الخصوصية ممّا ينفي "مجّانية التعليم". وفي هذا المجال، تقرّ المتحدثة باسم "الأونروا" في لبنان، هدى سمرا، في حديث إلى "الأخبار"، بالصعوبات الاقتصادية التي يعانيها اللاجئون الفلسطينيون، والتي عمدت الوكالة إلى التخفيف منها من خلال تقديم دعم "من بعض شركائها" للطلاب "الأكثر حاجة"، وفقاً لمعايير لم تحدّدها، وبأرقام لم تكشفها. ولفت سمرا إلى أن "65 مدرسة هي التي تديرها الأونروا في كلّ المناطق اللبنانية، من بينها 9 ثانويات، يتعلّم فيها حوالى 39 ألف طالب، منهم 4795 طالباً من اللاجئين الفلسطينيين من سوريا".

(أرشيف ـ مروان طحطح)

مدارس «داشرة»

"صفوف بلا أساتذة ومدارس بلا مدراء"، هكذا يصف الحال أستاذ من "اتحاد المعلمين"، رفض ذكر اسمه تجنّباً لمحاسبة "الأونروا". يوضح الأستاذ أن شكل التدريس القائم على الأسبوعَين في الشهر، نابع من صرف الوكالة أعداداً تفوق الـ50 أستاذاً، ما أدى إلى نقص كبير في الكادر التعليمي. وتستعين "الأونروا" بأساتذة "مياومين" لتغطية النقص الحاصل نتيجة إصابة الأساتذة بفيروس "كورونا" أو بفعل الصرف، وهذا ما يقلّل التكاليف وأجور المعلمين؛ فالأستاذ الثابت يتقاضى راتباً شهرياً، في حين أن الأستاذة الجدد يتقاضون يومياً. أمّا على مستوى الكادر الإداري، فمدرسة رام الله في مخيم شاتيلا ومدرسة القدس في مخيم برج البراجنة بلا مدراء مثلاً. هذه المدارس تدار بقرارات ارتجالية؛ إذ لا آليات واضحة للتعامل مع تفشّي الموجة الجديدة من الفيروس، وغالباً ما يعتمد القرار على "وعي" المدير وتوصية المراكز الصحّية في المخيمات. كما لا تخطيط ولا معالجة جادّة للتداعيات، وهو ما يؤدي إلى مفاقمة ظاهرة التسرّب التي لا أرقام واضحة في شأنها، خصوصاً في الصفوف التكميلية.

وجوه

استثناء من السائقين
سامح أبو سعد... الخَدوم الصامت

غزة - **أحمد زقوت**

يقف الثلاثينيّ الأصمّ والأبكم، سامح أبو سعد، كلّ يوم، بين عشرات السائقين في موقف السيارات وسط مخيم النصيرات في قطاع غزة. يُشير بيديه إلى الركّاب ليميلا سيّارته، قبل أن يطوف بها أرجاء المخيم. يقتات من خلال مهنته، ويُطعم أسرته المكوّنة من ستّة أفراد. للوهلة الأولى، ترى أبو سعد شخصاً عادياً كغيره من السائقين، لكن عندما تستقلّ سيّارته وتقرأ لافتة مُعلّقة على زجاجها مكتوباً عليها: «السائق أصمّ أبكم، نبّهني لما توصل بهمزة»، تعرف أن معاملته ستكون مختلفة، لأنه من ذوي الإعاقة. يعمل سامح كسائق أجرة على خطّ النصيرات (مخيم 2 والسوارحة) منذ ثماني سنوات، ويحرص على الحضور يومياً مُبكراً إلى الموقف حيث يحجز دوراً لسيّارته، حتى صار معروفاً بين الركّاب والسائقين على حدّ سواء.

بلُغة الإشارة، يحدّث أبو سعد «الأخبار»، قائلاً: «عملّت بمهنة النجارة قبل السياقة، لكنّني تركت العمل فيها بسبب سوء الأوضاع، ثمّ بحثت بعدها عن عمل في مهنة أخرى تتناسب مع وضعي الصحّي، لكن الرفض هو أوّل كلمة تُقال لي لأنّني من ذوي الإعاقة». ويضيف: «لم يكن لديّ خيار إلّا أن أبيع ما أملك من ذهب زوجتي، لكي أشتري سيارة أتمكّن من خلالها من توفير متطلّبات أسرتي». ويتمتّع أبو سعد بذاكرة قوية تساعده في التغلّب على صعوبات هذه المهنة الشاقّة، فهو يحفظ الطرق التي يدخلها في مختلف مدن القطاع، كما يحفظ أشكال كثيرين ممّن يستقلّون مركبته دائماً، ولديه القدرة على التعامل مع أيّ خلل في السيارة. وعمّا إذا كان يواجه صعوبة في التعامل مع الركّاب عند إنزالهم في أماكن سكناهم، يؤكد أبو سعد أنه «في بداية الأمر، كان الناس يخافون الركوب معي، لكن بعد ما شافوني إنّي متمكّن وبعْرف أشتغل على الخطّ، الكلّ صار يحب يوقفني ويركب معي لحتى أوصله للمكان إلي بدّه ياه». ويقوم بعض الركّاب، كذلك، بالتربيت على كتفه بهدوء عندما يريدون النزول، فضلاً عن أنه يعمل في المنطقة التي يقطن فيها حالياً، الأمر الذي يسهّل عليه معرفة مقصد كلّ شخص، ما يجنّبه الوقوع في إشكالات. تلفت إسلام، زوجة السائق سامح، في حديث إلى «الأخبار»، إلى أن «الجميع استغرب في البداية عمله في السياقة، لأن هذه المهنة تعتمد بشكل أساسي على حاسّتَي السمع والنطق، وسألوا كيف سيتعامل مع الركاب؟ وكيف سيتنقل في الشوارع؟». وتضيف أنها «لم تهتمّ لكلام الناس، وقرّرت مساعدة زوجها، ففي الأسبوع الأول جلست داخل السيارة برفقته في الكرسيّ الأمامي من أجل مُساعدته، في حال كان هناك أحد الركاب يرغب بالصعود أو النزول من السيارة، وصولاً إلى المكان الذي يرغبه». وتتابع أنه «مع مرور الأيام، كتبْت عبارة أنا أصمّ أبكم إذا بدّك تنزل اهمزني، وعلّقْتها على زجاج سيارته، وبعد ذلك ظلّ يعمل وحده، وساعدتُه اللافتة بشكل جيّد في عمله، وأصبح الأشخاص على علم مع مَن هُم».

(نضال الوحيدي)

وتُشير إسلام إلى أن «السيارة رغم أنها بسيطة وغير حديثة، وتعاني من بعض المشكلات في كثير من الأوقات، لكن زوجي يحاول معالجتها بيده، ليستطيع توفير قوت أسرته، في ظلّ الوضع المعيشي الصعب في غزة». وتؤكد أنه «مع عمله أصبح معروفاً لدى سكّان المنطقة، وعندما يشاهدون سيارته يركبون معه من دون تردّد من أجل تشجيعه على الاستمرار في عمله».

وتفتخر إسلام بزوجها، لأنه «إنسان مكافح في الحياة، ويُريد أن يعيش بعيداً عن العوز والحاجة»، آملةً أن «تكون هناك فرصة لأن تتحسّن ظروف عائلتها، ويكون لزوجها مساحةٌ في هذه المهنة، مع سيّارة أفضل قادرة على كسب الرزق».

ويشيد الراكب أحمد لبد بقيادة أبو سعد، ويقول: «في المرّة الأولى التي ركبت فيها سيارة سامح، شعرْت بالدهشة عندما علمت أنه أصمّ، ولفتت انتباهي قطعة الكرتون التي علّقها داخل السيارة، وبالفعل عندما وصلْت إلى وجهتي وَضعْت يدي على كتفه حتى يشعر بأنني وصلت إلى المكان الذي أريده». ويؤكد أن سامح «يحفظ كلّ الأماكن وغالبية بيوت الركاب، فضلاً عن أنه محبوب جدّاً من قِبَل الكثير من الركاب، ويفضّل الكثيرون الركوب معه من دون أيّ خوف على حياتهم». ويتابع لبد: «لا بدّ لنا جميعاً من أن نشجّع سامح على الاستمرار بالعمل، فعندما نشاهده أنا وأصدقائي نركب معه من دون تردّد، فهو مثال للشاب المتحدّي المكافح الذي يعمل بالرغم من إعاقته، هو يريد العيش بكرامة».

البلاد

جبهات الصراع

40 عاماً على إضراب الجولان

ثابتون على الهوية

صادق القضماني *

الأحداث التي خاضها أبناء الجولان المحتل في آب 15 عاماً الأولى على احتلال أرضهم، من 1967 حتى 1982، تعدّ حاسمة في زرع الطريق بثوابت لا يمكن لأحد تخطيها. افتتح الجولانيّون نضالهم بعد هزيمة حرب حزيران 1967. فشلت مشاريع «الأسرلة»، «الدولة الدرزية»، «فرض المواطنة» (الجنسية الإسرائيلية)، والتجنيد العسكري الإجباري، واعتبر قرار مجلس الأمن 479 قانون ضم الجولان لدولة الاحتلال لاغياً وباطلاً. العمود الفقري لتكريس فشل المحتل حتى يومنا هذا هم ثمانية آلاف عربي سوري جولاني في 67، غدوا 13 ألفاً في 1982.

> الانسجام والتنسيق السرّي بين الحركة والقيادة في دمشق كان الداعم الاساسي لتحقيق الإنجازات

وجهاء الجولان، من رجال دين وسياسيين ومثقفين، اتفقوا على خلع ثوب العصبية الحزبية والعقائدية، وارتداء ثوب الوحدة الوطنية، معلنين أن الواجب الوطني الأسمى هو المحرّك الأساس لاستنباط واستنهاض القدرات بوجه عدو غاشم. اجتاز عدد من أبناء الجولان، منذ الأيام الأولى للاحتلال، خط وقف إطلاق النار متوجّهين إلى دمشق التي تبعد 64 كلم عن مجدل شمس، ليلتقوا بالقيادات الأمنية والعسكرية بهدف التنسيق والتخطيط لطريق النضال والمقاومة. أثمرت اللقاءات بعد أشهر قليلة تشكيل تنظيم حمل اسم «جبهة تحرير القنيطرة»، بإشراف مباشر من وزير الدفاع السوري حينئذ الرئيس الراحل حافظ الأسد. أعقبها تشكيل أكثر من تنظيم سرّي بالتنسيق مع دمشق، وقد حملت هذه المقاومة السرّية أثراً عميقاً في حرب تشرين التحريرية، إذ استطاعت خلاياها رصد نشاطات جيش العدو، وزوّدت القيادة السورية بمعلومات مهمّة أثناء الإعداد للحرب.

في حرب تشرين، سطّر الجيش العربي السوري أروع البطولات التي حملت أثراً عميقاً لدى أهالي الجولان، إضافة إلى أنها وأدّت مشروع الكيان بإقامة دولة درزية، ناهيك عن كونها أخرست أبواق الذين نشطوا لبث الشائعات؛ «الجولان المتروك»، «الجولان المباع»... إلخ.

فرض الهوية

في أواخر السبعينيات، استطاع رجال الحركة الوطنية في الجولان الوصول إلى معلومات تفيد بأن سلطات الاحتلال ستشرع في إصدار قرار ضم الجولان، وفرض الجنسية على أبنائه. وهذا يسجّل للحركة كونها لم تكن فقط تواجه مشاريع ومخططات العدو، بل تقوم بالمتابعة والرصد بشتى الوسائل المتاحة، لتستبق أي مخطط للاحتلال وتقوم بوضع الأسس الممكنة لإفشاله. وعليه، فقد قامت الحركة في 1979/1/16 بعقد اجتماع جماهيري في قرية مجدل شمس لتصعيد الرد. خرج الاجتماع بالتنبيه والتحذير من خطورة الخطوات التي يريدها الاحتلال، وأرسلت برقيات احتجاجية إلى المؤسسات الدولية، وأخرى إلى حكومة الاحتلال ذاته، تؤكد الرفض القاطع لهذا المخطط، والتحذير من المساس بالانتماء الوطني للجولانيين. وقّع المجتمعون على مذكرة ضمّت 1200 توقيع رافض ومحذّر من عواقب استعمال القوّة، وأن أهالي الجولان لن يقفوا مكتوفي الأيدي. رافق ذلك استمرار تصعيد النضال السياسي الجماهيري بإحياء ذكرى الجلاء من جديد عام 1979، وأرسلوا بياناً حمل تحية للوطن جاء فيه: «من كل بيت عامر أو مهجور، من كل صخرة وحجرٍ وذرّة تراب، من كل حيّ وجماد، من ديرتنا الحزينة والمكلومة المفجوعة على فراق الوطن الحبيب، مع كل نسمة هواء ومع نجوم السماء، مع الطيور المتجهة نحوك يا سوريا الحبيبة، نبعث تحية الصمود والإباء بمناسبة عيد الجلاء».

بدورها، قدّمت حكومة الرئيس حافظ الأسد، بتاريخ 1981/2/26، شكوى إلى الهيئة العامة للأمم المتحدة، ضد تغيير الطابع السكاني في الجولان، وضد إلزام السكان باستلام الهوية الإسرائيلية، لبعقبها في 1981/3/25 إصدار «الوثيقة الوطنية» من قبل الحركة الوطنية موقعة من وجهاء القرى المحتلة، والتي تضمّنت:

-1 هضبة الجولان المحتلة هي جزء لا يتجزّأ من سوريا العربية.

2- الجنسية العربية السورية صفة حقيقية ملازمة لنا لا تزول وهي تنتقل من الآباء إلى الأبناء.

3- أراضينا هي ملكية مقدسة لأبناء مجتمعنا السوريين المحتلين، وكل مواطن تسوّل له نفسه أن يبيع أو يتنازل أو يتخلى عن شبر منها للمحتلين الإسرائيليين يقترف جريمة كبرى بحق مجتمعنا وخيانة وطنية لا تغتفر.

4- لا نعترف بأي قرار تصدره إسرائيل من أجل ضمّنا للكيان الإسرائيلي ونرفض رفضاً قاطعاً قرارات الحكومة الإسرائيلية الهادفة إلى سلبنا شخصيتنا العربية السورية.

5- لا نعترف بشرعية المجالس المحلية والمذهبية، لكونها عُيّنت من قبل الحاكم العسكري الإسرائيلي وتتلقى تعليماتها منه، ورؤساء وأعضاء هذه المجالس لا يمثّلوننا بأي حال من الأحوال.

6- إن الأشخاص الرافضين للاحتلال من خلال مواقفهم الملموسة والذين هم من كل قطاعاتنا الاجتماعية، هم الجديرون والمؤهلون للإفصاح عمّا يختلج في ضمائر ونفوس أبناء مجتمعهم.

7- كل مواطن من هضبة الجولان السورية المحتلة تسوّل له نفسه استبدال جنسيته بالجنسية الإسرائيلية، يسيء إلى كرامتنا العامة وإلى شرفنا الوطني وإلى انتمائنا القومي ودينا وتقاليدنا ويعتبر خائناً لبلادنا.

8- قرارنا لا رجعة فيه، وهو كل من يتجنّس بالجنسية الإسرائيلية، أو يخرج عن مضمون هذه الوثيقة، يكون منبوذاً ومطروداً من ديننا، ومن نسيجنا الاجتماعي، ويحرم التعامل معه، أو مشاركته أفراحه وأتراحه، أو التزاوج معه، إلى أن يقر بذنبه ويرجع عن خطأه، ويطلب السماح من مجتمعه ويستعيد اعتباره وجنسيته الحقيقية.

لقد اعتمدنا هذه الوثيقة مستمدّين العزم من تراثنا الروحي والقومي والإنساني الأصيل، الذي يحضّنا على حفظ الأخوان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والوفاء العميق للوطن».

الضم المشؤوم وإضراب الكرامة

عبر جلسة للكنيست في 14 شباط 1981، أعلن الاحتلال بدء تطبيق القانون الإسرائيلي على الجولان، ليعلن أبناؤه بدورهم إضراباً عاماً وشاملاً لمدة ثلاثة أيام، في 16 و17 و18 من الشهر ذاته، رفضاً لقرار الضم. وعقد مجلس الأمن جلسة طارئة في 18 شباط بناء على طلب من الحكومة السورية، ليعلن عن قراره الرقم 497، الذي اعتبر القانون الذي اتخذته الحكومة الإسرائيلية لاغياً وباطلاً، وبخالف الاتفاقيات والمعاهدات الدولية، مطالباً كيان الاحتلال بالتراجع.

مطلع 1982، اعتبر الرئيس حافظ الأسد أن «الجولان ليست محتلة بقرار سنّته إسرائيل، ولن يتوقّف تحريرها على عدد وجود قانون تسنّه إسرائيل، لم تأخذ إسرائيل الجولان بقانون، ولن نسترجعه بقانون». هذه التوأمة بين النضال الشعبي لسكان الأرض المحتلة والدولة الأمّ كان لها أثر كبير لمن هم في المواجهة الميدانية. فبعد ذلك، عقد اجتماع شعبي في خلوة مجدل شمس، أعلن فيه أنه اعتباراً من تاريخ 14 شباط 1982 فإن أهالي الجولان في حالة «إضراب الكرامة»؛ إضراب عام وشامل حتى تتحقق مطالبهم المتجسدة في «رفض تطبيق القانون المدني الإسرائيلي، ورفض فرض الجنسية الإسرائيلية، واعتبار الجولان منطقة محتلة تنطبق عليها قوانين جنيف، ورفض استبدال الهويات العسكرية بأخرى مدنية، والإفراج عن المعتقلين الإداريين».

في 30 آذار 1982، أصدرت القيادة العسكرية لجيش الاحتلال قراراً بالاستعداد التام للبدء في توزيع الهوية الإسرائيلية، موكلة تنفيذ المهمة لـ 16 ألف جندي إسرائيلي، ليقتحموا في الأوّل من نيسان القرى المحتلة، ويستولوا على مباني المدارس، ويحوّلوها إلى مراكز للتحقيق والاعتقال. في المقابل، أعلن أهالي الجولان «إضراب الهوية والانتماء»، متحدّين قوات الاحتلال، عبر صدورهم المفتوحة والأيادي والعصي، واشتكوا مع مئات الجنود في الساحات العامة، وأصوات الأهالي تصدح بـ«الإضراب حتى النصر». وهو ما كان، إذ تعهّدت السلطة المحتلة عدم فرض الجنسية وعدم فرض التجنيد الإجباري، وإقامة الجسور المفتوحة بين الجولان وسوريا، وعدم مصادرة أراضي السكان، وإعطاءهم حقوقهم المائية لري مزروعاتهم.

النضال بوجه «الأسرلة» مستمر... بانتظار التحرير

أرست الـ 15 عاماً (1967 – 1982) قواعد الاشتباك، بالعصيان المدني والغضب الجماهيري والتكاتف الاجتماعي الوطني، وأسست قاعدة صلبة لا يمكن لأحد تجاوزها، ليستمر النضال بأشكاله كلها لتثبيت الانتماء والإنجاز وإفشال أي مخطط جديد للاحتلال. وقد تصاعد النضال السياسي والسرّي في السنوات العشر التي تلت الإضراب، حيث اعتقلت خلايا وتنظيمات مقاومة عديدة، منها حركة المقاومة السرّية عام 1985، وتنظيم حركة الشباب الوطنيين القوميين بداية التسعينيات، علاوة على تصدّي أهالي الجولان لزيارة رئيس وزراء حكومة الاحتلال شمعون بيريز إبّان زيارته للمجلس المحلي في مجدل شمس عام 1986، ليخرج من القرية مع قوافله هرباً أمام رفض وغضب المواطنين، إضافة إلى تأسيس الاتحاد النسائي منتصف الثمانينيات (سيّدات الجولان اللاتي كان لهن شراكة حقيقية في معارك الجولان منذ الأيام الأولى للاحتلال).

يثبت كل ذلك أن النضال لم يخفت، بل ازداد صلابة وتمسّكاً بالأرض والانتماء، كما في التصدّي للمحاولات الجديدة لـ«أسرلة» السكان، كمشروع فرض انتخابات المجالس المحلية، الذي أفشل من جديد أواخر عام 2018، ومطلع عام 2019، إضافة إلى التصدّي لمشاريع اقتصادية للمحتل، كمشروع «المراوح» الذي يهدف إلى القضاء على الزراعة وتهجير أهالي الجولان من حوله.

إنها ملحمة وطنية لـ 13 ألف نسمة رفضوا، عبر إضرابهم ونضالهم، تمرير مخططات الاحتلال تحت شعار «الجوع ولا الركوع» و«المنيّة ولا الهوية». أبناء الجولان يؤمنون بأن هزيمة الـ 67 لم تكن هزيمة الذهنية والعزيمة. لم يطرح الجولانيون أن مواجهتهم حينذاك هدفها تحرير الأرض، وذلك لعددهم القليل مقارنة بالعدو الغاصب ولإمكاناتهم، من جهة، ومن جهة أخرى لاقتناعهم بأن «الدولة الأم سوريا» ستعيد الجولان إلى سيادتها بأي وسيلة ممكنة.

حتى اليوم، لا انتخابات مجالس محلية في القرى المحتلة، وهو التعبير الواضح عن رفض إعطاء الشرعية لأي مؤسسة إسرائيلية. كما أن غالبية سكان الجولان يحملون بطاقة تعريف للشخصية، ولم يقبلوا أخذ الجنسية.

كانت قيادة الحركة الوطنية من رجال دين وزمنيين متساوية في عمق صدق الموقف، وإلا فإن 13 ألف نسمة، بين كهل ورجل وامرأة وأبناءهم وأحفادهم، ما كانوا ليستطيعوا تحقيق أي إنجاز أمام عدو غاشم. من جهة أخرى، فإن الانسجام والتنسيق السرّي بين الحركة والقيادة في دمشق كان الداعم الأساسي لتحقيق الإنجازات الدولية والأممية المبنية على الحق.

* أسير محرر ـ الجولان

رسائل كنفاني

عن الدولة والمقاومة

خالد بركات

كتَبَ غسّان كنفاني مقالة عنوانها «المُقاومة هي الأصل» (1). يُجادل فيها الكاتب المصري المعروف، أحمد بهاء الدين، الذي اقترح تأسيس دولة فلسطين في الأردن وغزة، في مقالة نشرتها جريدة «المصور» في 13 تشرين الأول 1968، وأثارت في حينه ردود فعل واسعة بين مواقف مؤيدة ومعارضة. انطلق بهاء الدين من فكرة مفادها: صار على الشعب الفلسطيني أن يعتمد على إرادته الوطنية، ويُؤسّس «دولة في الأردن وقطاع غزة»، حيث الثقل الرئيس لحركة المقاومة الفلسطينية. واعتبر أن هذه الدولة يمكن أن تُشكّل أرضاً ومُنطلقاً للتحرير، داعياً شعب فلسطين إلى عدم الرهان على الدول العربية بَعد هزيمة عام 1967. يعرض غسّان كنفاني، في المقابل، هواجسه وقلقه من مقترح إنشاء «دولة فلسطين»، ويُلخّص المحاذير الخطرة التي شرحها في خمس نقاط رئيسة على هذا النحو : أولاها أن تُعتبر هذه الدولة حَلاً للقضية الفلسطينية، وثانيتها أن تكون حُجّة يمتطيها العالم لتصفية قضيّة فلسطين، وثالثتها الفشل في انتزاع اعتراف دولي كافٍ، ورابعتها أن تكون مشطورة كـ«الباكستان» وخامستها مدى قُدرة هذه الدولة على الصمود أمام حملات إسرائيل الانتقامية.

لم يرفُض كنفاني، إذاً، مقترح بهاء الدين، واعتبره جديراً بالنقاش، غير أنه أشار إلى جُملة من الشروط والحقائق التي تدفع بالحوار إلى ما هو أعمق وأبعد من «دولة فلسطين». إشارته الذكية إلى «الباكستان» التي تأسّست عام 1948، محاوَلة للقول: إن ما يبدو حلاً مقبولاً لبعض الصراعات من خلال شطر أرضها إلى نصفين وفق اتفاقيات القوى الكبرى، لن ينفع في الحالة الفلسطينية، لأن طبيعة الصراع مختلفة. كما أن طبيعة العدو الصهيوني مُغايرة، ومشروعه من طينة استعمارية استيطانية. كتَب كنفاني يقول: «إن حركة إنشاء دولة فلسطين - التي يقترحها بهاء الدين - يجب أن تترافق حتماً مع حركة إنشاء الإنسان الفلسطيني الذي صَمَدَ في وجه كلّ الأوضاع القاسية التي واجهته طوال 20 سنة، ولم يتخلّ عن هويّته الفلسطينية رغماً من كلّ شيء». واعتبر أن الهويّة الوطنية لا تُحقّقها «أرض دولة» مهما كان اسمها، بل تُحقّقها مسيرة التحرير نفسها التي تضْمن إعادة خلق الإنسان الفلسطيني المقاتل الجديد.

ومضى في شرح طبيعة العلاقة التي تغيّرت بين الفلسطينيين بعد قيام الكيان الصهيوني عام 1948، قائلاً: «وممّا لا شكّ فيه أن العلاقة بين الفلسطينيين صارت علاقة المنفى والتشرّد لا علاقة الثورة، وأن الدعوة إلى أرض دولة ينبغي أن تترافق معها دعوة إلى علاقة جديدة بين الفلسطينيين أنفسهم، ثمّ علاقة جديدة بينهم وبين الدول العربية». كان كنفاني يرى أن عزل الفلسطينيين عن قضيّتهم أدّى إلى سلب الإنسان بعد سلب أرضه، فما حدث للأرض حدث للبشر. واعتبر أن شعب فلسطين لم يُترك ليظلّ، بالمعنى النضالي، فلسطينياً، إذ «انتُهك الإنسان مثلما انتُهكت الأرض الفلسطينية». إن الأرض التي يمكن أن توحّد الفلسطينيين، بحسب كنفاني، ليست أرض دولة بل أرض ثورة،

> ما يحتاج إليه الفلسطينيون اليوم، ربّما أكثر من أيّ وقت مضى، إعادة قراءة دروس التاريخ

من دون أن يغفل مركزية العلاقة بين الإنسان المُشرّد اللاجئ وبين «الوطن - الأرض» التي يجب تحريرها والعودة إليها. ولهذا تحديداً، أكّد في المقالة ذاتها أن الجريمة الكبرى التي ارتكبتها الصهيونية والقوى الاستعمارية في خلْع الفلسطيني عن أرضه تُساوي جريمة كبرى ثانية هي خَلعه عن قضيته أيضاً. وختم كنفاني مقاله بالقول: «من المثير حقاً أن تكون المقاومة الفلسطينية في الأرض المحتلة أقدر من غيرها على ربط قدَر الضفة الغربية بغزة، وذلك يعزّز بلا ريب نظريتك ويعطي اقتراحك مبرّراته الموضوعية، ولا شكّ أن هذه المقاومة في درجاتها اللاحقة ستكون أيضاً أقدر على خلق الدولة - الرسالة -، ومعها خلق الشعب المقاتل».

وفي الوقت الذي كان يدور فيه مثل هذا الحوار بين المثقفين العرب حول «دولة المقاومة» و«الدولة الرسالة» من منظور عربي تحرُّري يرفض الهزيمة، ويبحث عن قواعد ارتكاز للثورة الفلسطينية، كان العدوّ الصهيوني على الجهة الأخرى يتقدّم بمقترحات ومشاريع من طراز تأسيس «الكيان الفلسطيني». وقد حذّرت «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»، في استراتيجيتها السياسية والتنظيمية الصادرة في شباط عام 1969، من خطورة كيان فلسطيني عميل يقوم العدو بتأسيسه بالتعاون مع كبار الملّاك والرأسماليين الفلسطينيين في الضفة الغربية، ويكون مقدّمة لتصفية الحقوق الفلسطينية. وجاء في «الاستراتيجية السياسية» التي ساهم غسّان كنفاني في وضعها، شرح مُفصّل ودقيق عن طبيعة القوى المحلّية التي تتسابق مع مشروع الاحتلال، فاعتبرتها برجوازية تجارية مصرفية تتشابك مصالحها وتترابط مع مصالح الإمبريالية التجارية، وأن أساس ثروة هذه الطبقة ومصدر غناها هو السمسرة للبضائع الأجنبية ووكالات التأمين والمصارف، وبالتالي فهي في المدى الاستراتيجي ضدّ الثورة. كما جاء أيضاً في تلك الوثيقة أن قيادات البرجوازية التقليدية تستقبل ساسون ودايان والحكّام الإسرائيليين، وتبحث معهم في موضوع الكيان الفلسطيني الذي تخطّط له إسرائيل لتصفية القضية الفلسطينية، لتحقيق النصر السياسي بعدما حقّقت نصرها العسكري.

ما يحتاج إليه الفلسطينيون اليوم، ربّما أكثر من أيّ وقت مضى، إعادة قراءة دروس التاريخ، وتقييم الموقف من مشروع الدولة الفلسطينية التصفوي، واستعادة فكر الأديب الشهيد غسان كنفاني، وجوهر فكرته حول طبيعة العلاقة التي تقوم بين الفلسطينيين، وبخاصّة في ظلّ تعدّد المرجعيات السياسية، وبعد نجاح العدو في تأسيس كيان الحُكم الذاتي المسخ الذي أصبح جزءاً لا يتجزّأ من مسار التصفية، وصار لزاماً إسقاطه وهزْمه. إن ما أراد الشهيد غسّان كنفاني قوله باختصار: يُقاتل الشعب الفلسطيني من أجل تحرير فلسطين، الأرض والإنسان، وليس من أجل كيان أو دولة، حتى لو كانت تُسمّى «إمبراطورية فلسطين العُظمى»!

مصدر: المقاومة هي الأصل، غسّان كنفاني، الدراسات السياسيّة - المجلد الخامس، ص 479 - 484

حدود فلسطين

نضال خلف

ما هي حدود فلسطين؟ للوهلة الأولى، قد يبدو السؤال بديهياً إلى حدّ السذاجة، لكنّ المعركة مع الاستعمار تقتضي تشخيصاً سليماً ودقيقاً للواقع، وإن ترتّبت على ذلك مراجعة البديهيات في وعينا. الإجابة على السؤال لن تتمّ عبر الخوض في التفاصيل الجغرافية والتاريخية، بل من خلال تعريف جوهر القضية بهدف تحديد الأدوات اللازمة لتحقيق النصر. بعد نكبة 1948، تعزّز التعلّق العربي عموماً والفلسطيني خصوصاً بخارطة فلسطين، التي لطالما عُرّفت بـ«الأراضي العربية المحتلّة». وعلى رغم محاولات تشويه التاريخ وتقزيم الجغرافيا بمشاريع الاستسلام للعدو، كان التمسّك العام بحدود فلسطين موقفاً سياسياً فطرياً عبّر عنه الشهيد وديع حداد في مقولة منسوبة إليه جاء فيها: «بلدي اسمه صفد. لا أقبل إن عُرِضَت علينا كلّ فلسطين باستثناء صفد، وأرفضها إذا عُرِضَت مع صفد واستُثني منها بيتي. وأرفضها إذا عُرِضَت مع صفد وبيتي واستثني منها شبرٌ واحد».

إلى جانب التعلّق الفطري بالأرض والوطن، شكّل التمسّك بخريطة «فلسطين التاريخية» تجسيداً للرفض الشعبي لسياسة التفريط والانبطاح التي أطلقها أنور السادات، وسارت على إثرها قيادة «منظّمة التحرير» منذ عام 1974. وقد ترسّخت هذه السياسة عملياً في أوسلو عام 1993، وما تلاها من تنازلات أنتجت «وطناً» هجيناً يقتصر على أراضٍ مشتّتة في أريحا وغزة، تحكمها سلطةٌ تبحث عن الفتات من صحن الهيمنة الأميركية. في المقابل، تناست رمزيّة خريطة فلسطين التاريخية، لتؤكّد التمسّك السياسي بالهدف الرئيس للشعب العربي الفلسطيني، وهو هدف تحرير فلسطين كاملةً. واليوم، بات التداول الشعبي بخارطة فلسطين «التاريخية» أكثر انتشاراً بين جيل الشباب، تحديداً بعد معركة «سيف القدس» التي بيّنت بالدم فشل كلّ مشاريع العدو وعملائه في تقسيم الشعب عبر تقسيم الجغرافيا.

ولعلّ تجلّي الوحدة الأخير يشجّعنا على المضيّ قُدُماً في بحثنا عن حدود فلسطين. فهل نكتفي بما ارتضاه لنا سايكس وبيكو بين النهر والبحر؟ في وصفه للشهيد عز الدين القسام، يعرّف غسان كنفاني «القضية الفلسطينية» بأنها «تبسيطٌ لمجموعة هائلة من العوامل المتداخلة»، يذكر منها البُعد السوري والبُعد العربي والبُعد الإسلامي. وانطلاقاً من هذه الفكرة، بإمكاننا اليوم أن نخرج من زاوية تعريف «فلسطين» بحدودها الجغرافية أو التاريخية، إلى مساحة التعريف السياسي لفلسطين كمشروع عربي متكامل للنهضة والتحرّر. المرتكز الأوّل لهذا التعريف، هو طبيعة الحرب بين إسرائيل والأنظمة الرجعية العربية المميّتة بالقواعد العسكرية الأميركية. لذا، من غير المجدي البحث عن فلسطين ضمن شروط الاستعمار، سواءً من خلال «دولة» فلسطينية مجاورة ومتعاونة مع إسرائيل، أو من خلال «دولة» فلسطينية متماهية مع مشروع الهيمنة الغربية على المنطقة. فالمشروع الاستعماري بطبيعته هو مشروع إلغائي - استعبادي، لا يستقيم ضمن شروطه أيّ وجود عربيّ حرّ، ما يجعل حركة التاريخ نحو هزيمة هذا المشروع فعلاً عنفياً على صعيد الأهداف والأدوات.

> معركة فلسطين هي معركة تحرير قرار الأمة، وساحتها لا تقتصر على مساحة فلسطين التاريخية

ومن هنا، ننطلق إلى المرتكز الثاني لتعريف فلسطين الموسّع، وهو الحاجة إلى مشروع سياسي يحضن تضحيات الأمّة ويدفعها إلى تثبيت مكانتها بين الأمم. إن شرذمة المستهدَفين من المشروع الاستعماري الغربي تهدف إلى تأبيد حالة الشلل والتمزّق القائمة، وهو ما يفرض على الشعوب المقاومة توجّهاً أعنف للخروج من قيود الجغرافيا وحواجز الهويات الفرعيّة نحو تشكيل نواة لوحدة سياسية عربية. فمشروع الوحدة العربية ليس مجرّد التقاء مصالح شعوب، بل ضرورة لإزالة مكامن الضعف التي تغذّي هيمنة الغرب على البلاد والعباد. وإذا فهم التلازم «التوأمي» بين «سايكس - بيكو» و«بلفور»، والتناسق الكامل بين الأنظمة الرجعية العربية وكيان العدو الصهيوني، كنّا كفلسطينيين أوّل ضحايا المشروع الاستعماري الغربي، فإنّنا بالتأكيد لسنا الوحيدين ولن نكون آخر الضحايا. وإن كانت معاناتنا هي الأوضح كنتاج ماديٍّ لمشروع الهيمنة (قتل وتهجير واعتقال)، فإن مسؤوليتنا تقتضي منّا الارتقاء بردّة الفعل من خانة الدفاع عن الوجود إلى قيادة مشروع التحرّر العربي بهدفه الرئيس، ألا وهو القضاء، على ركيزتَي الاستعمار في بلادنا: إسرائيل وحدود سايكس - بيكو.

وعليه، فإن مسؤولية الشعب الفلسطيني، كما الشعب العربي بأسره، هي نبذ النَّزعات الانعزالية واستعادة النظرة المتكاملة للمعركة، ما يفرض على جميع الفئات تحديداً واضحاً لمعسكرَي الأعداء والأصدقاء، وصولاً إلى الانخراط في مشروع التحرّر والنهضة العربية.

معركة فلسطين هي معركة تحرير قرار الأمّة، وساحتها لا تقتصر على مساحة فلسطين التاريخية. إن فلسطين التي نبذل الدماء في سبيلها هي وطنٌ بحجم أمّة، وتحريرها هو الخطوة الأولى في مشروع الوحدة العربية. فلسطين التي نريد لن تكون حجراً في هيكل سايكس - بيكو، وهي حُكماً لن تكون زاروباً مذهبياً جديداً. فلسطين التي نريد لا يحدّها بحرٌ ولا نهر. هي حرّية الوطن الأكبر وكرامة الأمة، وتلك حدودٌ لا يفرّط بها إلّا الخائن.

الأخبار
al-akhbar
السبت 26 شباط 2022 العدد 4571

صورة وخبر

«ليس المهمّ ما يحدث لك، بل المهمّ ما الذي ستفعله بما يحدث لك». المقولة المنسوبة إلى الكاتب الأميركي الراحل روبرت شولر (1926 ــ 2015)، تنطبق على الشابة الأردنية لبنى زكارنة (33 عاماً) التي حوّلت معاناتها مع السرطان إلى قصة أمل. أكملت زكارنة دراستها للهندسة المدنية في «جامعة البلقاء التطبيقية» عام 2010، وانخرطت بعدها في سوق العمل. أظهر تشخيص طبي أُجري لها بعد ذلك بخمس سنوات إصابتها بنوع محصور من السرطان وسريع النمو. حاولت التخلّص من آثار العلاج الكيماوي الجانبية بتعلّم غزل الصوف بالصنارة عام 2017، قبل أن تتقن الحرفة: «بدأت الإعلان والترويج لمنتجاتي عبر مواقع التواصل الاجتماعي»، وقررت إلى جانب المنفعة الشخصية، العمل على مبادرة نقدم من خلالها هدايا لمرضى السرطان والفقراء»، تقول قبل أن تضيف: «نجحت المبادرة ووصل عدد العاملات معي إلى 30، تراوح أعمارهن ما بين 23 و60 عاماً». في منزل ذويها في عمّان، تجلس لبنى من دون أن تفارق الابتسامة وجهها، وكأنّها تريد التأكيد أنّها ليست ضعيفة، وتتسلّح بطموح وأمل كبيرَيْن. (محمد صلاح الدين ــ الأناضول)

المفكرة

برهان علوية: حان وقت «اللقاء»

■ بين 28 شباط (فبراير) الحالي و4 آذار (مارس) المقبل، سيكون الجمهور على موعد مع حدث مخصّص للسينمائي اللبناني الراحل برهان علوية (1941 ـ 2021/ الصورة) في سينما «مونتاني» في «المعهد الفرنسي في لبنان»، من تنظيم «نادي لكلّ الناس». تحت عنوان «برهان علوية اللقاء»، تُفتتح العروض عند الساعة السابعة والنصف مساءً مع فيلمَيْ «برهان اللقاء» (11 د) و«خلص» (98 د)، لتبدأ الأنشطة في اليوم التالي (س: 18:00) بندوة «سينما برهان علوية» بمشاركة الكاتب إبراهيم العريس والمخرج هادي زكّاك والكتاب فادي أسطفان، يليها (س: 20:00) عرض «الليلة الظلماء» (28 د) و«لا يكفي أن يكون الله مع الفقراء» (70 د). في 2 آذار، تنطلق الأنشطة مع أصدقاء برهان علوية في «إليك أينما تكون» (س: 18:00)، ثم يُعرض شريطان هما: «رسالة من زمن الحرب» (60 د) و«رسالة من زمن المنفى» (52 د). «بيروت برهان علوية» (س: 18:00) هو اسم الندوة التي تبدأ معها المواعيد يوم الخميس المقبل، مع الكاتب وليد شميط والشاعر هيثم الأمين والأكاديميَّيْن رولا ذبيان وربيع شامي. بعدها، يحين موعد فيلمَيْ «إذا الشعب يوماً» (28 د) و«إليك أينما تكون» (52 د).

أما الختام، فسيكون مع الفيلم الروائي الكلاسيكي «بيروت اللقاء» (90 د). على الرغم من إنجازه في عام 1981، إلا أنّ الشريط لا يزال يحاكي عذابات لبنان الحالية، فيما يحتوي على حوارات صادقة بقلم أحمد بيضون.

«برهان علوية اللقاء»: من الإثنين 28 شباط لغاية الجمعة 4 آذار . سينما «مونتاني» (المعهد الفرنسي في لبنان . طريق الشام). للاستعلام: 03/888763

مي والرفاق: جاز وسول

■ تضرب المغنية اللبنانية مي عبيد (الصورة) اليوم موعداً جديداً مع الجمهور في «صالون بيروت»، حيث تحيي حفلة بمرافقة ثلاثة عازفين، هم: رافي ماندليان على الغيتار، وشربل صوما على الباص، وبافلو ورديني على الدرامز. وفي هذه السهرة، تقدّم الفنانة الشابة مزيجاً من الجاز والسول، من دون أن يخلو الريبيرتوار من ألحان عصرية. أما الأعمال المختارة، فتعود لباقة منوّعة من الفنانين، أمثال: جوني ميتشيل،

وشيلا جوردان، وإسبرانزا سبالدينغ، وهياتوس كايوتي.

حفلة رباعي مي عبيد: اليوم السبت . الساعة التاسعة والنصف مساءً . «صالون بيروت» (شارع محمد عبد الباقي . الحمرا/ بيروت). للاستعلام: 01/739317

الزراعة للنهوض بالوطن

■ في إطار المؤتمر الوطني الذي تنظّمه «الحركة الثقافية ـ أنطلياس» تحت عنوان «التنمية في لبنان: خطوات إصلاحية للنهوض بالوطن»، يحتضن مقرّها في دير مار الياس، يوم الأربعاء المقبل، ندوة حول «التنمية في الزراعة: تشخيص وضع الزراعة وتحصين الأمن الغذائي». الحدث الذي سيُبثّ أيضاً مباشرةً على صفحة الحركة على فايسبوك، يجري بمشاركة رياض سعادة الذي سيتطرّق إلى وضع الزراعة اللبنانية في ضوء الأزمة الاقتصادية الراهنة، متحدّثاً عن حلول فورية ورؤية مستقبلية، إلى جانب حسّان مخلوف الذي سيتكلّم عن خطة من أجل دعم الاقتصاد الوطني وتحصين الأمن الغذائي. أما مهمّة الإدارة، فيتولّاها جورج أسطفان.

ندوة «التنمية في الزراعة: تشخيص وضع الزراعة وتحصين الأمن الغذائي»: الأربعاء 2 آذار (مارس) الحالي . الساعة السادسة مساءً . مقرّ «الحركة الثقافية ـ أنطلياس» (دار مار الياس). للاستعلام: 04/404510 أو mca@mcaleb.org

نزيه أبو عفش

يوميات ناقصة

البادية...

هنا، على رأسِ واحدةٍ مِن هذه التلالِ الغالية، وُلِدتُ.
أو ربّما هناكَ، في واحدٍ مِن بُطونِ تلكَ الأوديةِ السعيدةِ،
أَسقطتُ رأسَ نفسي، وَوُلِدت.
كانَ ذلكَ (حسبَما... يَستحيلُ عليّ التَّذَكُّرُ) في صبيحةٍ ما، أو عشيّةٍ ما، أو سحابةٍ قمريّةٍ ما، في يومٍ ما مِن شهرٍ ما مِن (وهذا ما يَسهلُ تَخمينُه) صيفِ عامٍ عتيقٍ ما.
ما أذكرُه (ما لا يُستطاعُ نسيانُه) أنَّ كلمةَ «صباحُ الخير» كانت، كطلقاتِ الرُّماةِ المُبَذِّرين، تَتَدَفّقُ مِن أفواهِ الناسِ ومن حدقاتِ أعيُنِهم وقلوبهم.
الجارُ للجارِ: صباحُ الخير!
عابرُ السبيلِ لعابرِ السبيلِ: صباحُ الخير!
والغريبُ للغريب (الغريبِ الذي لا يَصِحُّ أنْ يكونَ غريباً): صباحُ الخير!
البقرةُ لشقيقتِها، والكلبُ لصاحبِهِ، والمعزاةُ، والنعجةُ، والجحشُ، والقُبّرةُ، والثعالبُ، والدِّيَكةُ (الدِّيَكةُ المُترَعةُ حناجرُها بالصباحِ في كلّ حين): صباحُ الخير!...
بل وكأنّ الهواءَ القديمَ نفسَهُ (هواءَ تلكَ التلالِ والأوديةِ) كان هواءَ «صباحُ الخير!...».
... ...
الآنَ (يا لَـ.. الآن!) وأنا لا أزالُ هنا، على رأسِ التلّةِ ذاتِها، في بطنِ الوادي العزيزِ ذاتِه،
الآنَ (وقد صارت التلالُ أغلى، والأوديةُ أجملَ وأسعد)
أتَسَكّعُ في ما لا أزالُ أحسبُهُ زواريبَ الأزمنةِ العتيقة؛ تائهاً ووحيداً كمن يَتسكّعُ في باديةِ قمرٍ مَضروبٍ بصاعقة.
أتَلَفَّتُ مُستَعطِفاً ناحيةَ الجدرانِ والشبابيكِ والأسيجةِ والحقولِ وقطعانِ الدخانِ والغيم، وأنتظر.
أنتظرُ، مثلما انتظرَ «أليعازر» نَدهَةَ مسيحِهِ المُحْيِيَةَ، سماعَ نَدهَةِ الحياة.
أنتظرُ حالِماً، كغرباءِ تلك الأزمنةِ وعابري سُبُلِها المُترَفين، وأشتهي (أشتهي على غيرِ أمل) أنْ أسمعَ الرنّةَ الكريمةَ الغاليةَ لِـ «صباحُ الخير».
.. ..
يا أيّتها الحيطانُ الناجية! أيتها الحجارةُ الحنونَةُ الصامدة! أيتها الأشجار والبساتينُ والأسيجةُ والدروبُ والسماواتُ والغيومُ... الغيومُ التي ما عادت شبيهةً بالغيوم:
لكِ أنتِ، لكِ وحدَكِ وجميعَكِ: «صباحُ الخير!...».

الأخبار al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

■ رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
■ مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

■ المدير الفني
صلاح الموسى

■ المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963
/AlakhbarNews
/alakhbarnewspaper

■ الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 666314/ 01 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 26 شباط 2022
العدد 4571 السنة السادسة عشرة
Samedi 26 Février 2022 nº 4571 16ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي

www.al-akhbar.com

(طارق مامون)

رشا عزب
ذاكرة «مالحة»

نوال العلي

يقال إن التروما تحمل تاريخاً مستحيلاً داخلها، أو تصبح نفسها عَرَضاً لتاريخ لا يمكن لمن عاشه امتلاكه بالكامل. ما الذي يمكن نسيانه؟ وما الذي يجب تذكّره؟ ما يمكن تداركه أو الانتقام منه؟ غالباً ما يفكّر المرء في هذه الأسئلة لدى استعادة ماضيه، خصوصاً إن كان ماضياً يعيش ويستمر بقوة الصدمة، سواء كانت صدمة فرد أو جيل تشارك الزمان والمكان في لحظة شديدة العنف. تأخذ الصحافية المصرية رشا عزب قطعة كبيرة من الذاكرة الصعبة تلك وتوزّعها على 17 شخصية تقاطعت يوماً ما، في ثورة ما. لكننا نراها، بعدما انتهى كل شيء و«تحول الانتصار إلى هزيمة». لذلك تغيّب تفاصيل كثيرة عمداً ولا تكتمل القصص أو لا تقال كلها، إنما يمكننا أن نخمن خلفياتها.

تفعل الكاتبة ذلك في باكورتها الروائية «قلب مالح» (الكتب خان) التي صدرت أخيراً، بينما تواجه صاحبتها اليوم السبت القضاء المصري في محاكمة سريعة بتهمة «سبّ وقذف» المخرج إسلام العزازي، على خلفيّة شهادات نساء يتّهمنه بالاغتصاب والتحرش.

نقابل أُناس «قلب مالح» بينما يحاولون مواصلة العيش. يجرّبون الطرق المعتادة للهرب والنسيان. خمسة فصول تعنونها الكاتبة بـ «الحافة»، «الشاطئ»، «القلب»، «الضفاف» و«الجذور». تضع تحت كل فصل أقساماً صغيرة يحمل كل منها اسم شخصية من الشخصيات، إما تتحدث عن نفسها أو ثمّة صوت يتحدث عنها. نقرأ عن أمجد يمامة الذي يقرر السفر إلى إسطنبول، بينما ترفض سلمى نجيب الهجرة مع حبيبها بلال. ألفريد جاكوب يقرر البقاء. وصال معتوق مهاجرة يعيدها الحنين في رحلات متقطّعة. ولاء الخواجة في إيطاليا. بستان الشاهد تحب البحر في الإسكندرية وتكره النيل في القاهرة، وباقر أمان الله يهاجر مع السوريين عبر الحدود إلى ألمانيا. فوزي مصباح يهرب إلى فرصة عمل في الإمارات... صحافيون وباحثون وأكاديميون، مسلمون وأقباط، عشاق وأزواج ومثليون، مقيمون ومبعدون، يجمعهم سؤال الهجرة أم البقاء أو حتى العودة. الاستمرار في علاقاتهم العاطفية المهشّمة وصداقاتهم المضطربة أم التخلي عنها، الزواج أو الإنجاب أم لا، وأي صيغة ممكنة للخلاص، الفردي طبعاً.

تعرض عزب بالتزامن أصواتاً يرتبط بعضُها ببعض لكن متشظّية. ربما اختارت الكتابة على هذا النحو كطريقة هيكلية لتأكيد الروايات المتعددة للمصير نفسه أو حتى التشكيك فيها. وقد يكون عجزاً عن إعادة تصور المهزومين جماعةً متماسكةً من جديد أو تعطّل الذاكرة القادرة على استعادة ذلك. ليس ثمة سرد خطّي لقصة من أولها إلى آخرها، بل بنية تلتقي فيها مجموعة من الخطوط وتدخل في علاقة لا يمكن تسمية أي منها أساسياً أو ثانوياً. المشكلة الأساسية للبنية السردية لـ «قلب مالح» هي اختيار الرواة، فلماذا تمّ تكليف بعض الشخصيات وليس غيرها بوظيفة السرد؟ قرار تعددية الرواة والتنقل بين السرد بضميرَي المتكلم والغائب يقتضي بالضرورة أن تكتسب الشخصيات أصواتها الخاصة وأن يظهر ذلك في اللغة نفسها، وتصل إلى القارئ مسؤولية الشخصيات الراوية التمثيلية والوظيفية في السرد، لكنّ هذا لم يتحقق. إلا إن كان مقصوداً أن يصل إلى القارئ هذا الشبه الكبير بين «أبطال» الرواية، شبه أبناء الجيل والثورة والصدمة الواحدة. لا يمتد الزمن عند عزب، بل يتقطّع، وتعبّر عن فجواتٍ فيه، أحياناً عبر تدوين التاريخ تحت بورتريهات مرسومة لكل شخصيةٍ توحي بأنها حقيقية (أنجزتها دعاء العدل)، إذ تتغير هذه التواريخ بلا تسلسل من عام 2014 إلى عام 2018، أو عبر التنقل في فلاش باك غير مكتمل، والتصرف في ذاكرة الشخصية نفسها، ثم الخروج منها لزمن غيرها.

على لسان ندى حاتم، تكتب عزب «لما تكون مضطر تعيد ترتيب حياتك عشان لحظة طارئة، هتفضل تحس إنك عايش طول الوقت على صدى اللحظة دي، إحنا هنفضل لإمتى عايشين في الصدى؟». ربما يكون هذا سؤال شخصيات الرواية كلها. بعد سنوات من الاضطرابات والعنف السياسي والتنكيل النفسي والجسدي، تبدو كما لو أن حياتها الأصلية سُحبت منها وحُشرت في حيوات أخرى ميتة ليست لها.

حوار

نادر سراج: «خطاب الهامش» في أروقة الأكاديميا

في تقصّيه المنهجي والعملي لمفهوم «خطاب الهامش»، شكّلت العشرية الثانية التي حملت «نسائم تغيير» عربي مادة دسمة للباحث اللبناني نادر سراج عبر حصيلة شعاراتية وافرة وظّفها في كتابه «صرخة الغضب» (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات) الذي ضمنه دراسة بلاغية في خطاب الانتفاضات العربية ولا سيما اللبنانية منها، «لم تعد تحت مجهرنا مجرد هتافات وكتابات ورسومات غرافيتية مبتكرة. بل باتت نصوصاً تضجّ بلاغة وتكتنز دلالة وتتكامل تركيباً. وتجد طريقاً سالكة نحو ميادين التوثيق والتحليل والدرس والنشر والتدريس. التداعيات التي اعقبت مادّعي «الربيع العربي» وجدت رجع صدى ملحوظاً في المكوّن اللغوي، اهم عناصر الهوية والانتماء». حول كتابه الجديد ومفهوم خطاب الهامش واستئناسه للمزاج اللساني الجديد للاعتراض على الانظمة الفاسدة كان هذا الحوار

تقديم وحوار **محمد ناصر الدين**

■ كيف بدأت رحلتك في تقصّي خطاب الهامش ووضعه في مقابل خطاب المتن؟

مسوّغات تبادل الأدوار والسياقات بين المركز والأطراف، وتحليل تجلياتها ودرس مخرجاتها في الخطاب العربي المعاصر استوقفتني. ثنائية المتن والهامش التكاملية لا الضديّة، أثارت اهتمامي منذ تعرّفت إلى اللسانيات فرعاً دراسياً مستجداً. الانطلاقة الأولى من بيروت (1979-1981) حيث درست فونولوجيا إحدى لهجاتها المناطقية (المصيطبة)، وتوقفت عند أهم تحولاتها ورصدت كيفيات تلاؤمها في ضوء تقدّم العمران.

■ هل ساعدتك دراستك الأكاديمية في دراسة موضوع جديد على الأدبيات العربية على الأقل؟

على مقاعد جامعة «السوربون»، اكتشفتُ اللسانيات الاجتماعية فدرستُها، ودرّستُها، وهذاك باتت شُغلي الشاغل. أقدرتني مبادئها على فهم كيفية تشكّل التنوّعات والبدائل اللغوية الرائجة في طرائق التخاطب، وعلّمتني أن وحدانية المدلول وتعدُّد دوالّه لا يعيقان صحّة التواصل. في ضوء تعاليمها، تفهّمت في الثمانينيات مسوّغات العواقب الدرامية للاختلاف الصوتي عند رجل الشارع مثلاً بين تلفّظي «بَندورة» اللبناني ومثيله «بَنّدورة» الفلسطيني، وتابعتُ شغفي بدراسة المنطوق واليومي و«المعيوش»، لاستقراء الأمزجة وكشف الخطابات المسكوت عنها.

■ كيف تقدم كتابك الجديد للقراء؟

في تقصّيه المنهجيّ والعمليّ لمفهوم «خطاب الهامش» وآليات اشتغاله، يتنزّل الكتاب في مجالَي تحليل خطاب الشعارات وتأصيل بلاغة جديدة. هذان الفرعان الدراسيان المتكاملان باتا معقد الارتقابات البحثية الجادّة عند أهل الاختصاص وأصحاب الرأي. والدليل أن المضامين («الهتافات والشعارات والمدونات و«البوستات» والكتابات الجدارية) أظهرت أن ثمة أهميّة معقودة على هذا الخطاب لاستئناسه المراح الحيويّ للأفراد والجماعات، وما تحويه من معانٍ وإشارات ودلالات. والدارسون ما برحوا يفككون شفراته ويحللون منطوياته (نصوص احتجاجية، هتافات وأغان معدّلة وأهازيج وأمثال ونكات وتعليقات).

ولعل الشواهد المستقراة في الكتاب تلمّح إلى أن هذا الضرب من الخطاب الذي يجمع بين مستويات الفصيح المأنوس والمحكي «المعيوش» بلبوس لساني بلاغي، ويتضافر مع روافد سابقة مثل «مصر الثورة وشعارات شبابها» و«الخطاب الاحتجاجي» اللبناني، لا يقلّ حضوراً وقيمة تعبيرية عن خطاب المركز، بل يمثّل رديفاً مهماً له بوصفه الخطاب الاجتماعيّ والثقافيّ السائد.

■ ركّزت في «صرخة الغضب» على ألفاظ الحياة العامة والسكوكات اللغوية ولا سيما في تناول خطاب وأدبيات «الانتفاضة» اللبنانية. هلا شرحت هذه النقطة؟

التكوين اللساني أعانني على خوض تجربة رصد تجليات الهامش. فالتفت باكراً إلى منظومات الألفاظ والعبارات المأخوذة من لغة الحياة اليومية التي أهملها الباحثون. وسَموها بالهامشية رغم حضورها العفوي ورواجها المستدام عند أهلها العارفين برقيّها التعبيري عن معالم عيشهم المتغيّر. سهولة تشفير المتلقين للمنظومات التعبيرية المعنية وإنسيابيتها في سواقي كلامهم غذّتا الحصيلة الكلامية اليومية لهؤلاء، ويسّرتا لهم سبل الفهم والإفهام والتعامل مع الآخر. فشهدت العبارات الاصطلاحية والسكوكات اللغوية انزياحات دلالية، ولاحقاً تقوّمَست وتحوّلت إلى كنايات شعبية ومتلازمات لفظية بعدما استرعت انتباهتي العلمية. فشُلّطت عليها أضواء كاشفة، وتوقفت عند نماذج رائجة منها في خطابات المجال العام. كشفت عن معمياتها وشرحت منطوياتها بـ«العربي المشْبَرَح»، في معجم تأثيلي «العربية المحكية في لبنان: ألفاظ وعبارات من حياة الناس».

■ هل شكّل «الربيع العربي» مادة دسمة لتناول خطاب الهامش؟

حركات الاحتجاج الشعبي التي شهدتها ساحات المدن العربية منذ عام 2011 حفلت بحراك تعبيري غاطس وعالي السقف والنبرة. واكبها تمرّدٌ شارعيّ تُرجِم تمرّداً لغوياً على اللغة في صورها السلطوية المتعالية، أي الخشبية والوقوية والمتكلّسة. الغضب بات عنصراً محركاً، والشوارع المعترَضة تحوّلت إلى فضاء بلاغي متراص، واضحت وسيطاً متاحاً ومباحاً للجمهور كل الجمهور.

جدران المدن العربية التي شكّلت تاريخياً أسواراً فاصلة للمستقرات الكبرى التي أقامها العرب منذ خرجوا من جزيرتهم، وتحوّلت إلى حامية وحاضنة للاجتماع الثقافي الاجتماعي، ما تأخّرت في لبوس دور مستجدّ إبلاغي وإشهاري. فالكتابات الجدرانية تحوّلت إلى نصّ مفتوح لنَحو شبابي الروح، جريء الطرح وبليغ التأثير والإقناع ولم تعد مجرّد «خربشة» لونية.

■ هل يمكن اعتبار «صرخة الغضب» دراسة مخبرية لنقل معاكس لخطاب الهامش إلى مراكز الأبحاث والأكاديميا التي عادة ما تجهل ما يحدث فعلياً خلف أسوار الجامعة؟

الخوض في غمار الهامش والمتن بروحية النقد والمساءلة أسعف في تسليط أضواء كاشفة على هذا الفرع المعرفيّ المستحدث. فاستجليت دلالاته السيّالة، بما في ذلك الالتفات إلى المكبوتات النفسيّة وصيغ البذاءة السوقيّة كالـ «هيلا هيلا» التي ترددت أصداؤها في الساحات، ووُظّفت أداةً للاعتراض وللمقاومة الأنظمة الفاسدة. بشواهد ومعاينات حقلية أظهرتُ أن استرفاد هذا الخطاب في سياقات ومنهجيات وسرديات علميّة يرتقي بـ«اليومي» و«المحكي» و«الملفوظ» إلى مستوى أكاديمي رفيع ويعلي قيمته البحثيّة إلى مراتب العناية والجدوى.

تجديدُ النظر إلى مثل هذه العناوين والمواضيع الشائكة والشائقة التي أُدرجت سابقاً ضمن الجزئيات والهوامش غير اللوامع، لا يستوي إلا باستكمال الأطر المعرفية والمنهجية، وتلك الإجرائية عند الباحث لجمع معطياتها ودراستها بعيون العلوم العصرية. أمر ييسّر للباحثين المهتمين بهذه الحقول «الخام» الانتقال النوعي من الاهتمام بالمادة اللغوية الحقلية المقصودة بالدرس بذاتها ولذاتها إلى معالجة طرائق تشكّلها وصيغ اشتغالها ووسائط تموضعها في نسيج لغة الضاد.

يوقع نادر سراج كتابه يوم 11 آذار بين الساعة الرابعة والنصف والسادسة مساءً في جناح «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» ضمن «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب»

«صرخة الغضب» في الساحات المنتفضة

إنه الصراع الطويل في الثقافة العربية والإسلامية منذ تشكّل مؤسساتها الأولى الثقافية والدينية والاجتماعية بين ثقافة المركز المدجّجة بمنظومات كاملة تراوح بين إقامة الحد بالسوط والسيف وصولاً إلى القواميس واللغة والمجاميع اللغوية التي يصبح استعمالها فاشيّاً على حد قول رولان بارت، وتلبس في العصر الحديث لبوس الجرائد الرسمية ونشرات الأخبار ومناهج التعليم وغيرها من العدّة الإيديولوجية التي تسعى إلى تسويق خطاب «ثابت» لو استعرنا اللغة الأدونيسية.

ثقافة أزهر على ضفافها ما يكفي من «الآداب السلطانية» لترويض كل من يسعى في مخاطبة الحكام والملوك، إذ كما أورد الجاحظ «وليس لمن حدّث الملك أن يفسد ألفاظه وكلامه بأن يقول في حديثه: فاسمعْ منّي أو أفْهم عنّي أو يا هذا أو ألا ترى. فإن هذا وما أشبهه عيٌّ من قائله وحشوٌ في كلامه»، في مقابل ثقافة مشاغبة «متحوّلة» استلهمت الباطن والهامش بدأت بأدبيات الفرق الصوفية والباطنية والهامشية في مقارعة الخطاب الرسمي، ولطالما استخدمت تقنيات الترميز والمواربة (كابن المقفع في «كليلة ودمنة») وصولاً إلى انفلاش أدبيات الأحزاب اليسارية والماركسية والإسلامية حديثاً في مواجهة الاستخدامات الموسومة بالهامشية أو الشعبوية، إضافةً إلى فنون الإبداع في الإعلانات التجارية، ناهيك بالأرغاث argot أو اللهجات الخاصة، والبعض يسمّيها لغات سرّية، والأدب الطرائفي وسوى ذلك من وسائل الدعاية الاحتجاجية». في «صرخة الشعب»، يحمل سراج خطاب الشوارع إلى الأكاديميا في نقلة معاكسة لمحاولة فهم ما تقوله كرة اللهب الكبيرة في الشوارع العربية منذ أحرق بائع الخُضَر التونسي نفسه ثأراً للكرامة.

كما يقول سراج «فيه غوص في البلاغة الجديدة التي ابتدعتها قوى التغيير عن طريق المشافهة – المتنافرة وغير المتجانسة لجهة تكوينها مثلما عن طريق الكتابات المفارقة أو المغايرة لتوجّهات الرأي العام، فضلاً عن النصوص ذات الطابع الجدالي التي تنتج وتغذّي بالطبع حروباً وسجالات كلامية، ومثلها الاستخدامات الموسومة بالهامشية أو الشعبوية. إضافةً إلى فنون الإبداع في الإعلانات التجارية، ناهيك بالأرغاث argot أو اللهجات الخاصة، والبعض يسمّيها لغات سرّية، والأدب الطرائفي وسوى ذلك من وسائل الدعاية الاحتجاجية». في «صرخة الشعب»، يحمل سراج خطاب الشوارع إلى الأكاديميا في نقلة معاكسة لمحاولة فهم ما تقوله كرة اللهب الكبيرة في الشوارع العربية منذ أحرق بائع الخُضَر التونسي نفسه ثأراً للكرامة.

ذكرى

جوزيف حرب...

الطائر المغرّد فوق شجرة الأكاسيا

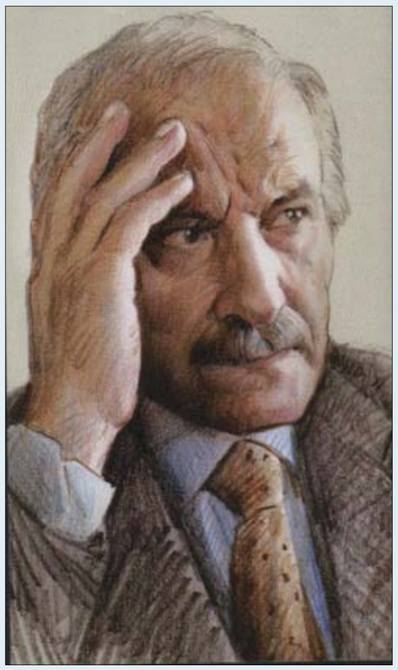

في يوم حزين من شباط (فبراير)، انطفأت شعلة جوزيف حرب (1944-2014)، الشاعر اللبناني المتوهّج ابن بلدة المعمارية الجنوبية في قضاء الزهراني بشعره الذي أقرب ما يكون إلى التراب «المشغول بقلوب» في «أسوارة العروس» التي غنّتها فيروز من كلماته. ضمن ريبرتوار طويل ضمّ إليه: «لما ما يال» و«اسامينا» و«زعلي طوّل اناوياك» و«بيروت» و«معرفتي فيك» وغيرها. حساسية شعرية عالية لم تعترف بالحدود بين المحكية والفصحى. وكلام شحنه حرب بطاقته العالية على تلوينه بألوان السماء والأرض. ولا سيما تلك الجنوبية المفتوحة على الريح والحزن وأعياد الماضي البعيد. لغة حسية نستشفّها من عناوين مجموعاته مثل: «شيخ الغيم ومكّاره الريح» و«السيدة البيضاء في شهوتها الكحلية» و«سنونو تحت شمسية بنفسج». و«دواة المسك» وغيرها من العناوين الرقيقة لمن كان ضمن الرعيل الأول ممن عُرفوا بـ«شعراء الجنوب» في سبعينيات القرن المنصرم. لم يأت جوزيف حرب بالخبز والورد إلى الشعر. وإنما حمل الشعر فرشاة يلون بها كل الأشياء. وخيّر بحمله إلى مملكة الفقراء كي نردد مع مرسيل خليفة صدى نشيد الخبز والورد من كلماته: «لديك ما يكفيك من خبز ولكن ليس ما يكفي جميع الناس. والأرض ملأى بالسنابل انهض وناضل». وتتلمّس ها في كتابه الضخم «المحيرة» (دار الريس 2006) حيث وصلت مقدرته إلى صياغة النظرية الماركسية شعراً ولخّص كامل تجربته الوجودية التي كانت تصدر منها إشارات إلى توقٍ للرحيل كما في عنوان «طالع عبالي فلّ» (2007) أو في النفس الشجي لبعض مقاطعه النثرية التي اخترنا باقة منها في الذكرى الثامنة لرحيله كتحية للطائر المغرّد فوق شجرة الأكاسيا.

اختيار محمد...

جاء الحصاد

هو الموت يأتي جميلاً لأنّي تركت رغيفي لكم.
أيها الموت، ماذا تبقّى لمائدة القبر مني؟ يدي؟
دخّلت كلّ أيدي الذين سياتون. صوتي؟ يعبش
باصوات كل الذين سياتون. قلبي؟ جنّنَ بأرحام
كل الثواني التي سوف تأتي. فلم يبقَ مني سوى
قشّة فوق هذا التراب، وبين الحصى، فلتعدّ
العشاءَ لك النائحات.
وداعاً.
سريعاً مضى العمر حتّى كأنّ السنين شرارات
جمر، وكفّ تضم يمامة وقت بخمس أصابع
ليس لها عُقَد. ليت لي جسداً عمره عمر روحي.
وليت المجيء بجسم قليل يصير مجيئاً بجسم
أخير، ليُلغى من الأرض هذا الوداع الأخير. أحبّكِ
حتى لأغدو فقيراً أمام كنوز يديكِ. ولا البحر
يكفي، ولا شجر الأرض، حتى أجيئكِ ذات مساء
ببعض الهدايا. وقد كان قلبي كراهب دير، يفتش
عن صلوات العصافير وهي تخطّ مناقيرها في
المياه، لأختار منها كلامي حين أراكِ. وداعاً، ترافقكِ
الشمس طيلة هذا الغياب. اغمري الغيم عنّي،
وخلّي صديقي التراب يراسلني كل عام بمكتوب
قمح.

مشهد المرأة

يا أيتها الملأى بأيدٍ لرجال قد مضوا، كل الذين قد
أتوا، أتوا لأجل امرأة. فساعدي يديّ لاكتشاف ما
لم يصلوا إليه فيك. إنني أرقّ، أبهى، كاملٌ أكثر،
حدّ ونقي، لامعٌ، سكران وجهي فيك مثل حورة قد
شربت إبريق ريح، ناضج كغيمة في شجر البحر،
منقّح كجملة النبيذ بعدما الخمّار نقّح العريش. لا
سواد فيّ، لا انحناء، فافتحي البياض لي. تحوّلي
إلى غمامة مُخصبة لكي يصوغ القمحَ والوردة من
قامتك البيضاء فنُّ الريح.
يا كثيرة لم أكتشف إلا القليل منك. يا بعيدة
ليس معي منها سوى القريب. مات كل فرساني،
لم يبقَ سواي، ساعديني أن أكون كلّهم في واحد،
رسولك الجميل في الأرض، شهيدك الذي قد عُلّقت
قميصه الحمراء في كنيسة النهار، زيّني خطاي
السبع بالحكمة، قلبي بالبياض، جبهتي بقوس
نَجْم. وأظهري على نحولي منك طيفاً يرشح
الذي تبقّى من دمي عليه. يا مملكة ملأى كنوزاً،
أجمل المرأة فيك أن تكوني امرأة الكلّ التي تحمل
رقصاً للمحبين، غناءً للذين اشتعلت أفواههم
وردا ومزماراً، فخلّي الأرض قاعةً وراقصين، كلّ
راقص يأتي بثوب أبيض، يرمي على رجليك
سيفاً وخزامى، ثم يدعوك إلى الرقص، فترقصان
حتى ليظنّ الوقت نوماً، وهو في حلم، وأنت امرأة
مشتعل في خصرها الرقص، استحالت شمعةً،
عشاقها إن ضوّؤوها، هي من يبقى ضوؤها يقطر
أعراساً، وهم في ظلّ نهديها يذوبون بها.
(من مجموعة «مملكة الخبز والورد»، 1991)

هنا

هنا لا رنين السواقي، ولا شجر الخوخ، والدرج
المستظلّ بخيمة دفلى، ولا قيصريّة كل العصافير،
لعبة أختي، بياضات حبل الغسيل، دكاكين بيع
المنّس والسّنق الساحلي.
هنا، لا سريري، ولا تينة البيت. لا وجه أمي الذي
يشبه الأحد البلدي، ولا وردة بلغت خمس عشرة
شمساً وظلّت بغير مناديل، أو عازبه، هنا راهبه.
هنا
لا الصباح الذي تجد الحقل تحت الوسادة فيه، ولا
الكسل الشاعريّ، ولا كعكة القمح من صانع الفرن،
لا لغة الغصن، والقصب الفارسي، ولا أمٌّ غيم تعلّق
في ثوبها ولد السنديان البعيد.
هنا
لا مساء المواقد. لا الثلج يفتح علبة تبغ لنا فندخّن
منها ونرسل ذلك اللهاث الضبابي في البرد.
لا بدوية خور تبصّر للموج قبل الرحيل وفي
معصميها أساور من ورق ونسيم لها وسوسَه.
هنا مدرَسَه.
لا كراسي مقهى الشحارير في الشّيح. لا الغرف
البيض والصُّفر للنحل في نرجس البرّ. لا أغنيات
الطواحين، والدفّ ماء، وعيد الطحين يزيّن باب
البيوت بقنديل خبز.
هنا
لا سلالم نصعد فيها إلى السطح كي نلمح
العربات القديمة وهي تغيب وراء التلال، ولا
امرأة تلد التوائم اللذيذين: طفلاً، وحلوى لنا. لا
أباريق خمر، وأغنية في زفاف الرغيف، وسوسنة
الوقت، والقبلات.
هنا لا كروم ولا معصره. هنا مقبره.
(من مجموعة «شيخ الغيم وعكاره الريح» بجزئه الأول: «قميصي الوزّال قبّعتي العصافير»-2001)

التلويح دمع الأكف

في الليل تذهب أمهات، لفّهنّ سواده القمريّ.
علّقنَ الدموع على المآقي مثل شمع كنائس
الوديان. ينقُلن الخطى، من غير أن يخشَين شيئاً
في الطريق، فقد غدت من كثرة الرّوحان تشبه
مدّ بُسُط في منازلهنّ. كنّ يجئنَ تلألأ، تحته بحر،
لكثرة بُعد آخره يضيع العين إن وضلت إليه. هنا،
يقفنَ جميعهنّ إلى الضحى، والليل أسود. ليس
إلا الريح تأتي وهي حاملة روائح ذلك البحر
الذي ألقى على أمواجه أبناءهنّ فأصبحوا خلف
البحار.
وكنّ يكتلن الرياح لعلّ رائحةً لهم تأتي، فيسعدهنّ
أن البحر لم يغرق به أبناؤهنّ. وكنّ يغمضن
العيون ويستمعن إلى نداءات تجيء من بعيد،
لعلّ صوتاً ما، نداءً ما، يكون لواحدٍ ممن مضوا.
فتسيل أدمعهنّ من فرح، لأن الصوت يعني أنّهم
خلف البحار السود ما زالوا على قيد الحياة.
فاه كم في تلّهنّ شممنّ في الليل البحار. وآه كم
أصغينّ للأصوات تحملها الرياح من البحار.
مضى المهاجر، لم يُخلّ لإثمه إلا خياله.
تبكي وتنتظر الرسائل. لا بريد يجيئها. وروائح
البحر العميق، وصوت ريح الليل، وحدهما
الرسالة.
(من مجموعة «شيخ الغيم وعكاره الريح»- الكتاب الثاني: «كتاب الدمع»-2001)

أدم بين هلالي الحمام

أفتحُ القمصان عند امرأتي، ما ترتدي من قُطف
الحزن الموشّى، في غيابي. شوقها منديلها
المرخي عليها. دمعها لم تتشح عينٌ به إلا إذا كان
طويلاً. ما ارتدت في البعد نسياناً ولا إغفاءة
ولا رجُلاً. كانت إذا ما أقبل الليل يغطي وجهها
إكليل شجو، ثم تمضي ليلها سهرانة مع نسوة
من ذكريات. لم تكن إلا هديلاً يكتسي طيف
يمام. وذراعاها نداءان إذا مدّتهما صارا صدى.
كم غالتْ في البُعد أن تغدو خيالاً، خوف أن لا
تكتسي قامتُها إن عُدتُ أو، الا أراها. حاولت أن
تستعيد النسوة اللائي قديماً كنّها، أن تخلق
اللائي سيصبحنّ غداً ميلادها، كي التقي فيها
بإحداهنّ إن ماتت حنيناً.
كان يأتي قمر يحرسها. ستّ غيوم أطفأت عينهنّ
الريح يغسلن لها أردافها بالحَزّ والنابات. كان
الكوكب البحريّ يسقي بين فخذيها مساء العشق
حيث الشمس لا يظهر منها غير قوس تشبه
الحاجب في وجه نساء البدو. لمّا عاد من حلمتها
تموز، أوصى شهر أيلول على عام زبيب. أرسل
العرّاف تسعين شتاءً كي يجيئوها بمن مدّ ذراعيه
أعاصيرُ وبرق. عاقر إلا إذا ضاجعها من ملحه
قمحٌ وزيتون وورد وحمام. لم تجئ في صورة
الأفعى. ولا غطّت على أكتافها البيض الخطايا.
وجهها نصف ملاك غامض. ما بين ذي الإكليل
والسرّة صحن الآس، أبهى ليلة للشمع، أو صومعة
في الكرم للرهبان. يا قديسة أرفع في الصبح
ذراعيّ إليها، وأنا أجثو أمام العري فيها، إفتحي
لي ماءك السريّ كي يدخل ملحي.
(من مجموعة «السيد البيضاء في شهوتها الكحلية» - 2000)

بيروت

هات خنجر ديك الجنّ أطعن ما تبقّى في دمي
منها، لأقدر أن تمسّ أصابعي امرأةً سواها،
أن أذوّب من جديد قامتي في العشق. لكن، إنها
بيروت. وهي الآن في هذا الحصار المرّ أنقى من
نؤاسات المسارح أو وفاء يديك. فاغرق في السحابة
كي تشم ثيابها الزرقاء واصعدْ في السنابل
كي ترى القُبّل التي انتظرتك فيها. وأغلق المرآة،
وافتح دمعها، وادخل إلى الحسد المبلّل بالهفال
وزنبقات الحقل. يا بيروت يا امرأتي التي صفان
فخذاها، وتسعة أشهر للبرد بينهما، ونهداها
مساءا آخر اليومين من تموز، يا بيروت يا امرأتي،
محبّول الذين غمرتهم حتى الصباح وخنتني
معهم مضوا. هل تلحقين بهم إلى أجسادهم كي
يغلقوا أبوابها في وجهك المنسي، أم تبقين في
هذا الحصار، وحولك الفقراء من طردتهم الأسواق
من بساتينها المتمتّع كل جباهنا الحمراء، ممن لا
يملكون سوى العصيّ، وموتهم من أجل أن تبقي،
وأوسمة الدموع معلّقات تحت أعينهم؟
فيا فقراء، فلننشر لبيروت الغروب لعلّها تختار
نزهتها إلى دمنا، وتجلس تحت صفاف الأكفّ.
وكلّما قصّت جدائلها، سقيناها مرايا الروح حتى
يستفيق بشعرها ناي، فيطول من جديد، كلما
اشتاقت إلى فمها حملنا بركةً في الليل أشعل
ماءها قمر. ويا فقراء، فلندخل إلى يدها لنخرج
بالسيوف. فقد أحاط بها الغزاة، وأطفأت قنديلها
خوذ العواصف. والقراصنة ارتدوا أسواقها،
وتسلّقت أسواقها النيران. وارتفعت على أبراجها
الزرقاء رايات الرماد. فتوّجوا بيروت بالعشق
المحلّل بالجراح، وفضّة القبضات. هذي أرضكم،
فتوزّعوا في الغصن. هذي شمسكم، فتوزّعوا في
الوقت. يا فقراء شعبي، واحرسوا بيروت فيكم. إنها
ليست بقديس لتعبد. إننا لسنا بنشاك لنركع. غير
أن العشق للوطن الذي ينساب في بيروت، يجعل
وجهها الصدفي قديساً، ويجعلنا عراة يُجلدون
أمام هذا البحر حتى يركعوا كالأولياء أمام وجه
الله. فلتقلع بنا سفن الحصار. إنّا إلى دمنا المذهّب
راحلونَ كي ناتي لسيدة العواصم بالنهار.
(من مجموعة «شجرة الأكاسيا»-1986)

قصيدة

«بيونغ سي 17 غلوب ماستر» ليست شجرة

الهروب من كابول يوم 28 آب (أغسطس) 2021 (وكالة Maxppp)

عبد الرحمن مقلد *

1. «أبناء صنوبرة» (3 أفغان سقطوا من طائرة الشحن العسكرية الأميركية وهي في السماء.)

نحن 3 أفغان متلاشينَ
3 أجساد ساخنة
سقطتْ
مثل الثمر العطن
ولم تلقفها الأرض
3 أرواح فارغة
علقت
في طائرة الشحن
■■■
نحن 3 أفغان
خانهم الحدس
فحسبوا
طائرة «بيونغ» الأميركية
تملك روح صنوبرة
فتسلّقَ كل منا
واحتضن الشجرة في داخله
وتفيّأ ظل جناح
لكنّ السطح الأملس لمحركها
ليس لحاءً يقرأ نبض قلوب خائفة
ليميل الجذعُ الخشنُ
فروعاً نمسك فيها
الشجرة تملكُ قلباً
أما الطائرةُ
فجهاز تحكّمها لم يدركنا
■■■
الطائرةُ زوجة أبٍ قاسيةٌ
والشجرة أمٌ نتعلق في رقبتها
حتى لا تخطفنا الريح
ولا تاخذنا الأرض
وقد يُفتّتنا العشب الأخضر
نسقط
أو نتحطّم
لكنّا نبقى
أبناء صنوبرة تبكي
إن أدركنا الموت
شريفاً
لا يلتقط ثلاثة أفراخ تتوسّدُ ريش
جناح الطائرة
ولم تدفعها أمومتها لتكشّر
في وجه ملاك الموت
لم يعرفنا الجسمُ الناعمُ للحرباء
الأميركية
وهي تقصفنا مثل بصاقٍ
(نحن بصاقٌ؛
فضلات بيونغ غلوب ماستر!)
فسقطنا لم تدركنا الأرض
ولم نتصادف برعاة جبالٍ تتسربلُ
كابول
لا «طالبان» رأونا
لم يصحبنا سرب طيور مثل ناسٍ
مهاجرة
نحن الأفغان المتلاشين
تصادف أن الفيديو التقط 3 أشباح
لطموا العالم
ثم تلاشوا
ليت مجال الكاميرا اتّسع
لنعرف أين ذهبنا
■■■
ليس الموت
- تقول السيّدة الميتة -
أن أتجمّد فوق الثلج
لكنّ الموت
عيون صغاري وهي تترجّى
والأسنان وهي تصطك
هلاكي ألا يجدَ صغاري
الدفء الآن
ولا أكثر
دفئاً
ورغيفاً
وحليباً
تهذي المرأة
هب يا ربِ صغاري هذا
وأذقني موتاً أكبر
ولاتعذب
وليتثلّج قلبي
فوقَ الأرض القاسية
وراء الأسلاك
وأقسم بأنّي جاهزة
لملاقاتك
بشفاه جامدة
أتوسّل
كي تمنحني القدرة
لأخفّف روع الأطفال
وأنا أتجرد من أسمالي
في معركة النفس الأقصر
أقول:
لتأخذ صيحات الموضة جلدي
ولتمنحي ثوب فراء...
ولتستخرج مجموعات النفط
دمائي
وتهبني ليتز سبيرتو
ولينهب عظمي أبناء قبائل هذي
المنطقة
قطاع الطرق
مقابل شعلة نار
لحمي لذئاب الصحراء
لأعرف كيف أقدم مثل الليؤة
إغراء الخائفة إلى المنتهرِ
■■■
صغاري...
تقول السيدة الجامدة
وهي ترتعد
يمكنني أن أكنّس آلاف الكيلومترات
نظير وقود يلزمني الآن
وأحرث مئات الأفدنة
مقابل جذعٍ
أصنع لصغار العالم حلوى
ولأخذ طبق حساء
أمسح أدراج الناطحة درجاً درجاً
مقابل حجرٍ حتى تأتي الشمس
وأرجع دون الحاجة إلى بلاد قاسية
وجدار صلد
حراس حدودٍ لا يدرون
اللغة البشتونية
ولا يثقون بقلب الأم
أعدني يا رب
أعد أطفالي
ولياخذني «جند الله» ضمن
سباياهم
الموت هنا... الموت هناك
والرحلة بينهما موت أقسى
فيه صغارك يتدثر كل منهم
بالآخر
يتقابل دفء بخار الأول
وبخار الثاني
وأنا أتجمّد
أحلم بوروٍ يزرعها أطفالي في
قبري
بحقول خضراء
بيتٍ يتربى فيه الأحفاد
وينسى أبنائي هذا الوقت الصعب
كن معهم يا رب...

3. «وفق رويترز...» (رضيع أعطاه والده لجندي أميركي في مطار حامد كرزاي ضمن فوضى انسحاب الأميركيين)

هذا يوم الحشر
يوم تكلم من في المهد
رضيعاً
يوم يفر المرء
يفر أبوك...
وإخوتك
وأمّك
ينسَوْنكَ جميعاً
يُلقيك الجندي هو الآخر
ويفرّ سريعاً
هنا يتكلم من في المهد؟
نعم يتكلم
من هول الحاصل
يصرخ بجوار البوابة
يخشى أن يندهس
إذْ لا يكفي صوت الواوَاة
حين قطيع الناس
يدوس قطيعاً
في يوم الحشر
يوم يفرّ المرء
ليلحقَ آخر طائرة
بمطار كرزاي
تقول وكالات الأنباء
والطائرة بيونغ «سفينة نوح»
ترحل قبل قيامة هذا البلد
وتبعث في الجهة الأخرى من هذا
العالم
صراط يمتدّ رفيعاً
يمتد لآلاف الكيلومترات
علينا أن نتقرفص فيه
وننسى أن رضيعاً
ألقاه الجندي وهرب
يصير المرء وضيعاً
حين يكون الموت على مقربة
لكني لستُ الابن العاق لنوح
ولم ألتمس القمم العالية لتورا بورا
لم أتقلّد زيّ «الطالبان»
ولا اتبع «القاعدة»
وأمسك غرينوفاً روسياً
لأكون ضحية هذا العبث
أكون يسوعاً
بجوار البوابة
يتكلم في المهد
ولكن لا يسمعه الناس
كأنّ المعجزة اختارت أن يخمدها
الحظ العثر
وتابى أن تكتمل
جوار سياج مطار كرزاي
العالم مشغولٌ بالفوضى
من يشغله الطفل سهيل
وليد الحارس ميرزا
ابن السيدة ثريا أمّ الأطفال الأربعة
الهاربة من المجهول إلى مجهول
النازفة دموعاً
ندماً
في الطائرة
وأبٌ خرّ صريعاً
كيف ائتمن الجندي الأميركي
وصدق هذا الأمل الكاذب
وأبرم صفقة شرف عند سياج مطار
كرزاي
يوم الحشر
يوم يفرّ المرء
ويوم تكلم من في المهد
بهول الحاصل

- ملحوظة: الأسرة وصلت إلى الولايات المتحدة والطفل عثر عليه سائق تاكسي حيث تعلم أولى الخطوات في كابول بصفة رضيع آخر... حتى اليوم الرابع عشر من كانون الثاني (يناير) من عام 2022 لم يلتمّ الشمل بين الوالد ميرزا والسيدة ثريا والطفل سهيل)

* القاهرة/مصر

قصة

رقيق هو الليل

محمد خلفوف *

أطفأ النور وحاول النوم، لكنه لم يستطع. ظل يفكر في كل ما قاله الكاتب: القتل، العبقرية، المجد الرياضي، سهام... سهام بصدرها المتلئ وجسدها المتناسق... سهام لا تقبل إلا رجلاً حقيقياً... وأحسّ بجسده مثقلاً، وكان كل تلك الضربات بالحزام والصفعات والوقوف عارياً تحت المياه الباردة والليالي المظلمة المشبعة بالوحدة... قد استيقظت فجاة.

نهض من الفراش. عندما لا يستطيع النوم، يخربش في دفتر المعادلات، لكنه الآن لا يستطيع. أرتدى سروالاً نظيفاً وغادر الغرفة. كانت الشقة لا تزال غارقة في العتمة والصمت. ألقى نظرة على المطبخ فوجده كما تركه. حمل مفاتيحه وغادر الشقة. وسار على امتداد حي الأطلس. في الطريق، انتبه إلى أنه نسي ساعته. ورأى الفتاة التي كانوا يريدون اغتصابها تجلس معهم، يلتمع وجهها الأغبر مع جمرة السيجارة في الظلام. الشوارع خالية، والمحالّ والمقاهي مقفلة. مخنث يحاول إيقاف تاكسي. وكانوا في مقهى «لارونيسونس» يجمعون الكراسي. وحدها البارات وبعض الحوانيت لم تقفل. كان يشعر بحقد شديد نحوها. لطالما تمنى أن يشبعها ضرباً، وأن يمد يديه ليخنقها... لكنه لم يكن قادراً سوى على البكاء والصراخ.

مشى على امتداد الحديقة الطويلة جداً، المليئة بالعشب وأشجار النخيل، والكراسي الرخامية الباردة، وعبر إلى الحديقة المجاورة، التي تبدأ من الفندق وتنتهي عند ولاية الأمن. في الصيف، يكون المكان مساءً ممتلئاً بالناس والأطفال الزاعقين، وبائعي الذرة والفشار وغزل البنات... وتكون المقاهي مضاءة، يصدر منها ضجيج الزبائن... الناس يمارسون الرياضة وينزّهون كلابهم، والأطفال يركبون عربات صغيرة مضاءة بالوان قوس قزح... أما الآن، فبالكاد تمتلئ المقاعد الرخامية. جلس على مقعد وظلّ جامداً، لا يفكر في شيء، أو هي أفكار كثيرة كانت تزدحم في رأسه. فكّر في كلام الكاتب، ردّد ما قاله: «يجب أن تتغير... يجب أن تتغير».

العالم لا نهائيّ، ومتغير باستمرار، بينما هو ثابت، لا يتحرك، لا يتغير، أو هو عاجز عن التغيير، لشيء في ذاته، رغم عبقريته. لا يريد أن يستمر في هذا الوضع إلى الأبد، عليه أن يجرب مكاناً آخر، أن يُدخل هواء جديداً إلى رئتيه... لا يريد أن يبقى من أصفار ما بعد الفاصلة؛ لا تُحتسب... مثله مثل آلاف الأصفار الذين يعرفهم، الذين لا تشكل حياتهم أو حتى موتهم فارقاً...

كلما فكّر في شساعة العالم، وفي لانهائيّته، بدا له الأمر مستحيلاً وفي غاية الغباء... وعليه أن يتوقف عن التفكير في التغيير، والحلم بحياة أخرى... وأنه مجرد شخص متوحّد، ضعيف البصر، يعيش تحت ظل امرأة مشبعة بالقسوة. يخاف أن يغادرها فلا تغادره، أن تظل ساكنة في داخله غير قابلة للموت أو النسيان. أن تظل حية بكل جبروتها وقسوتها المبهمة، نتيجة وعي مبكر شديد، عرف أنه قد انفصل عن تلك المرأة، أمه، وأنه صار جزءاً غريباً عنها، تتفادى وجوده في حياتها.

«لقد تعبت!» عند كل محاولة اقتراب منه تبتعد، وكلّما مدّ يده تجاهلته كأنها غير مرئية. لطالما تمنى أن يكونا مثل أم وابنها، عاديين: ينام في حضنها، تقبله عند الحضور وتسأل عنه عند الغياب (مضى وقت طويل لم تلمس شفتاه بشرتها. ربما العمر كله!) يتحدثان، يخرجان معاً، يجلسان للأكل بكل حبّ وود، تسأل عن أتفه تفاصيل حياته. لكنها كانت دائماً تكسر توقعاته.

ويشتلز: ليلية بالاسود والذهبي (زيت على قماش، 1875)

بعد الفحوصات والأشعة قال الطبيب:
- ابنك يا سيدتي مصاب بمتلازمة اسبرجر، نوع من التوحّد...
- التوحّد؟ هل هو معاق؟؟
- لا. التوحد ليس إعاقة. إنه مجرد اضطراب، وراثي في الغالب، لكنه سيعيش حياة طبيعية كالآخرين.
دفعت بي داخل المنزل وقذفت حقيبتها والمعطف، وصاحت:
- متلازمة اسبررررربررر... ستبقى بلا فائدة طوال حياتك.
أحلامه عبارة عن سقوط متكرر ولا نهائيّ في فراغ عميق معتم. يحاول التشبّث بشيء ينقذه من السقوط.
قام عن المقعد وسار على امتداد الحديقة مرة أخرى، مستمعاً إلى طقطقة المفاتيح في جيبه، عبْر الرصيف، ودخل زقاقاً مظلماً ولشدة استغراقه، لم ينتبه إلى ضوء السيارة يخترق عتمة الزقاق، حاول - في آخر لحظة - صعود الرصيف بحركة سريعة، لكنه تعثّر وسقط. ظن أن صاحب السيارة سيتوقف، بعد أن يراه من خلال مرآة السيارة الجانبية، وينزل لمساعدته، لكن السيارة أكملت طريقها.
لم يتمزّق السروال لكن رُكبته جُرحت. امتلأ برغبة قوية في إحراق العالم. كان أضعف من ذلك، وهو يعلم ذلك جيداً.
لماذا تفادى السيارة في آخر لحظة ولم يتركها تصدمه؟
رغم الألم في ركبته اليمنى، تجوّل في ليل المدينة، وجاب الشوارع التي يعرفها جيداً، الصاخبة نهاراً، الهادئة ليلاً، هدوءاً صاخباً. لكنّ هواء الليل لم يدخل رئتيه.
في المرحاض ضمّد الجرح، وغسل ساق البنطال حيث تكوّنت بقعة من الدم. وهو ينشر البنطال في الشرفة نظر إلى السماء السوداء، فكّر:
- الله في السماء. لطالما أرسل دعواته إلى الله، لكنّ الله لم يستجب، ربما هو غير موجود. الرياضيون لا يؤمنون بوجود الله، يرون أن العلم قادر على تحقيق ما فشل الله في تحقيقه.
- كرهني الناس فكرهت نفسي. أنا بلا قيمة: حياتي، أفعالي، أحلامي، حتى تنفّسي هذا مجرد هواء ينتشر في الفضاء ثم يتلاشى.
أنا مجرد عاهة في أعين الجميع: ابتداءً من أمي إلى أتفه كائن على هذه الأرض.
كان المنزل صامتاً. في الخارج يُسمع صوت السيارات المارّة، والمصابيح التي تنطفئ عند الفجر، تكشف عراء الشارع. ووسط هذا الصمت، وألم ركبته، حاول النوم.
رقيق هو الليل،
قاسٍ هو الليل...

* فاس/المغرب

نص

بلادٌ، دومًا، أخرى

محمد بنميلود *

اجلس على هذه العتبة جنبي، وحدّثني عنهن، الأمهات.
سيتأخر المترو بسبب الجليد.
حين سيأتي سنعبر إلى بلاد أخرى، صامتين، مطاطئين، من دون حقائب، ومن دون تذاكر.
سأشرب هذه الجرعة الأخيرة التي تبقّت في العبوة كي تنتشي أنت وتحكي، وأنا سأصغي إليك مبتسماً، ساهماً في الحديد والخرسانة والعربات المعطّلة، كما لو أنها جبال بلادي وحقولها وتلالها.
استبدّ بي الحنين في هذه المحطات التي لا تنتهي، ومهما أحكمت باقة معطفي، يتسرّب برد لاسع إلى القلب.
رائحتهن تصل مع الزعتر الذي أحضره مهاجرون جدد.
رائحة قراهن في الأصيل بعد حصاد فقير، أو بعد جنازة.
من أساورهن يستلهم الشجر حفيفه.
من حناجرهن وهنّ يغنين تَمَاوَأتْ (1) تبزغ أسراب الحجل وتقع في الشباك.
وتقفز السنبلة من وشم ذقن الجدة إلى حقل.
أتذكرهن كلما سعلت القطارات في آخر الليل.
كلما أطل عليّ الله أشقر وحزيناً، من عينيّ طفلة الجيتان اليتيمة، المتسوّلة في العيد،
أمام باب مدينة الألعاب.

(1) أهازيج جبلية أمازيغية

* بروكسل/المغرب

قطفت لكِ هذه الزهرة

فيكتور هوغو
ترجمة محمود شريح

قطفتُ لكِ هذه الزهرة من الربوة.
عند المنحدر الخشن فوق الجدول،
الذي يعرفه النّسر وحده،
وبقدر وحده على الدنوّ منه،
هانئةً، كانت تكبر في شقوق الصخر.
قطفت لك هذه الزهرة،
يا رفيقتي الحبيبة.
شاحبةٌ هي،
وتويجها لا يفوح طيباً،
وجذرها الذي نَبتَ في نخاريب الجبال
لم يأخذ سوى رائحة العشب البحري المُرّة؛
قلت، في سرّي: أيتها الزهرة النحيلة،
في عليائك تزدهين،
قابعةً في دغل الكثيف
اذهبي إلى هذه الهاوية
حيث يذهب العشب والغيمة
والمراكب تجري
اذهبي للموت فوق قلب، لهوَ هاويةٌ أكثر عمقاً
على صدرك تذبلين كما يرتعش كون.
السماء، التي أطلقتْ ورقكِ في العتمة،
ولدتكِ للمحيط، وها أنا أمنحكِ للحبّ.

فيكتور هوغو: مدينة مهدمة الجسر (حبر على ورق، 1847)

باربارا كولاس: غجر (حبر على ورق، 2020).

مذكرات

حنا إبراهيم ميخائيل... الثائر الرومانسي والمثقف المشتبك

عبد الرحمن جاسم

إنه كتابٌ مختلفٌ للغاية. سيرة حياة لكنها ليست سيرة حياةٍ كذلك. سيرُ الحياة تتناول في المعتاد، حياة شخص ما بشكل يستدعيها، ويكتبها إثر نهايتها. يأتي كتاب «غيّب فازداد حضوراً: حنا إبراهيم ميخائيل (أبو عمر) ـ إعداد زوجة المناضل ورفيقة سلاحه جهان حلو» (دار الأهلية) مقارباً سيرة حنا إبراهيم ميخائيل (1935 ـ 1976) أو أبو عمر، الجامعي والمناضل الفلسطيني المثقف الفذ الذي لم تنته بعد، إذ إن فصول نهايتها لما تكتب بعد. اختُطف حنا ميخائيل فجأة في أواخر شهر تموز (يوليو) من العام 1976، حين كانت الحرب الأهلية اللبنانية لا تزال في بداياتها. اختفى المناضل الفلسطيني مع تسعةٍ من كوادر المقاومة الفلسطينية، على رأسهم عبد الحميد وشاحي (اسمه الحركي نعيم)، أثناء سفرهم عبر زورق مطاطي متوجهين من بيروت صوب شمال لبنان وتحديداً مدينة طرابلس. ومنذ ذلك اليوم لم يسمع أحدٌ عنه شيئاً، لم تظهر جثثهم، ولم يكتب لهذه القصّة نهاية. بالتالي إننا أمام نهايةٍ مفتوحة، حتى ظهور تلك النهاية مهما كانت مفجعة. بعضهم قال بأن «القوى الانعزالية وأعداء الثورة» ـ بحسب الكتاب ـ هم من اعتقلوا أو قتلوا الراحل ومجموعته. لكن لا نتيجة نهائية، على الرغم من قضاء جهان حلو أربع سنوات كاملة في البحث عن أي أثر يعيد الراحل إليها، أو على الأقل تصلُ إلى نتيجةٍ واضحةٍ حول مصيره.

يقسم الكتاب إلى أجزاءٍ متعددة، وهو كما أشرنا ليس كتاب سيرةٍ معتاد. يُفتتح بمقدمة هي إجابة على سؤال: لماذا كتاب أبو عمر؟ تجيب معدّة الكتاب وحافظة ذكرى الراحل المناضلة الفلسطينية جهان حلو، على هذا السؤال، ليأتي بعد ذلك تقديم الكتاب ثم ذكريات الأهل، وذكريات الأم وشهاداتٍ وذكريات حول الراحل من شعر ومقالاتٍ ونصوص وأبحاث كتبها الراحل بنفسه؛ وصولاً إلى تفريغ رحلة البحث عن أبو عمر التي امتدت لسنواتٍ أربع في محاولةٍ للوصول لنهاية لتلك القصّة، أيما كانت النهاية.

انضم دكتور مادة الشرق الأوسط والدراسات الإسلامية وابن مدينة رام الله حنا ميخائيل، خريج جامعة «هارفرد» الأميركية (دخلها عام 1953 إثر منحةٍ دراسية) إلى حركة التحرير الوطني الفلسطيني «فتح» في العام 1967، على إثر ما عُرف بالنكسة. كان المناضل الفلسطيني قد ذهب إلى أميركا بدايةً لدراسة الكيمياء، لكن السياسة كحال معظم الفلسطينيين قد جذبته، فقرر دراسة العلوم السياسية، ليدخل بعدها سلك التعليم. درّس في جامعة «برينستون» العريقة (وهي من الجامعات العشر الكبرى الأهم في العالم)، ثم جامعتي «واشنطن» و«سياتل»، عمل الراحل في دائرة العلاقات الخارجية في «فتح» التي كانت تعمل على إقامة علاقات آمنة مع اليسار الفرنسي والإيطالي والأميركي. وقد كان موجوداً في «القطاع الغربي» خلال وجود الشهيد كمال عدوان على رأس ذلك القطاع.

قبل اختطافه، كان قد انضم إلى العديد من المؤسسات الثقافية المؤثرة مثل «مركز الأبحاث الفلسطيني»، و«مركز التخطيط الفلسطيني». وكلاهما مركزان ثقافيان مهمّان لهما قيمتهما العلمية في تلك المرحلة. في الوقت عينه، عمل الراحل في مجلة «شؤون فلسطينية» كعضو في هيئة التحرير. لذلك، يمكن اعتبار ميخائيل واحداً من طليعة المثقفين الثوريين المشتبكين الذين خلطوا العمل التنظيري النظري بالنضال الثوري المباشر من خلال الانضمام إلى الثورة بشكل تطبيقي «صراعي». وهذا ما يرويه الكتاب من خلال شهادات عددٍ من الأشخاص الذين عرفوا أبو عمر عن قرب. يحكي مثلاً إميل عشراوي وهو مسرحي فلسطيني، عن اهتمام ميخائيل بالمسرح، فهو كان صديقاً لعمالقة المسرح اللبناني، كروجيه عساف، جلال خوري، شوشو (خضر علاء الدين). ويروي نديم زرو وهو رئيس بلدية رام الله السابق، عن اهتمام أبو عمر بالأشبال (الصفة التي تعطى للمناضلين صغار السن في الوسط الفلسطيني/ التنظيمات الفلسطينية)، راوياً أن أبو عمر قال له: «يجب أن نوعّيهم ونثقفهم ليعرفوا قضيتهم». كان أبو عمر صديقاً حميماً للمفكر الفلسطيني إدوارد سعيد تعارفا خلال لقائهما في أميركا. قال سعيد عن ميخائيل: «أعجبت فوراً بتواضعه الجم وتهذيبه إضافة إلى عقله الوقاد». هذه الصداقة دفعت ميخائيل إلى الطلب من سعيد، أن يكتب مقدمة الرسالة البحثية التي تحصّل منها على شهادة الدكتوراه، وحملت عنوان «السياسة والوحي: الماوردي وما بعده». تلك المقدّمة أورد فيها سعيد: «الشيء الرئيسي الذي يعكس عظمته وسخاءه، مبادرته بالذهاب إلى عمان في المقام الأول؛ حيث يحمل شهادة دكتوراه من «هارفرد» ولديه منصب أكاديمي مضمون في الولايات المتحدة، تخلى عن هذا كله واستعاض عنه بمستقبل مجهول، ناهيك بالمخاطر التي تحيط بموقع المتطوع في حركة شعبية لما تنطلق بعد». الصداقة نفسها جمعته أيضاً بالكاتب الفرنسي المعروف جان جينيه. توطدت علاقتهما كثيراً أثناء زيارة الأخير إلى الأردن تضامناً مع الثورة الفلسطينية، وقد ذكر جينيه تلك العلاقة في كتابه «العاشق الأسير» حينما قال: «تميز أبو عمر بالشجاعة والذكاء في أي عملٍ قام به. ومن خلاله أصبحت أفهم حياة النساء الفلسطينية الصعبة الضيقة في المخيّم». في الإطار نفسه، نسج الراحل علاقاتٍ شخصية مع نعوم تشومسكي، وإقبال أحمد، وريتشارد باتلر، وشيلا رايان وسواهم.

«رغم أنه كان عضو إقليم فتح في لبنان- وهو منصبٌ كبيرٌ في تلك المرحلة- إلا أنه رفض امتلاك سيارة» وكان «يرتدي ملابس بسيطة، حتى إن أمي كانت تقول له كيف الناس بدها تعرف إنك دكتور من هارفرد وانت لابس نفس البدلة دايماً» تقول حافظة أسراره، جهان حلو عنه. في الوقت نفسه، نجد أن الراحل رثاه كثيرون، من بينهم الشاعر المعروف معين بسيسو حين قال: «أكتب لك/ أنت الآتي من بعدي/ وأنا الآتي من بعدك/ جسدي في يدك كتاب/ وأنا أكتب جسدي/ كي تقرأ جسدك/ أنت الصوت الآتي بعدي/ وأنا الصوت الآتي بعدك». في عام 1998، قررت محافظة رام الله والبيرة تكريم الراحل بتخليد اسمه من خلال تسمية أحد الشوارع الرئيسية باسمه، في محاولةٍ لإبقاء ميخائيل في عقول وأذهان من عايشوه ومن سيأتون من بعده. ولربما أكثر ما يحزن عنه هو وصيّة والدته التي انتظرت طويلاً عودته، وقالت فيها أن يعلن نبأ استشهاده في يوم رحيلها، كما لو أنّها كانت تريد القول بأنها ستلتقي به هناك في العالم الآخر، حيث يلتقي كل المحبون ببعضهم.

كتاب يؤرخ لغائب/ حاضر لا يزال وجوده مؤثراً على الرغم من سنوات «اختطافه» و«تغييبه»، ذلك أن فكرة «الثائر الرومانسي والمثقف المشتبك» ـ منذ أجّجها الثائر الأرجنتيني تشي غيفارا ـ ظلّت حاضرة بلمعان كبير في أذهان الجميع ولو بعد ألف حين. يأتي حنا إبراهيم ميخائيل نموذجاً مختلفاً للقائد الفلسطيني غير المعتاد. ربما لهذا ليس هناك من تنظيم أو جهةٍ سياسية فلسطينية (أو غيرها) تتبنّى الرجل وفكره لسبب بسيط فقط: إنه يعرّي مفهوم القائد والقيادة.

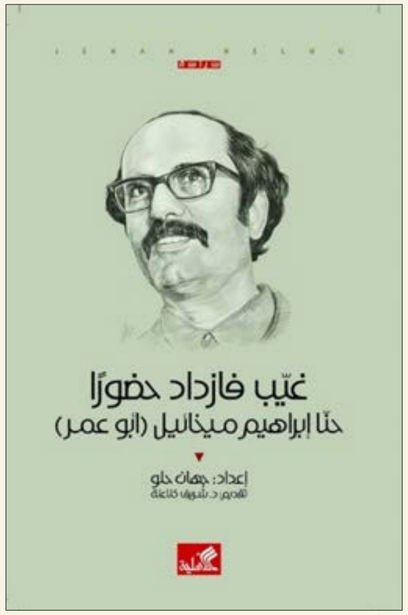

الكتاب من إعداد زوجة المناضل ورفيقة سلاحه جهان حلو

رواية

محمد أبو ناموس: جدليّة الفكاهة ضد التفاهة!

مروان عبد العال

يقترب الكاتب محمد أبو ناموس، عبر رواية «بساط الريح» (دار كنعان)، من التحليق برشاقة ممتعة في فضاء سريالي يكاد يكون مجرداً من المكان وتضاريس القسوة والقهر، ليقدم ما يدور في كينونته الخاصة للمتلقي بنكهته المميزة وبتلقائية، من دون تصنّع أو استعراض. مع «بساط الريح»، تعرف أنّ التشبّث بالحياة صعوبة تعادل صعوبة الموت نفسه. إنها صعوبة كامنة في جوهر الحياة كلها. وكما قال الشاعر والروائي والمخرج المسرحي الفرنسي جان كوكتو إنه في نهاية الأمر، نكتشف أن كل شيء في الحياة يكمن معالجته إلا صعوبة الكينونة. إنها الصعوبة المستحيلة التي لا يمكن معالجتها، ولا شك في أنّ الكوميديا تقر هذا الوضع حزناً وسخرية. مشاهد متتالية غير وثيقة الصلة، إلا في الرابط التهكمي في ما بينها؛ وبأسلوب يكسر المألوف في البُنية الروائية. مع «بساط الريح»، ندرك معنى الكوميديا السوداء التي تلخّصها صورة الكينونة المستحيلة في المخيّلة من دون استخدام تقنية «إرغام القارئ» على الضحك، وخارج النكات المستهلكة. تبقى النصوص المشتبكة مع المعاناة الإنسانية ذات تأثير مكثف في التلقّي، تهزّ من واقع ماساوي وتسجل مواقف ذاكرة الوجع الإنساني، ما يجعل النص القائم على تلك الدعامة، قريباً من العامة، ومتقاطعاً مع حوارات عائلية وسياسية واجتماعية، ترصد دواخل الذات بلغة بسيطة وسهلة وشفافة ولكن ذكية في أسئلتها وكيفية طرحها، كما حين يقول: «القدس تصرخ طلباً للنجدة من جلالة رئيس لجنة القدس ولكن لا عينه ترى ولا أذنه تسمع» (ص 53).

مع «بساط الريح»، تلوح للقارئ صراحة وشجاعة الكاتب المتمرّس، كونه المشحون بالفكرة السياسية الناقدة والإعلامية اللاذعة، مثلما نجتمع معاً لنتشارك النَدَمُّر من الهزائم والأزمات الوطنية والانكسارات والخيبات الخاصة والعامة، وخاصة كلما حاصرتنا الخيبة نلجأ إلى النكتة. هو ليس من النوع الذي يعتبر الضحك ممارسة بورجوازية ممنوعة، وأنّ كل شيء في هذه الحياة جادّ لا يقبل الضحك، وأن موقعه يلزمه أن يكون عابساً حفاظاً على الهيبة والمسؤولية. وهو في قلب الوجع داخل القاع الاجتماعي ذات السمات الخاصة، يحمل سمة المخيم والمنفى والغربة والحياة العارية، فيخلق عالماً متخيّلاً، تدور فيه عجلة السرد بسلاسة، وتتشظى الحوارات بين مسارات الأحداث والمعاناة المتوالدة، في مشاهد متتالية غير وثيقة الصلة إلا في المشترك التهكمي في ما بينها؛ وإن جاءت خارج الحبكة الروائية المعروفة للجميع، كعوالم ناشئة ومتداخلة تبدأ من نقطة ولا تلبث أن تتكاثف. النص قصة من مدرسة اللاوعي، يقوم على تقنية السرد المشهدي، ويحتاج إلى أكثر من محاولة لملاقاة الفكرة التي يغرسها في تربة النص الرخوة والناعمة والخصبة.

ومع «بساط الريح»، تدرك أنّه ليس بالضرورة أن تمنحك سهولة النص القدرة على فهمه؛ إنّما التعلق به. ذلك أنّه يمرر تلميحات وحكايات كأنها تُتلى من الألوعي الضاجّ بالتعابير وبالصور والمعاناة. يراها من بساط الريح الذي يسرد تلقائياً عوالم عدة. يتركها بين يدي القارئ وتاويله، وتفكيك الشخصية المكبوتة بانفجارها واهتزازها وانهزاميتها، كالدعوة الجارحة والتهكمية عندما يدعو «لتشكيل هيئة عربية شعبية، تجرم وتدين وتقاطع سواء كان فرداً أو مؤسسة أو كياناً سياسياً أو دولة تسيء للفلسطينيين. قانون يقر شعبياً والعمل على إقراره رسمياً. قانون معاداة الفلسطيني» (ص 70). كما أعرف صاحب «بساط الريح» الذي يتقن سرد الفكاهة ضد التفاهة. محترف فن السخرية، وباللغة الدارجة والصورة الكاريكاتورية للشخصيات الشفّهي والمدوّن. لذلك ليس غريباً أنّ في رصيده العديد من النصوص والمقالات الإبداعية وما تحتويه من فن وخيال ونكات ونقد وغمز ولمز وهمس وتلميح، عادة نستنجد بسخريته لمواجهة مرارة الهزيمة، حين كان الضحك أداة للتنفيس في سلسلة مقالته المعروفة، مستخدماً اللغة الشعبية المحكية بإطار عام للحياة اليومية في حين أنّ اللغة الفصحى هي قانون الكاتب المتداول الأدبي والثقافي. هنا تكمن أهمية الأدب الساخر واللغة الشعبية التي تمزج بين الخيال والواقع، لتعميق صلة الحكاية الشعبية بحياة الناس. على مستوى أدبنا الشعبي، لدينا خزين من الموروث الشعبي، رصيده العديد من النصوص والمقالات الإبداعية وما تحتويه من فن وخيال ونكات ونقد وغمز ولمز وهمس وتلميح، عادة نستنجد بسخريته لمواجهة مرارة الهزيمة، حين كان الضحك أداة للتنفيس عن الكبت والتعبير عن القهر وأسرع وأنجع من البكاء.

هكذا جاءت في زمن التيه بعدما اختفى المخيم وضاعت العناوين، وتلاشت المقاهي والمجالس واليوميات الروتينية في مقر مجلة «الهدف»، وضاقت مساحات اللقاء. وكما يقال «وانفخت الدف» وتفرّق الرفاق والعشاق، واختفت طاولات النقاش ولم تعد تتسع المجلة لغمود ساخر، ليهجر السخرية السياسية المعهودة ومن العيار الخفيف إلى عالم السخرية السردية ومن العيار الثقيل. بعد روايته «حراك الشهداء»، حملنا على «بساط الريح»، ربما تفتح صفحة جديدة في فضاء ديمقراطي يستطيع أن يقول ما يريد. أوجزها بقوله: «نريد تطهير الأسرة من كل ما علق بها من تخلّف ورجعية على مدار وجودكم على رأسها...» (ص 145).

و«بساط الريح» لا تعتمد بنية فنية أو حبكة ولا تسلم القارئ لعنصر الدهشة أو المفاجأة في سعيها لتحصيل الدهشة. يدور الحوار على نحو من الهدوء، غير أن تملك صوتاً دافئاً، مباشراً وحاداً وجازماً كعبارته «الحياة لا ينحني فيها أحد لآخر ولا يحق لأحد أن يستعبد الآخرين مهما علا شأنه. علينا أن نتعامل بنزاهة وشفافية في قول الحق...» (ص 142).

وأخيراً، كما قالت العرب إنّ «شر البلية ما يُضحك»، فقد انتصر الحس الكوميدي في «بساط الريح»، بفضح البؤس السياسي من المحيط إلى الخليج وبلغة الناس العاديين وسياسة البؤس والقهر والظلم التي يعانيها اللاجئ والمواطن معاً. لقد حاول المؤلف أن يعالج صعوبة الكينونة التي يعيشها الإنسان العادي يومياً، لأن حياة الفلسطيني اليومية، وإن كان يسكنها تيار خفيّ من روح الشقاء والتراجيديا، لكنّ الكوميديا تظل سر صموده وخلق التوازن الإنساني عنده بصفة عامة.

تظل الكوميديا سرّ صمود الفلسطيني وخلق التوازن الإنساني

دجايلي حمدو أمل: الله يحبّ «الصابرات»؟

مهدي زلزلي

وصول الكاتبة الكاميرونيّة دجايلي حمدو أمل إلى القائمة القصيرة لجائزة «غونكور» في دورتها قبل الأخيرة (2020) من خلال روايتها «الصابرات» ومن ثم فوز الرواية بالجائزة المتفرّعة عن الجائزة الأم والمخصّصة لطلبة المدارس الثانويّة حصراً، سلّطا الضوء مجدّداً على الرواية الأفريقيّة، التي تحظى باهتمام أكبر في العالم. ومواكبةً لما أفرزته الجائزة في دوراتها الأخيرة من أسماء جديدة بالنسبة إلى القارئ العربي، قدّمت «دار الفارابي» أخيراً لقرّائها ترجمات عربيّة للكتّاب الفائزين بـ «غونكور» من بينها «الصابرات» (ترجمة ممتازة للسورية لينا بدر . تصميم الغلاف جبران مص طفى).

تتناول الرواية العنف الجسدي والمعنوي الذي يُمارس ضدّ المرأة في بعض المجتمعات الأفريقيّة ومنها مجتمع «الفلّاني» الذي تنتمي إليه الكاتبة، واستغلال الذكور لبعض العادات والتقاليد المنسوبة زوراً إلى الدين للتغطية على جشعهم الذي تدفع ثمنه النساء غالباً على شكل زواج مبكر وقسري ظاهره الستر وباطنه المصالح الشخصيّة.

تتعقّب الكاتبة مصير ثلاث نساء يتناوبن على الحكي: رملة التي تجبر على ترك حبيبها والزواج من رجل يعمر والدها خدمة لمصالح والدها وأعمامها، وشقيقتها هندو التي تجبر على الزواج من ابن عمّها المدمن على الكحول والمخدرات، وسفيرة التي تجبر على كبت انفعالاتها الطبيعيّة إزاء وجود ضرّتها الجديدة وانصراف زوجها عنها. ضرّة ليست سوى رملة نفسها!

تمنّى رملة نفسها بالزواج من أمينو صديق شقيقها آمادو، وأن تسافر معه إلى تونس حيث يدرس الهندسة لتحقق حلمها بدراسة الصيدلة، وتسير الأمور على ما يرام إلى أن يراها الحجي عيسى «الرجل الأكثر أهميّة في المدينة» أثناء عرض مدرسي ويعجب بها، فيقرّر أن يجعلها زوجته الثانية. يقف الجميع ضدّها حتى والدتها الخائفة على نفسها، والطامعة بفتات عيون الضرائر بهذا العريس الاستثنائي الذي يحلمن بمثله لبناتهن. حتى آمادو الذي يساند شقيقته ويؤمن أنّ الزمن تغيّر، يتوقف أخيراً عن محاولة إقناع والده بعد أن يشعر أنّ زواج والديه مهدد. وإذ تتيقّن رملة من انسداد السبل في وجهها بعد فشل تهديدها بالانتحار في تحقيق خرق في موقف والدتها، تقرّر الانصياع لقرار العائلة وتكبت أحزانها في قلبها، قبل أن تجد نفسها في مواجهة ظلم أكثر فداحة على يد ضرتها التي أفقدتها الغيرة صوابها وأجبرتها على أن تكون ضريرة لا حدود لضغينتها.

أمّا هندو التي تجبر بدورها على الزواج من ابن عمّها مبارك رغم معرفة الجميع بسلوكيّاته وأخلاقه، من إدمانه على الكحول وتعاطيه المخدرات وصولاً إلى إقدامه على اغتصاب خادمة والده، فستكون أكثر جرأة من رملة. إذ ترفض هذا الزواج بشدّة، متوسلة والدها الذي لا يعير أهميّة لحركاتها الصبيانية ويأمر بنقلها بالقوة إلى جناحها الجديد في دار العائلة الذي أقيم في مكان حظيرة الأبقار ولم تغادره بعد رائحة نزلائه السابقين. لا تنفع الرضوخ والكدمات والأورام التي تضاف يومياً إلى سابقاتها في جسد هندو في تحريك مشاعر العائلة. فالضرب حق بديهي من حقوق الزوج على زوجته! وحده استقدام مبارك لعشيقته إلى مخدعه الزوجي أمام عيني شريكته، سيتسبّب في غضب العائلة أخيراً، ولكنّه غضب موجّه إلى هندو لتركها منزل الزوجي بعد أشهر قليلة على زفافها وفي وضح النهار، مخالفة العادات والتقاليد وآداب السلوك!

ولا تبدو سفيرة رغم جبروتها الظاهر كزوجة أولى للحجّي عيسى تتمتّع بأبعض الصلاحيّات الاستثنائيّة أفضل حالاً. هي مجبرة بدورها، بعد سنوات طويلة من الحياة الزوجية الهادئة، على الاستغناء عن مكانها لصبيّة في عمر ابنتها، بل إظهار أقصى درجات الترحاب واللياقة في استقبالها. كل هذا سيدفعها إلى أمكنة لم تتخيّل أن تجد نفسها فيها يوماً، فالتخلص من غريمتها سيدفعها إلى تمنّي الموت لها أو لزوجها أو لكليهما، وارتماؤها في أحضان صانعي السحر الأسود لمساعدتها في تحقيق حلمها سيرتّب عليها أكلافاً باهظة لا يمكن تغطيتها إلا عبر سرقة مال زوجها، وصولاً إلى سرقة مبالغ أكبر لاتهام ضرّتها بسرقتها.

القواسم المشتركة بين النساء الثلاث كثيرة، تبدأ من تشابه مظلوميتهن في أسبابها ومآلاتها، وصولاً إلى تقاطع مصائرهن عبر دخولهن مرغمات على دائرة من القسوة تطحن الجميع، فرملة كانت شريكة من حيث لا تقصد في الآلام سفيرة، وسفيرة لم توفر فرصة لإلحاق الأذى برملة، وهندو في محاولتها الفرار لإنقاذ نفسها من القتل على يد مبارك تسبّبت في الأذى لوالدتها التي تحمّلت ظلماً تبعات تصرّف ابنتها. تُضاف إلى هذا كله حكايات أخرى تحفل بها الرواية لنساء من العائلة ابتلعتهن الدوامة نفسها. أمّا أبرز القواسم المشتركة، فهي تلك النصيحة التي لا يملك جميع من حولهن غيرها الصبر»!:

«صبراً بنيّاتي. هي ذي القيمة الحقيقيّة لدينا، لعاداتنا، للشعب الفلّاني، البُلاكو. ادمجاه في حياتكما، احفراه في قلبيكما، واعملا على ترديده في عقليكما» يقول الأب لابنتيه رملة وهندو قبل أن يرميهما في فم التنين.

فهل هو الصبر الذي ينضج الحجر، والفن الذي يجب أن تتعلمه بصبر، والذي يأتي بعده الفرج، وبالتالي الصابر في نهايته السماء، ذاك الذي عجّت به المواعظ المنثالة من ألسنة عرّابي هذا الجحيم في آذان الضحايا، أم أنّه «الخضوع» وقد ألصق به اسم مستعار لا يشبهه؟ وهل العنف ضدّ النساء الذي تحكي عنه الرواية والشروط المتحكّمة بالنساء في منطقة الساحل الأفريقي والتي تكاد تنتمي إلى زمن الوأد هي إرادة الله فعلاً؟ وهل يحبّ الله «الصابرات» على هذه الشاكلة فعلاً؟

إضاءة على العنف الجسدي والمعنوي ضدّ المرأة الأفريقية

لمحات

مايكل كريستوفر

أدى تفشي الكوليرا في بدايات القرن التاسع عشر إلى الخوف من أن يسهم الحج في نقل المرض. كما خشي الأوروبيون من أن الإقامة في الجزيرة العربية قد تعرض رعاياهم المسلمين لتأثيرات العرب المناهضين للاستعمار. في كتابه «إدارة الحج إلى مكة: موضوع تجاذب بين السلطنة العثمانية والاستعمار الأوروبي» (الدار العربية للعلوم ناشرون)، يدرس مايكل كريستوفر لو، تاريخ الحج خلال القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الأولى بالاعتماد على الأرشيفين العثماني والبريطاني. ويروي كيف حملت بواخر الحجاج شبح الإمبريالية والتدخل الاستعماري.

حاز الكتاب «جائزة البير حوراني»، وقد صدر حديثاً بترجمة ربيع هندي.

عبد الله إبراهيم

شُغل الكاتب الأرجنتيني بورخس (1899 ـ 1986) بموضوع العمى، ولعلّ كثيراً من كتاباته هي تأملات لتردد إلى صاحبها الذي فصل بينه والعالم فقدانه للبصر، فلاذ بالكتب والأحلام والأرق. ولطالما تخيل العالم منبثقاً من صفحات الكتب أو منعكساً في مرايا الأحلام. فقدانه لبصره وعلاقة ذلك بأعماله هو موضوع كتاب «وارث العمى بورخيس» (أبجد) لعبدالله إبراهيم. يقول الناقد العراقي «كانت المكتبة هي العالم الوحيد المألوف لديه، وقد وصف صديقه مونيغال الغبطة التي غمرته حينما قاده في الأروقة المظلمة للمكتبة، إذ أخذه من يديه وراح يتجول بين الكتب مبصراً ما يكفي ليعرف كل كتاب يريده أين موقعه».

دينا رزق خوري

تهتم المؤرخة الاجتماعية دينا رزق خوري بتحليل الحياة اليومية للعراقيين الذين عاشوا الحرب، بوصفهم جنوداً وعائلات ومواطنين، في دولة حزب واحد، ببروقراطية عازمة على شنّ حروب الأمن القومي ومكافحة التمرد في الوقت ذاته. وتروي في كتابها «العراق في زمن الحرب: الجندية والاستشهاد وإحياء الذكرى» (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ـ ترجمة أيمن حداد)، التاريخ الاجتماعي لسياسات الحرب في العراق البعثي على مدار ثلاثة وعشرين عاماً، معتمدة على سجلات «مؤسسة الذاكرة العراقية» إلى جانب أرشيفات أخرى، ومقابلات أجرتها مباشرة مع جنود ومثقفين شاركوا في الحروب.

بولين بوس

الفقدان الغامض هو حالة من عدم اليقين بشأن مصير إنسان، قد يكون سبب هذا تعرّضه للاعتقال أو الاختطاف أو مرض عصبي أو عقلي يصيبه ويبقى جسده حياً من دون روحه ويستحيل. إنه فقدان غير منجز لا يستطيع من يختبره أن ينفيه ولا أن يسلم به ليسير الألم في مجراه ويعيش الإنسان مراحل الحداد. في كتابها «الفقدان الغامض» (المتلقى للنشر) ـ ترجمة فريق من الاختصاصيين النفسيين ـ إشراف الطبيب النفسي مطاع بركات)، تقدم المعالجة النفسية بولين بوس قراءة عميقة في العيش في ظل فقدان إنسان على هذا النحو. عبر تفكيك طبيعة المشاعر، تحاول مساعدة العائلات على فهم ما تمرّ به وكيفية تجاوزه.

بوك ماسون اورسيك

صدر كتاب «الفلسفة في الشرق» للفيلسوف الفرنسي بول ماسون أورسيل أول مرة عام 1938، واعتبر وقتها خروجاً عن الموقف الأوروبي المتعالي من الفلسفات الشرقية. ناقش الكتاب الذي انتقل أخيراً إلى العربية عن «الدار الأهلية» (ترجمة محمد يوسف موسى) القول الأوروبي بأن الفلسفات القادمة من الشرق لاهوتية تعتمد على الجانب الديني والروحي وتهتم بقضايا الإنسان والطبيعة، وارتياد المناطق البكر من حيث مكان الأحداث ومن حيث الشخصيات وأسلوب القص الذي يحمل مذاقاً جديداً للسخرية». هذه طبعة جديدة للرواية التي صدرت للمرة الأولى عام 2002 عن «ميريت» وترجمت منذ ذلك إلى الإنكليزية والفرنسية والإسبانية.

حمدي ابو جليّل

عن «دار الشروق»، صدرت رواية «لصوص متقاعدون» للكاتب المصري حمدي أبو جُليّل. تتطرق الرواية إلى منطقة لم تتناولها الأعمال الروائية من قبل، وهي قصة منشأة جمال عبد الناصر المعروفة بـ «منشية ناصر». يقدم للرواية الشاعر بهاء جاهين ويصفها بأنها عمل «يجمع بين العمق في فهم الشخصيات والتجرد الموضوعي الذي يجعل ما هو قابل للتشنج الأخلاقي قابلاً أيضاً للضحك وارتياد المناطق البكر من حيث مكان الأحداث ومن حيث الشخصيات وأسلوب القص الذي يحمل مذاقاً جديداً للسخرية».

أوراق

حول لغز البشارة بنبي اسمه أحمد في «سورة الصف»

زكريا محمد *

ما زالت الآية الرقم 6 في «سورة الصف» التي يبشر فيها المسيح برسول «اسمه أحمد» مثار تساؤلات وجدالات:

«وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ».

وفي سياق الجدال الإسلامي- المسيحي حول هذه البشارة، ربط الكتاب المسلمون بين «أحمد» الآية والمعزي بصيغته اليونانية الفارقليط Paraclete، وبصيغته الآرامية المنحمنا Mnhmna. فأحمد، الذي هو النبي محمد، هو المعزّي في يوحنّا. ونجد أوضح صيغة لهذا الربط عند ابن اسحق في السيرة النبوية:

«والمنحمنا بالسريانية: محمد: وهو بالرومية: البرقليطس، صلى الله عليه وآله وسلم» (ابن اسحق، السيرة النبوية). وقد انتهى الأمر إلى أن صار الربط بين الفارقليط وأحمد قطعة مركزية في التقليد الإسلامي.

بعيداً عن الفارقليط

لكن هذه الورقة ستترك أمر الفارقليط والمنحمنا وراءها، محاولة حلّ مسألة البشارة بأحمد من خلال المقارنة بين صيغتين، أو قراءتين، للآية ذاتها. القراءة الأولى هي القراءة الإسلامية الرسمية كما وردت في المصحف العثماني. أما القراءة الثانية، فهي قراءة أبيّ بن كعب. فقد عُثر على قراءة أبيّ لهذه الآية قبل عقود على هامش «سورة الصف»، في مخطوطة كتاب «قرة عين القراء في القراءات» لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد المرندي، الذي انتهى من تأليفه عام 588 هجرية. وقد حُقق الكتاب حديثاً، لكنني لم أستطع الحصول على النسخة المحققة. غير أنه ولحسن الحظ، وجدت على الإنترنت صورة فوتوغرافية منشورة للمخطوطة الأصلية في مكتبة الأسكوريال في مدريد، لا أعرف ناشرها الأصلي. المخطوطة مكونة من 225 ورقة الكتابة فيها على الوجهين. وقراءة أبيّ موجودة على هامش الورقة 201. وهي مكونة من سطر واحد مكتوب عمودياً، ومن الأسفل للأعلى. فقد قلب من كتب القراءة الورقة، وكتب الآية عليها، فتبدى كما لو أن الآية كتبت من الأسفل للأعلى.

ولسنا ندري في الواقع إن كانت الآية حسب قراءة أبي، وغيرها من القراءات، قد وضعت على هوامش الصفحات من قبل المرندي أو واحد غيره. وظني أنها من وضع واحد غيره. وكان أول من انتبه لوجود هذه القراءة المهمة آرثر جيفري (1)، وقد فعل بتنبيهه لنا إليها خيراً كبيراً. تقول القراءة: «إنّي رسول الله إليكم وأبشّركم بنبيّ أمّته آخر الأمم يختم الله به الأنبياء والرسل قالوا هذا سحر مبين».

ورغم أنه مرت على نشر كتاب جيفري عقود كثيرة، فإن هذه القراءة المختلفة، والمفاجئة، لم تثر انتباهاً جدياً عندنا. الانتباه حصل جزئياً بعد نشر سين أنثوني Sean W. Anthony ورقة له حول ابن إسحق والفارقليط سنة 2016 (2) أعاد فيها التذكير بقراءة أبيّ وبيّن رأيه فيها.

بعد هذه المادة، أخذت المواقع الإلكترونية ووسائط التواصل الاجتماعي في العالم العربي تتحدث عنها. لكن الغالب أن القراءة استخدمت في سياق الجدالات الطائفية الإسلامية- المسيحية المتعصبة حول مسألة المعزّي، أو في سياق مقالات اللادينيين العرب التي تريد إبطال فكرة الوحي. بذا فاستخدامها في العالم العربي تم عموماً في سياق عقائدي وليس بحثياً.

ملاحظات عامة على قراءة أبيّ

وقد كان يفترض أن يؤدي العثور على قراءة أبيّ إلى فتح الباب لحل لغز البشارة بالنبي الذي اسمه أحمد. لكن الذي حصل هو العكس. فقد ازداد اللغز تعقيداً في الواقع. فعدم وجود الاسم (أحمد) في قراءة أبي، أوصل إلى انتشار فرضية متسرعة تقول بأن البشارة بالنبي أحمد إضافة لاحقة على القرآن. وهذا في الواقع أسهل الحلول، وأقلها إثماراً.

ويمكن تفسير ظهور هذه القراءة في كتاب متأخر. فقد تحولت البشارة بأحمد إلى قطعة مركزية في العقيدة الإسلامية. وهو ما جعلها في موضع شبه إجماع تقريباً. وبدا للكتاب المسلمين كما لو أن المجادلين المسيحيين اعتبروا هذه البشارة ثغرة يمكن الهجوم على الإسلام من خلالها. فليس هناك في الأدب البشائري المسيحي أي ذكر لنبي اسمه أحمد، مما يسمح بتكذيبها. وهذا أدى إلى أن قوى الدفاع الإسلامي ركزت على هذه الثغرة محاولة سدها. وفي اعتقادي أن هذا هو الذي أدى إلى تهميش قراءة أبيّ بخصوص هذه الآية. فالإمساك بهذه القراءة من قبل المجادلين المسيحيين، كان يمكن أن يؤدي انتصار عقائدي للمسيحية وهزيمة للمسلمين. من أجل هذا، فقد أبعدت هذه القراءة عن الوعي العام، ولم يعد أحد راغباً في ذكرها، رغم أن مصحف أبيّ ظل مقدراً ومحترماً دوماً. وهذا هو سر ندرة ذكر هذه القراءة المهمة. لقد كانت مرغمة على العيش في الظل، في الهامش، بسبب الصراع العقائدي الإسلامي- المسيحي.

لكن بعدما خمدت الحرب الأيديولوجية الإسلامية- المسيحية على هذا النقطة، لم يعد ذكر هذه الآية يشكل خطراً جدياً. لهذا صار بالإمكان ذكرها في المصادر المتأخرة. هذا يعني أن لذكرها المتأخر عند المرندي أسباباً أعمق مما قد يبدو من النظرة الأولى.

القراءتان

على أي حال، فإن الاستخلاص المتسرع القائل بأن قراءة أبيّ في المرندي دليل على أن البشارة بأحمد زرعت في القرآن لاحقاً، غير مثمر، ويغلق الباب نهائياً أمام أي جهد للمسألة. وفي رأيي أن الإثمار هو المسألة الأهم هنا. فكلّ حل غير مثمر، أي غير قادر على فتح الباب أمام ظهور وعي أعمق بالمسألة المطروحة لن يكون صالحاً. فليس الهدف هو إقفال الأبواب، بل فتحها على التناقضات التي خلقت لنا مسألة البشارة. والقول بأن البشارة إضافة لاحقة هو صفق للأبواب لا غير. وهو يجهض أي محاولة لاستجلاء الحقيقة.

وهذه المادة محاولة لفتح الأبواب من أجل الوصول إلى حل مرض لقضية البشارة بأحمد، وللإطلال على تعقيدات عملية جمع القرآن في عهد عثمان، بالاستناد إلى قراءة أبي بن كعب. وفرضيتنا تقول إنّ حل المسألة يتم عن طريق جسر الهوة بين القراءتين. إذ لا يمكن أن يكون التناقض بهذا الاتساع وهذا الحجم في الأصل: واحدة تقول هناك نبي اسمه أحمد، والثانية تنفي وجود هذا النبي. هذا التقاطب مثير للشك. وهو ما يجعلني أفترض أن في القراءتين معاً تصحيفاً لنص أصلي واحد، وأنه يمكن الوصول للصيغة الأصلية عبر المقارنة بينهما.

ولنبدأ أولاً بعرض القراءتين.

الآية بحسب المصحف العثماني:

«يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين»

الآية حسب قراءة أبي في المرندي:

«يا بني إسرائيل إنّي رسول الله إليكم وأبشّركم بنبيّ أمّته آخر الأمم يختم الله به الأنبياء والرسل قالوا هذا سحر مبين».

وكما نرى، فليس هناك ذكر لـ «نبي اسمه أحمد» في قراءة أبي. وهذه هي الواقعة المركزية: قراءة تثبت نبياً اسمه أحمد، وقراءة تتجاهل وجوده. فوق ذلك، فإن جملة «مصدقاً لما بين يدي من التوراة» في القراءة العثمانية سقطت في قراءة أبيّ. لكن يبدو لي أنه لا يجب الافتراض أن أبي في مصحفه أسقطها فعلاً. إذ يبدو أن من وضع هامش قراءة أبيّ في كتاب المرندي كان مهتماً بالنقطة المركزية المختلف عليها بين القراءتين، أي بجملة: «بنبيّ أمّته آخر الأمم يختم الله به الأنبياء والرسل» أكثر من أي شيء آخر. لذا يبدو أنه قدم النص المختصر للآية من أجل التركيز على الجملة المحددة.

وكما قلت أعلاه، فإنني أفترض أن قراءتي مصحفي عثمان وأبي لهذه الآية خرجتا من أصل واحد. ولو وضعنا منطقة الاختلاف بين القراءتين تحت بعضهما، كما يظهر في النسخة الملونة أدناه، وحاولنا التكهن بشأن الأصل فربما توصلنا إلى اقتراح ما.

وكما نرى، فقد قسمنا منطقة الاختلاف بين القراءتين إلى ثلاثة أقسام، ولوّنا كل قسم منها بلون مختلف. ولو أننا أزلنا التنقيط، لأن الأصل كان غير منقط، فسوف نكون مع نصي القراءتين كما يظهران في الصورة أدناه.

ومن الواضح أنه يمكن، على الأقل، رؤية شبه محدد ما بين العبارتين بالأزرق في القراءتين: «اسمه أحمد» و«أمته آخر». وهو شبه يوحي أن العبارتين تحريف لأصل واحد، وأن التحريف حصل في إحداهما، أو في كليهما. كما أن من الواضح أن عبارة «اسمه أحمد» و«أمته آخر» يمكن تصحيفهما عن بعضهما في الكتابة اليدوية غير المنقطة. وأنا أقترح أن الكلمة الأصلية الأولى هي «أمته» لا «اسمه». أي أن من قرأ «اسمه» هو الذي صحّف. وإذا صح هذا، فإنه يمكن تقديم اقتراح آخر انطلاقاً منه، وهو أن «احمد» و«آخر» في الأصل كلمة واحدة، قرأتها كل قراءة على طريقتها. ولعلني أقترح أن الكلمة الأصلية هي «أحمد» وأنها صحفت إلى «آخر» في قراءة أبيّ. بالتالي يكون التصحيف قد توزع على القراءتين. فكل قراءة صحّفت كلمة من الكلمتين. وبذا يكون الأصل هكذا: «أمته أحمد...». وهذا سيوصل فوراً إلى أن الكلمة الثالثة يجب أن تكون كلمة «الأمم»، وأن «فلما» تصحيف لها. وهذا يعني أن لدينا جملة من ثلاث كلمات تقول: «أمته أحمد الأمم». وبمعنى: أمته أفضل الأمم، وأكثرها استحقاقاً للحمد. وهذا جملة معقولة ومقبولة تربط بين القراءتين.

إذا صح هذا، فهو يعني أن كلمة «أحمد» كانت منذ البدء في النسخة الأصلية للآية. أي أنها لم تكن إدخالاً متأخراً في النص القرآني، لكنه كانت صفة وليست اسماً. أي أنها لم تكن موجودة كاسم محدد لنبي، بل كصفة لأمة النبي الذي جرى التبشير به، لكن من دون ذكر اسمه. فأمته هي أحمد الأمم، أي أكثرها حمداً وفضلاً.

وقد كان هناك في الحقيقة من اقترح من قبل أن الكلمة صفة وليست اسماً. لكن هذا الاقتراح لم يكن ممكناً بوجود كلمة «اسم». فحين تقول الآية «نبي اسمه أحمد» فلا مجال لكلمة أحمد إلا أن تكون اسماً. أما حين نقرأ «أمته» بدل «اسمه»، فإن الصورة ستختلف كلياً، وتصبح كلمة أحمد نعتاً لأمة النبي.

بناء عليه، فافتراض ابن إسحق أن «أحمد» تعني الفارقليط، أي المعزي، باطل تماماً. فليس هناك نبي اسمه أحمد، أو صفته أنه أحمد. هناك صفة لأمة هذا النبي لا غير: إنها أحمد الأمم.

بهذا، يتبقى لدينا الجملة الثالثة:

«جاءهم بالبينات» و«يختم الله به الأنبياء».

ويبدو لي أن الجملة الأصلية هي جملة قراءة مصحف أبي: «يختم الله به الأنبياء». ذلك أن عيسى بن مريم ما كان ليأتي ببينات على فضل أمة لم تأت إلى التاريخ بعد، أي أمة الإسلام. بذا فالمنطقي أن جملة مصحف أبي هي الأدق. عليه، فالجملة كاملة تقول:

«أمته أحمد الأمم يختم الله به الأنبياء».

ويمكن تصور أن من قرأ «اسمه أحمد» لم يتمكن من قراءة الجملة التي بعدها، فصحفها من «يختم به الأنبياء» إلى «جاءهم بالبينات». وثمة قرب لا بأس به بين «يختم» و«جاءهم». كما أن ثمة قرب بين «الأنبياء» و«البينات».

بناء عليه، فالقراءتان مصحفتان جوهرياً. لكن لكل واحدة نقاط ضعفها ونقاط قوتها. فمشكلة قراءة أبي أنها صحفت «أحمد» إلى «آخر». أي أسقطت العنصر الذي تحول لاحقاً إلى العنصر المركزي بسب الصراع الأيديولوجي الإسلامي- المسيحي. أما مشكلة القراءة العثمانية، فهي أنها صحفت «أمته» إلى «اسمه». وكان هذا التصحيف في جذر الاضطراب الذي حصل. فحين تقرأ «اسمه»، فلا بد أن يتحول «أحمد» بعدها إلى اسم، وهو ما جعل النبي محمد يحصل على اسم آخر ليس موجوداً في الآية. وفي النهاية، يمكن الحكم لصالح قراءة أبي بن كعب في القضية عموماً. فقراءته كانت أقرب إلى الأصل من القراءة العثمانية.

إذا صح هذا، فهو يعطينا لمحة ممتازة عن إشكالات جمع القرآن، وعن الصعوبات الجمة التي كان يطرحها في كل لحظة، وفي كل آية. لم يكن الجمع مسألة بسيطة، بل كان حقل ألغام في الحقيقة. وحين اتفق على النسخة النهائية، عبر الأغلبية، لا بد أن كثيرين من الصحابة كانوا يدركون مشاكل هذه النسخة. لكن هؤلاء كانوا مدركين أيضاً أنه يجب الموافقة عليها كما هي رغم كل مشاكلها، لأنه من دون ذلك لن تكون هناك «أمة» ولا «دولة». عليه، فقد كان مصحف عثمان أساس الدولة وأساس الأمة.

* شاعر فلسطيني

1- Arthur Jeffery, Materials for the History of the Text of the Quran, the Old Codices, A.J. Brill, Leiden, 1937. P.170)

2- Muḥammad, Menaḥem, and the Paraclete: new light on Ibn Ish̩āq's (d. 150/767) Arabic version of John 15: 23–16: 11, Bulletin of SOAS, 79, 2 (2016), 255–278. © SOAS, University of London, 2016.

Samedi 26 Février 2022 no8 1ère année
السبت 26 شباط 2022 العدد الثامن السنة الأولى

القوس

www.alqaous.com

12 صفحة

نشرة أسبوعية مخصّصة للعدل والإنصاف

الوعد

«القوس» وليدة قسم «العدل» في مشروع «الأخبار» الذي مرّ على رحيل صاحبه جوزيف سماحة 15 سنة اليوم. ونريد لـ«القوس» أن تكون كما أراد سماحة لـ«الأخبار». فنحن في «القوس» «ننتمي، مهنياً، إلى معسكر الحرص على التعددية والديموقراطية والموضوعية والحداثة والثقافة الإبداعية» (افتتاحية جوزيف سماحة في العدد الأول من «الأخبار» 14 آب 2006).

«القوس» اليوم، «بين أيدي القرّاء. لا ندري تماماً أين هم. عسى أن يتاح لهم وقت لأن يقرأوا، أولاً، ولأن يشبعونا نقداً ثانياً. نعدُ أن نستمع، وأن نصوّب، وأن نجتهد. نعدُ، أيضاً، أن نرمي غير بحصة في بحيرة الإعلام اللبناني».

ونحن على الوعد.

رحل جوزيف لكن ما تعلمته منه خلال فترة تأسيس «الأخبار» ما زال يوجّهني ويشغلني ويوقذني أحياناً في آخر الليل لأراجع صفحات «القوس» وأدخُل في نقاش لا ينتهي مع زملائي بشأن أفضل ما يمكننا أن نقدمه للقرّاء.

عمر نشابة

حروب أهلية في البناية 5-4
تحدّيات تدرّج المحامين تتضاعف 7-6
شبح الموت خلف القضبان 9-8
انتبهوا من «عمّو» 11-10

◆ القضية المركزية

أبعد من التمييز العنصري
الأبارتايد بالعبري

توصيف لا يعني تماثل الممارسات

الأبارتايد كلمة أفريكانية (Afrikaan) وهي اللغة التي تفرعت من الهولندية لدى المستعمرين الأوروبيين الذين بقوا في جنوب أفريقيا وغيرها جنوب القارة الإفريقية منذ القرن السابع عشر. وتعني حرفياً «الفصل» أو «الانفراد» (apart-hood)، واستخدمت لوصف النظام السياسي والإداري لفصل وعزل المجموعات العرقية في جنوب إفريقيا الذي استمر بين عامي 1948 و1994، تحت شعار «النمو المنفصل». وهو نظام سعى إلى الإبقاء على هيمنة وسيطرة السكان البيض المتحدرين من المستعمرين الأوروبيين على السلطة والثروة ومقدرات البلاد بعد انتهاء عصر الاستعمار المباشر.

تعرّف المادة 2 من الاتفاقية الدولية بشأن قمع جريمة الفصل العنصري ومعاقبة مرتكبيها (1973) الأبارتايد بأنها جريمة تشمل «سياسات وممارسات العزل والتمييز العنصريين المشابهة لتلك التي تمارس في الجنوب الأفريقي، تنطبق على الأفعال اللاإنسانية... المرتكبة لغرض إقامة وإدامة هيمنة فئة عرقية ما من البشر على أية فئة عرقية أخرى واضطهادها إياها بصورة منتظمة.» ويعرّف نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، الأبارتايد بما يلي: «أية أفعال لا إنسانية... تُرتكب في سياق نظام مؤسسي قوامه الاضطهاد المنهجي والسيطرة المنهجية من جانب جماعة عرقية واحدة إزاء أية جماعة أو جماعات عرقية أخرى، وتُرتكب بنيّة الإبقاء على ذلك النظام».

ثمة ملاحظة لغوية قد تكون هامشية: في حين أضافت معظم اللغات مصطلح «أبارتايد» إلى مفرداتها بلا تغيير أو ترجمة، اعتُمد مصطلح «الفصل العنصري» في اللغة العربية للإشارة إلى نظام جنوب إفريقيا وثم إلى الجريمة الدولية. وقد أدى ذلك إلى لغط، فالمصطلح نفسه ترجمة لمصطلح «racial segregation» التي تعتبر أيضاً ممارسة عنصرية منافية للقانون الدولي، لكنها لا تعني الأبارتايد بالضرورة، فضلاً عن ترسيخها للصور التي مثلت النظام في جنوب إفريقيا، وأفضت إلى مقارنة غير مجدية بين نظامي الأبارتايد «الإسرائيلي» والجنوب إفريقي. استخدام المصطلح من دون التنبه لاختلاف التشكّلات القائمة في كلا النموذجين الجنوب أفريقي و«الإسرائيلي» يُسهّل على «إسرائيل» أن تنقضه وتقضي بنفيه. إذا قارنّا بين النظامين نستطيع أن نجزم بوجود تشابهات تشمل النزعة الاستعمارية التي كانت لدى الأقلية البيضاء الحاكمة في جنوب أفريقيا والتي تشكّلت بفعل ودعم الاستعمار الهولندي ومن ثم البريطاني. إلا أن الإسرائيليين كانوا أكثر دهاءً من حلفائهم في جنوب إفريقيا، فكما قال جون دوغارد، وهو بروفيسور وخبير قانوني جنوب أفريقي عايش الأبارتايد وشغل منصب المقرر للخاص للأمم المتحدة حول حقوق الإنسان في الأرض الفلسطينية المحتلة منذ عام 1967، أنّه برغم وجود تشابهات معينة بين النظامين، إلّا أنّ الفارق الأساسي يتمحور حول وضوح نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا بينما قام النظام «الإسرائيلي» بتجميل وتمويه ممارساته وسياساته، واستخدم طرقاً وأساليب أكثر مكراً تفضي إلى النتيجة ذاتها. وعليه فإن انطباق التوصيف نفسه على النظامين لا يعني بالضرورة تماثل الممارسات وبالتالي قد يكون ضرر المقارنة بين هذه الممارسات أكبر من فائدتها.

الاحتلال الإسرائيلي يعتدي على شاب مصاب بمتلازمة داون في حي الشيخ جراح في القدس المحتلة (ميدل إيست آي)

«إسرائيل، مثل جنوب إفريقيا، ابارتايد». هذا ما قاله عام 1961 هندريك فيرنورد، رئيس وزراء جنوب إفريقيا الأسبق ومهندس نظام الأبارتايد فيها. لكن نظام العدو الإسرائيلي كان اكثر مكرا من نظيره في جنوب إفريقيا، فاستطاع خداع العالم من خلال تمويه طبيعته، والتعمية على ممارساته وجرائمه في عملية بروباغاندا وتشبيك للمصالح مع مفاصل صناعة القرار والرأي في العالم، فاقتنع جزء كبير من العالم، بخاصة في الغرب الذي يناسبه ان يقتنع، بحضارية و ديمقراطية الكيان العنصري الذي انشأه هذا الغرب نفسه على ارض فلسطين. ولكن يمكن القول إنّ «السحر انقلب على الساحر» أخيراً، حيث أصبح اسمها اليوم يقترن بهذه الكلمة التي سعى الكيان مع حلفائه لإبعادها عنه، فاصبح تعبير «الأبارتايد الإسرائيلي» معتمداً في دوائر حقوقية كانت حتى الماضي القريب ترفض استخدامه رفضاً قاطعاً

■ نداء يوسف

توالت في السنوات الأخيرة منشورات ومقالات وتقارير تشرح بالتفصيل الأبارتايد الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني. كان اخر التقارير التي صدرت في هذا الإطار تقرير منظمة العفو الدولية، وسبقها تقارير منظمات أخرى كمنظّمة «هيومن رايتس ووتش»، وقبلها بسنوات تقرير لجنة الأمم المتحدة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا (الإسكوا). رحّب الكثير من الخبراء والقانونيين، بخاصّة العاملين في مجال حقوق الإنسان، بالتقرير وأكّدوا على توصيفه للوضع القائم في فلسطين المحتلة. لكن لا ينبغي الخلط بين المقاربة القانونية لقضية الأبارتايد وبين الاستخدام السائد للمصطلح تعبيراً عن الإدانة والاستنكار.

قد تبرر ظروف وسياقات معينة التعامل مع مسألة الأبارتايد على أنها أعمال وممارسات منفصلة (مثل جدار الفصل العنصري)، أو ظاهرة تولدها ظروف بنيوية مُغفلة كالرأسمالية (أبارتايد اقتصادي)، أو سلوك اجتماعي خاص من جانب بعض الجماعات العرقية تجاه جماعات عرقية أخرى (عنصرية اجتماعية). غير أن هذا التقرير يتمسك بتعريف للأبارتايد كما يرد في القانون الدولي، والذي يُحمّل في طياته مسؤوليات على الدول، كما تنص عليها الصكوك الدولية.

تعتمد استراتيجية الأبارتايد «الإسرائيلي» على تفتيت الشعب الفلسطيني كوسيلة رئيسية لضمان هيمنة «الإسرائيليين» اليهود على كامل الشعب الفلسطيني على أرض فلسطين. فاستخدم نظام العدو «الإسرائيلي» شتى الوسائل المتاحة والمقتلعة لتقسيم الشعب الفلسطيني إلى مناطق جغرافية مختلفة تدار بمجموعات مختلفة من القوانين، وتعمل هذه التجزئة على تثبيت نظام الهيمنة العنصرية «الإسرائيلي» وإضعاف إرادة الشعب الفلسطيني وقدرته على مقاومة موحدة وفعّالة.

وبما أن استراتيجية التفتيت هي الوسيلة الأساسية التي يفرض بها النظام الإسرائيلي الأبارتايد، فهي في الوقت نفسه سهلة الحجب عن المجتمع الدولي من خلال تفتيت الاهتمام بالشعب الفلسطيني. إذ يتناول العالم قضية الأراضي المحتلة عام 1967 بمعزل عن قضايا فلسطينيّي أرض 1948، وبانفصال تام عن قضايا ومعاناة اللاجئين في المخيمات خارج فلسطين.

على أيّ حال، قد يعتبر البعض أنّ ما جاء في التقارير التي تتهم نظام العدو «الإسرائيلي» بالأبارتايد غير كافٍ عدا عن كونه متأخراً، بل ويغذّي شرعية وبقاء الاحتلال، إذ تخاطب التقارير في توصياتها المحتل «الإسرائيلي» بوصفه مسؤولاً لا عن الأفعال فقط، بل عن تصحيحها، وبالتالي تمنح التقارير «إسرائيل» مسؤولية تضاف إلى مسؤولياتها التي تحكم قبضها على الفلسطينيين في كافة أماكن تواجده (منظمة العفو الدولية 2022). من نتائج توصيات كهذه إعادة إنتاج وشرعنة النظام «الإسرائيلي» كنظام مهيمن، وبتوصيات تكاد تكون غير عملية وغير قابلة للتنفيذ أحياناً، كأن تقبل «إسرائيل» بمنح حق العودة او دفع تعويضات للضحايا. ويعود السؤال الأكثر جذرية: هل بحدوث وتفكيك نظام الفصل العنصري سينتهي الاحتلال؟

من المؤسف أن التقارير لم تتعرض للنظام «الإسرائيلي» بصفته قوة استعمارية إحلالية في المنطقة، بل رفضت النظر في مسألة شرعية الاحتلال. من الفرص التي يمكن أن ندركها من خلال أهميّة هذه التقارير هو الصدى الإعلامي السياسي لمثل هذه التقارير في العالم اليوم، فقد أصبح بالإمكان استخدام خطاب حقوق الإنسان لذم وإعابة أشخاص وأنظمة، بل ودول. وعلى الرغم من السلبيات الكثيرة المصاحبة لصناعة حقوق الإنسان، فإن استخدام الخطاب نفسه لغرض تسليط الضوء على الانتهاكات التي تمس حقوق الإنسان الفلسطيني امر إيجابي، بل ويدفع الأنظمة والحكومات للضغط سياسياً على العدو الاسرائيلي من أجل التراجع عن ممارساته. وعلى الرغم من انتقائية بعض المؤسسات الحقوقية للحقوق التي يجب تغطيتها إلا أنّ التغطية تدفع الشعوب والباحثين عن الحقيقة للبحث والغوص في أعماق القضية بشكل أكبر.

أمّا على صعيد الأمم المتحدة، فتدفع هذه التقارير أجهزة الأمم المتحدة، بخاصّة مجلس حقوق الإنسان إلى تبنّي موقف تجاه القضية، وبالتالي تشكيل ضغط دبلوماسي أكبر قد يؤدي إلى تعزيز حركات مقاطعة الاحتلال حتى ولو على صعيد مقاطعة بضائع المستوطنات «الإسرائيلية» على أراضي الضفة الغربية. وقد يصل الأمر إلى تبني قرارات أممية خاصة تطرح من مجلس الأمن أو الجمعية العمومية للأمم المتحدة، قد تشكل ضغطاً وتؤدي إلى نتائج ملموسة. فمثلاً، وخلال فترة العدوان الإسرائيلي الأخير على غزة، دعت إيرلندا، بوصفها رئيسة لمجلس الأمن، إلى عقد اجتماعات طارئة تدعو فيها الكيان إلى وقف الاعتداء، كما أدّى العمل الحقوقي إلى الدفع بإيرلندا نحو اتخاذ قرارات محلية تخص مقاطعة بضائع المستوطنات.

وكذلك، كان مكتب المدعية العامة للمحكمة الجنائية الدولية قد أصدر قراراً في أوائل عام 2021 بفتح التحقيقات في جرائم الحرب في الأراضي الفلسطينية (الضفة وغزة والقدس الشرقية حصراً من دون فتح اي تحقيق في الجرائم في سائر أنحاء فلسطين المحتلة).

يمكن الاستفادة من هذه التقارير لتدعيم الملف الفلسطيني، بحيث تكون هذه التقارير رصيداً من المواد المستخدمة في التحقيقات بما أنها مصدر من مصادر المعلومات التي تعتمدها أجهزة الأمم المتحدة. بالنظر إلى ذلك كله، يبقى التساؤل الأهم: ما المطلوب على صعيد دعم القضية في هذا الشأن؟

للحديث عن خطوات عملية، يمكن:

- التركيز على أهم النقاط التي تستعرضها التقارير للحديث عن الظلم الذي يتعرض له الفلسطينيون.
- تركيز جهود فردية وجماعية للنشر حول الموضوع والحديث عن وجهات نظر قد تفتح آفاق عمل مختلفة.
- استغلال ملف فلسطين المعروض أمام المحكمة الجنائية من خلال دفع التحقيقات كي تعتمد النظر بما جاء في هذه التقارير.
- إمكانية استغلال آلية الشكاوى الفردية التي تسمح بها لجان معاهدات حقوق الإنسان، وبالتالي تكثيف أصوات الفلسطينيين في حي الشيخ جراح بشكاوى فردية وتقارير عن انتهاكات حقوق الإنسان التي تثبت تورط العدو الاسرائيلي بالأبارتايد.
- استغلال التقارير للدفع بحملات المقاطعة.
- استغلال التقارير للدفع بحراكات تضامن شعبي على صعيد دول العالم.

ويبقى الخيار الأساسي لتحرير فلسطين خيار الكفاح المسلح.

جدار الفصل العنصري في فلسطين (مت الويب)

تعتمد استراتيجية الأبارتايد «الإسرائيلي» على تفتيت الشعب الفلسطيني كوسيلة رئيسية لضمان هيمنته

تقرير منظمة العفو الدولية لم يتعرض للنظام «الإسرائيلي» بصفته قوة استعمارية إحلالية في المنطقة، بل غضّ النظر عن مسألة شرعية الاحتلال

في العدد المقبل:

«تقرير منظمات حقوق الإنسان وفلسطين بين الوهم والعدم»

أبعاد المقاربة القانونية

■ سلمان خاطر

أصدرت إحدى منظمات الأمم المتحدة تقريراً في آذار 2017 يتّهم النظام الإسرائيلي بممارسة جريمة الأبارتايد ضد الشعب الفلسطيني ككل. جن جنون الإسرائيليين والإدارة الأميركية آنذاك وخرجت سفيرتها للأمم المتحدة، نيكي هايلي، مهددة متوعدة المنظمة الأممية وأمينها العام وأمرته بإدانة التقرير وبإلغائه عن الوجود. رضخ الأمين العام وطلب إزالة التقرير عن موقع «الإسكوا». رفضت الأمينة التنفيذية للإسكوا ريما خلف هذا الأمر واستقالت من منصبها معترضة على الرضوخ للإملاءات والوقاحة الأميركية.

لماذا جن جنون الأميركيين والإسرائيليين بهذا الشكل مع العلم بأن عشرات التقارير تصدر سنوياً عن الأمم المتحدة توثق الجرائم «الإسرائيلية» ضد الشعب الفلسطيني؟

■ أولاً، يحتل مصطلح أبارتايد حيزاً خاصاً في الوعي السياسي الغربي نتيجة تجربة حركة التضامن الدولية في السبعينيات والثمانينيات التي دعمت وتكاملت مع النضال والكفاح الشعبي في جنوب أفريقيا ضد النظام العنصري الفج الذي كان قائماً آنذاك. وكانت هذه التجربة نادرة من ناحية تحقيق حركة تضامن دولية انتصاراً لا لبس فيه من أجل قضية عادلة على الرغم من تناقض مصالح القوى الكبرى معها، فكانت بريطانيا والولايات المتحدة آخر من لحق ركب نبذ نظام الأبارتايد في جنوب إفريقيا بعدما أصبح الدفاع عنه محرجاً وعالي الكلفة، ولم ينافسهم في ذلك إلا النظام «الإسرائيلي» الذي بقي وحده متمسكاً بالعلاقة نظيره الإفريقي الذي يشبهه.

■ ثانياً، نتيجة تجربة جنوب إفريقيا، صنف القانون الدولي الأبارتايد أحد الجرائم ضد الإنسانية ذات التعريف الواضح، خاصة بعد إدراجه في نظام روما الأساسي لمحكمة الجنايات الدولية، وبالتالي أصبح له تبعات قانونية واضحة وجهة قضائية دولية يعود لها مهامها محاكمة ومعاقبة مرتكبي هذه الجريمة الجنائية الدولية من أفراد ودول.

■ ثالثاً، تفضي مقاربة الأبارتايد «الإسرائيلي» إلى إعادة الاعتبار لوحدة الشعب الفلسطيني، ولحقيقة أن القضية الفلسطينية ليست مسألة مفاوضات على أرض وترسيم حدود، بل هي قضية ظلم ومعاناة شعب كامل تحت أنظار العالم لعقود، أينما تواجد أبناؤه، في الأراضي المحتلة منذ عام 1948 وتلك المحتلة عام 1967 وفي مخيمات البؤس واللجوء.

هذه الاعتبارات تفسر إلى حد ما الجنون الأميركي و«الإسرائيلي» حيال نطق كلمة «أبارتايد» في ما يخص نظامهم في فلسطين. وهي أيضاً تفرض التوقف ملياً عند مقاربة الأبارتايد هذه والتي بدأت كرة ثلجها تتدحرج خارج سيطرة الصهاينة وحلفائهم.

يعيش الفلسطينيون منذ عام 1967 في اربعة «فضاءات»، يُعاملون فيها معاملة مختلفة في الظاهر، لكنهم يتشاركون في الواقع اضطهاداً عنصرياً في ظل نظام الابارتايد

الفلسطينيون في الارض المحتلة عام 1948

يعيشون في ظل نظام قانوني يصون القمع والاضطهاد، ويجرّم أي مواجهة قانونية لهذا الاضطهاد ويجعل من الفلسطينيين مواطنين «من الدرجة الثانية». كما تهدف السياسات والممارسات «الإسرائيلية» إلى ضمان بقاء هذا الجزء من الشعب الفلسطيني أقلية ديموغرافية، ما يحول دون حصوله على الوزن الانتخابي المطلوب لتحدي القوانين المميزية أو الطبيعة اليهودية الأساسية للدولة عبر القنوات التشريعية.

الفلسطينيون في القدس الشرقية

يصنفون مقيمين دائمين، لا مواطنين، ما يحول دون مساهمتهم في زيادة الثقل الديمغرافي للفلسطينيين داخل أراضي 1948. ويعاني فلسطينيو القدس الشرقية من التمييز، لا سيما في الوصول إلى التعليم والرعاية الصحية، والحصول على تراخيص البناء، وفي خدمات عامة أخرى. وهم يعيشون تحت ضغط مستمر يرمي إلى دفعهم إلى مغادرة المدينة نهائياً، وفي خوف دائم من مصادرة تصاريح الإقامة.

الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة

مفصولون أيضاً عن الفلسطينيين في أراضي 1948 والقدس الشرقية. ويحكمهم القانون العسكري «الإسرائيلي»، بينما يعيش المستوطنون اليهود في ظل القانون المدني «الإسرائيلي» (ما يعتبر بحد ذاته انتهاكاً لاتفاقية جنيف الرابعة). سياسة تجزئة الضفة الغربية إلى كانتونات تفرقها مناطق يهودية حصراً (المستوطنات)، والحصار على قطاع غزة يضعفان الفلسطينيين ويُحكمان سيطرة «إسرائيل» عليهم في الأرض المحتلة.

اللاجئون والمنفيون الفلسطينيون

ممنوعون بشكل صريح من العودة إلى منازلهم سواءً في الأراضي المحتلة عام 1948 أم تلك المحتلة عام 1967، ولا يخجل «الإسرائيليون» بتبرير رفض السماح لهم بالعودة لأن تلك قد يؤدي إلى تغيير التوازن الديموغرافي داخل «إسرائيل».

ن. ي.

◆ في الواجهة

مئات الدعاوى أمام دوائر التنفيذ مرفوعة من جار بحق جاره، ومن لجنة البناية بحق من لم يسدّد كلفة مازوت المولّد او تصليح المصعد أو راتب الناطور. فمع تفاقم الأزمة الاقتصادية وانهيار القيمة الشرائية للعملة الوطنية، يعجز كثير من السكّان، خصوصاً في العاصمة بيروت وضواحيها، عن تسديد كلفة الخدمات المشتركة التي بات جزء منها يحسب بالدولار الأميركي. عفّت الفوضى وعلا الصراخ في بعض المباني وارتفع منسوب التوتر بين الجيران، وبدا وكان حروباً أهلية صغيرة تشتعل في أحياء العاصمة وأزقتها

حروب أهلية في البناية

■ احمد مدلج

بلغت كلفة الخدمات المشتركة في بعض مباني العاصمة ضعفي أو ثلاثة أضعاف الحد الأدنى للأجور. فمع انقطاع التيار الكهربائي لأكثر من عشرات ساعة يومياً، زاد الاتكال على مولّدات الكهرباء الخاصّة (ومعظمها مصمم لحالات انقطاع الكهرباء الطارئة فقط، لا ليعمل ساعات طويلة) علماً أن كلفة المازوت والصيانة وقطع الغيار تُسعّر بالدولار الاميركي. وتشهد معظم تلك المباني خلافات بين الجيران بشأن الكلفة وتسديد المتوجبات وتحديد ساعات تشغيل المولّد. تتحول الخلافات أحياناً إلى مشادات كلامية وتوتر يؤدي إلى شجارات وضرب، ويخلق جوّاً مسموماً بين الأهالي.

> **تتحول الخلافات أحياناً إلى مشادات كلامية وتوتر يؤدي إلى شجارات وضرب**

أما في المباني التي لا يوجد فيها مولد كهرباء، حيث يتكل السكان على الاشتراك، تظهر مشاكل أخرى منها العجز في تسديد راتب الناطور وكلفة صيانة الأقسام المشتركة، وفاتورة المياه وتنظيف الدرج والمدخل. كما تزيد الخلافات بشأن أماكن ركن السيارات وتتحول إلى مشادات في ظل جوّ مشحون ونفوس متشنجة.

«مـا مـعـي»، «زبـطـوا بـقـا هـيـدا الأسانسير»، «لتدفع بالأول»، «نزال شيل السيارة من محلي يا حيوان». لا يكاد يمر يوم من دون وقوع إشكال أو مشادات في الأبنية السكنية.

يعيش سكان أحد المباني في منطقة جسر الباشا مثلاً من دون مصعد بعد أن تعطل منذ سنتين. فارتفاع كلفة تصليحه وعدم اجتماع جمعية المالكين خلال سنتين للبحث ودفع كامل المستحقات للصيانة من بعد مناشدات المستأجرين، أجبر عديدين منهم على ترك عقاراتهم والبحث عن شقق سكنية أخرى. أما بناية صبرا في المصيطبة، فأصبحت المشاكل نفسها تتكرر يومياً حول دفع مستحقات المازوت المولد الكهرباء. لم يعد بإمكان العديد من سكان المبنى دفع المبالغ الطائلة للمحروقات، فتقوم جمعية المالكين بتسجيل ديونهم والمطالبة يومياً بإيفائها من دون جدوى. وفي أحد مباني الصفير لم تنجح جمعية المالكين في حل المشكلات بين مختلف مالكي العقارات من دون اللجوء للقضاء. فالتعدي على مواقف سيارات الآخرين وتراكم الديون لمستحقات المياه وصيانة المبنى السكني دفع العديد من سكانها إلى القضاء لحل مشكلاتهم. بينما ادعى عدد من مالكي بناية واقعة في بشامون أمام القضاء في وجه رئيس جمعية المالكين بعد اتهامه بسرقة مبالغ طائلة من صندوق الجمعية، حيث لم يعد باستطاعة الجمعية دفع مستحقات الناطور وصيانة المبنى، ما أدى إلى توجيه أصابع الاتهام نحو رئيسها بعد اختفاء الاموال من الحساب المصرفي الخاص باسم الجمعية.

(ارشيف ـ مروان طحطح)

ناقوس الخطر

تحاول بعض لجان البنايات توفير كلفة صيانة المصعد والمولد والكهرباء، في الأقسام المشتركة. ولم تقم بعض البنايات بتعبئة طفايات الحريق ولم تُجر بعض أعمال الصيانة الضرورية للمجاري الصحية، وذلك بسبب عدم توفر الاموال في صندوق البناية. لكن التوفير في صيانة المصعد وتعذر التجهيز ضد الحريق مثلاً يشكلان خطراً على السلامة خصوصاً مع انقطاع التيار الكهربائي والاتكال على الشمعة وعلى وسائل تدفئة تقليدية. تعبئة الطفايات وصيانة المصعد لوازم أساسية لا يفترض التغاضي عنها أو تأجيلها في أي حال من الأحوال.

لجان البنايات لا تحل المشكلة

الهدف الأساسي من إنشاء لجان البنايات تأمين مصلحة الجميع وتنظيمها، وحل النزاعات قدر الإمكان. لكن تلك اللجان تتحول إلى جزء من المشكلة بسبب عدم توصل سكان البناية إلى حلول تتطلب تسويات وربما تنازلات في ظل الوضع المعيشي الصعب والإفقار المزمن.

على مالك العقار، بحسب القانون، دفع مستحقاته من النفقات المشتركة، خلال عشرة أيام من تبلغه الإنذار بدفعها من قبل جمعية المالكين (التي تعرف باسم لجنة البناية) (مادة 26 و47 من المرسوم الاشتراعي رقم 88). ويعتبر الإنذار بمثابة سند خطي، ويحق لرئيس الجمعية، أن يراجع دائرة التنفيذ، لتحصيلها وفقاً لأحكام قانون تحصيل الديون الثابتة بسند خطي، والمنفذ بالمرسوم رقم 9793 تاريخ 1968/5/4.

رئيس جمعية المالكين أو ما يعرف بلجنة البناية، يدير اجتماعاتها ويضبط الوقائع والإجراءات، ويدون القرارات في محاضر بعد توقيعها من المالكين الحاضرين أو المستأجرين الذين ينوبون عنهم. وتعد قرارات اللجنة إلزامية قانونياً. لكن ماذا لو قررت اللجنة إلزام المالكين والمستأجرين بالدفع بالعملة الأجنبية أو ما يعادلها لتسديد كلفة صيانة المصعد مثلاً؟ في هذه الحالات يتعذر على العديد من السكان الذين يتقاضون رواتبهم بالليرة اللبنانية تسديد مستحقاتهم.

قد تتخذ بعض اللجان قرار الملاحقة القضائية أو قد تمهل السكان مهلة، او قد تقطع الخدمات المشتركة عنهم. وفي كل هذه الحالات يرتفع منسوب الغضب ويعلو الصراخ خلال اجتماعات الأهالي، وتؤدي الخلافات إلى كراهية وحروب صغيرة بينهم في بعض الحالات.

للجنة البناية الحق بمطالبة دائرة التنفيذ بتحصيل ديونها جبراً، لكن هل يمكن للمالكين أو المستأجرين الاعتراض قانونياً على قرارات جمعية المالكين؟ تفصل محكمة البداية الواقع ضمن نطاقها العقار بالمنازعات بين الجمعية والمالكين.

نظام إدارة العقارات

تحدد ضمن إدارة البناء وصيانته والمحافظة عليه:
- حقوق المالكين في أقسامهم الخاصة والأقسام المشتركة، ومدى كيفية استعمال هذه الحقوق.
- التعديلات الداخلية التي يجوز لكل مالك أن يجريها في القسم العائد له، وبيان شروط إجراء هذه التعديلات.
- شروط ضمان العقار ضد المخاطر، لا سيما خطر الحريق.
- الأعمال والإضافات التي يحق للجمعية إجراؤها على الأقسام المشتركة، والتي تزيد في قيمة العقار كله أو بعضه، على نفقة جميع الشركاء، على أساس ما تضعه الجمعية من الشروط عليهم أو على بعضهم، أو لمصلحة بعضهم على البعض الآخر.
- أصول استيفاء السلفات وتحصيل الديون، والصرف والقبض.
- أصول استخدام الموظفين والأجراء والعمال وصرفهم من العمل.
- كيفية فصل الخلافات التي قد تنشأ بين المالكين.
- تمثيل الجمعية أمام المحاكم والدوائر وتجاه الغير.
- وكل ما من شأنه أن يؤدي إلى حسن إدارة العقار والانتفاع به على الوجه الأفضل، ضمن الأحكام المرعية. (مادة 12 من مرسوم رقم 88).

«جمهورية» جمعية المالكين

نصّ المرسوم الاشتراعي رقم 88 على تأليف جمعية للمالكين التي تتولى إدارة العقار. فيؤلف مالكو العقار، بحكم القانون إذا زاد عدد الأقسام الخاصة عن ثلاثة، جمعية مالكين لإدارة الأجزاء المشتركة.

تضم جمعية المالكين مالك كل عقار فقط، ولا يحق للمستأجر أن يكون ضمن الجمعية إلا في حال عدم قدرة المالكين على حضور الاجتماعات، فيوكلون عنهم من يمثلهم، وذلك بموجب وكالات رسمية أو لدى المختار، تجيز لهم التصرف باسم المالك الموكل (مادة 38 من المرسوم الاشتراعي رقم 88).

تتمتع هذه الجمعية بالشخصية المعنوية، أي لها ذمة مالية مستقلة وأهلية للتعاقد واكتساب الأموال والمثول أمام المحاكم (مادة 20 من المرسوم الاشتراعي رقم 88).

فور نشوء جمعية المالكين، يُنتخب رئيس لها بطريقة الاقتراع السري، وإذا كانت كثافة أعمال الجمعية تقضي ذلك، يمكن إنشاء مكتب لها، برئاسة الرئيس، يحدد عدد أفراده وتوزيع العمل بينهم وأجورهم عند الاقتضاء، وكل ما هو متعلق بهم، في قرار تتخذه الجمعية (مادة 22 من المرسوم الاشتراعي رقم 88).

يتولى رئيس الجمعية تنفيذ قراراتها ويتخذ جميع التدابير والإجراءات التي تمنحه الجمعية صلاحية اتخاذها وتنفيذها. ويكون له في جميع الأحوال، تصريف الأمور العادية اليومية والقيام بجميع الإجراءات والأعمال المستعجلة، التي تقتضيها سلامة العقار، وسلامة الغير، ومن الأضرار التي قد تصيبهم بسببه (مادة 23 من المرسوم الاشتراعي رقم 88).

تعقد الجمعية اجتماعاً عاماً مرة واحدة على الأقل كل سنة، ويعد رئيس الجمعية في بدايته تقريراً عن أوضاع الجمعية للمداولة بشأنه. وتعقد الاجتماعات بناء على دعوة خطية يوجهها رئيس الجمعية إلى كل مالك (مادة 24 من المرسوم الاشتراعي رقم 88). وتُقسم أعمالها الى ثلاثة أنواع:
- الأعمال الإدارية، كاتخاذ الإجراءات الضرورية المتعلقة بالبناء والملكية المشتركة، وعقد اجتماع عام على الأقل مرة واحدة في السنة.
- الأعمال الإدارية المادية، كصيانة وتصليح واستبدال جميع التجهيزات والتمديدات والمنشآت، في إطار المصلحة المشتركة للمالكين او للمستأجر (بعد الاتفاق مع المالك على دفع النفقات من قبل المستأجر).
- الأعمال التصرّفية، كشراء وتركيب تجهيزات وآلات تقتضيها مصلحة المالكين، أو بيع العقار إذا تهدّم البناء، وتعذّر إعادة بنائه.

تتخذ الجمعية قراراتها بالإجماع أو بالأكثرية تبعاً لنوع القرار الجاري التصويت عليه. ويكون لكل مالك من مالكي الأقسام الخاصة عدد من الأصوات موازٍ لنسبة قيمة ملكيته في العقار.

الأقسام الخاصة والمشتركة في الأبنية السكنية

تداخل ومنازعات

■ د. علي غصن *

إن المعيار الأساسي للتفريق بين الأقسام الخاصة والأقسام المشتركة يكون بناء، على ما هو معد أصلاً للاستعمال الشخصي، أي ما يدخل في الاستعمال الشخصي للمالك بصفة حصرية. ما يعني أن صفة القسم الخاص تستمد من الاستعمال الخاص، على اعتبار أن المالك يتمتع بحصرية استعمال ملكه الخاص في مقابل استعمال المالكين الآخرين لأقسامهم الخاصة. علماً أن نظام الملكية المشتركة هو من يحدد الأقسام الخاصة بكل تفاصيلها كما يساهم هذا النظام في تعيين الحقوق العائدة لتلك الأقسام.

وعند الخلاف بين مالكي الأقسام الخاصة حول ما يدخل في الأقسام المشتركة وما يخرج منها، خاصة عند غموض أدوات التمييز بين تلك الأقسام، يمكن الرجوع إلى نظام الملكية المشتركة للبناء، أو نظام ادارة البناء، كما يمكن الاستعانة بسند ملكية الشقة للتمييز بين الاقسام الخاصة والأقسام المشتركة.

ولان مواقف السيارات في الأبنية تثير أكثر من غيرها النزاعات بين السكان، فإن من شأن قيام أحدهم بركن سيارته في القسم المشترك من الموقف بحيث يحول دون استعمال أحد المالكين للموقف المخصص له إلا بصعوبة غير اعتيادية، ما دفع هذا الأخير إلى رفع دعوى أمام قاضي الأمور المستعجلة للمطالبة برفع التعدي الواضح على حقوقه المثمثلة بالولوج بسهولة إلى الموقف المخصص له.

اعتبرت المحكمة أن الفسحة من القسم المشترك موضوع الخلاف مخصصة كمساحة حرة داخل الطابق المخصص للمواقف، وهي تسمح بالمرور وتسهّل الخروج والدخول من وإلى المواقف، وهي ليست فسحة مخصصة كموقف، وبالتالي لا يجوز لأي طرف استعمال الفسحة كموقف، لأن في ذلك تعد على حق كل صاحب قسم في البناء، في ألا تُستعمل الاقسام المشتركة إلا للغاية المعدة لها، فضلاً عن ذلك أن سيارة المدعى عليه المركونة في الفسحة موضوع النزاع تشكل عائقاً أمام ركن سيارة المدعي، ما يشكل تعدياً على حق هذا الأخير في أن يكون له مجال قانوني ومساحة شاغرة في القسم المشترك تسمح له الخروج والدخول من وإلى موقفه دون صعوبة غير اعتيادية، علماً أنه لم يثبت صدور قرار عن جمعية المالكين العامة للبناء وفقاً للأصول بالموافقة على أن يركن المدعى عليه سيارته بالفسحة موضوع النزاع، ومن جهة أخرى فإن الموافقة المذكورة تستوجب إجماع المالكين لأنها تقلص من حق المدعي في القسم المشترك ألا وهو حقه في أن يكون له مجال وفسحة تسمح الخروج والدخول من وإلى موقفه بسهولة، وانتهت المحكمة إلى نتيجة مفادها أن ما يقوم به المدعى عليه من ركن سيارته في القسم المشترك يشكل تعدياً واضح على حقوق المدعي ما يوجب إلزامه بإزالة سيارته ومنعه من إيقاف أية سيارة في المكان المذكور تحت طائلة غرامة إكراهية.

* محامٍ وأستاذ جامعي

المراجع:

- **نعيم مغبغب، الملكية المشتركة في الشقق والشاليهات والمحلات التجارية، بيروت، 2008.**
- **المستشار الكتروني، إجتهادات المحاكم، للدكتور علي غصن.**
- **مجلة العدل التي تصدر عن نقابة المحامين في بيروت.**

◆ مرافعة

في ظل الازمة الاقتصادية والاجتماعية التي يعيشها لبنان، وتحت واقع انهيار المؤسسات في القطاع الخاص كما في القطاع العام، يزيد اتكال المحامين على نقابتهم للدفاع عن كرامتهم وتتضاعف بالتالي مسؤوليات النقابة. هذا ما اكده النقيب ناضر كسبار بعد فوزه في انتخابات نقابة المحامين في بيروت في تشرين الثاني الماضي. لا بد من تسليط الضوء على التحديات التي يعاني منها طلّاب «الحقوق» فور تسلمهم الشهادة، فالمطلوب من النقابة إيجاد الحلول لتنظيم تدرّجهم وتجنّب تجاهل مشكلات تشوب مرحلة التدرج. المحامون الشباب يسألون بقلق عن مستقبلهم ويناشدون النقابة بينما تزيد الصعوبات التي يواجهونها في تحديد مكتب محاماة مناسب ينضمون إليه ويتدرجون فيه

تحدّيات تدرّج المحامين تتضاعف

■ سناعيد

التدرّج في مهنة المحاماة ليس مجرد محطة إعدادية ملزمة قانونيًا ومهنيًا في حياة المحامين الجدد، بل هو مرحلة تعريفهم على وضع العدالة الناقصة، وأمور أخرى تتعلق بإدارة المكتب. ويعاني حالياً عدد كبير من المتخرجين حديثًا من كليات الحقوق صعوبة في تحديد مكتب محاماة يتدرّجون فيه. ويبدو أن هذه الصعوبات تتضاعف بسبب أوضاع البلد والأزمات المتراكمة.

بحسب قانون مهنة تنظيم المحاماة، لا بد للمحامي الراغب باكتساب صفة محامي عامل أن يسجّل اسمه في إحدى نقابتي المحامين (طرابلس و بيروت)، للتدرّج لمدّة ثلاث سنوات في مكتب محام بالاستئناف. ويبدأ سريان هذه المدّة فور التسجيل في سجل المحامين المتدرّجين. ومن هنا تبدأ معاناة طالب التدرج بمراحل عدة: أولها البحث، وعدم القدرة على التسجيل في مكتب محام للتدرج، ما يعرقل فرصته في تقديم امتحان التدرج وتأخره سنة على الأقل حتى افتتاح دورة أخرى.

قبل خضوع طالب التدرج للامتحان، عليه أن يقيّد اسمه على اسم محام في الجدول العام، وهذه الخطوة دونها شروط كثيرة، منها ما هو قانوني ومنها ما يعود إلى أسباب أخرى.

مكاتب المحاماة لا تعتمد منهجية موحدة لقبول المتقدمين أو رفضهم. وفي بعض الاحيان تدخل اعتبارات عائلية وحزبية، ويؤدي «المظهر الخارجي للمحامي طالب التدرج دوره لدى النقيب» كما قالت هند التي فشلت، بعد مرور 3 سنوات من البحث، في إيجاد مكتب مناسب للتدرّج.

وبالرغم من أن القانون ينص على دور لمجلس النقابة في السعي لقبول المتدرجين في مكتب المحامين، إلا أن لا دليل على قيام المجلس بدوره، بشكل كامل بالرغم من تقدم العديد من طالبي التدرج إلى طلب المساعدة في إيجاد مكتب للتسجيل.

رسم الانتساب مليون ليرة

اجتاز محمّد امتحان التسجيل في نقابة المحامين، وقبل محامياً متدرّجاً، لكنّ معالم الفرحة لم تكتمل على وجهه إثر إعلان النتائج في نقابة المحامين في بيروت. نشوة النجاح بدّدها هاجس توفير رسم الانتساب الذي ازداد من ثلاث مئة ألف إلى مليون ليرة لبنانيّة في عام واحد للذين لم يتجاوزوا سن الـ30، لترتفع القيمة بالنسبة إلى من هم أكبر عمراً.

الواسطة؟

في حال نجاح طالب التدرج في التسجيل في امتحان التدرج، يتفاجأ بـ «الواسطة» المنتشرة في النقابة «على عينك يا تاجر». وبحسب شهادات عدة من متخرجي الحقوق حديثاً، ويردون ان العديد من طالبي التدرج حظوا بـ «مساعدة» خلال امتحانات التدرج. ولم تتمكن «القوس» من التدقيق في صحة هذه الادعاءات غير ان مجرّد انتشارها بين المحامين الشباب يدل إلى تراجع ثقتهم بالنقابة التي يفترض أن ينضموا إليها.

تسهيلات عائلية

تبدو عمليّة إيجاد مكتب محاماة مناسب أسهل في حال كان اهل طالب التدرج أو أحد أفراد عائلته يمارسون المهنة، إذ يعمد الكثيرون إلى توظيف أبنائهم على حساب فرص زملائهم الآخرين، و لو كانوا أقل كفاءة واجتهاداً، كما تتكاثر أوجه الخدمات و المعارف وتصل أحياناً إلى حد أن تكون تلك «الخدمات» شرطاً للتوظيف.

تمييز جندري وطبقي؟

وفقاً للفقرة الثانية من المادة الثالثة من نظام آداب مهنة المحاماة ومناقب المحامين: «على المحامي الاعتناء بمظهره الخارجي، ولا سيما بلباسه الذي يجب أن يكون لائقاً ومتفقاً مع ما تفرضه المهنة من مهابة». ويستغلّ بعض المحامين هذه المادّة لفرض «اللباس البرستيجي» الذي يُترجَم في بعض المكاتب «بتنورة و كعب عالي» كما قالت المحامية المتدرجة ماريا. وأضافت أن المحامي المشرف عليها «ما بحب البنات تنزّل على العدلية لأنهن ناعمين ورقيقين».

إضافة إلى التمييز الجندري الذي يشكو منه عدد من المتدرّجين، يكثر الحديث عن استغلالهم وتكليفهم بأعمال لا علاقة لها بالمحاماة.

من هنا يرى المحامي المتدرّج نديم بأن التدرّج في بعض المكاتب «سخرة وفيه استغلال»، متحدّثاً بالم عن تجربته المريرة. ويضيف: «حتى بدلات النقل اليومية استكثرها عليي». علماً أن المادة 37 من قانون تنظيم مهنة المحاماة تشير إلى أنه على المحامي المدرّج أن «يشجّع المتدرّج مادياً ومعنوياً»، بيد أن عبارة «التشجيع المادي» لها في أذهان المدرّجين، على ما يبدو، تأويلات مختلفة، فعدد كبير منهم أغفل هذه العبارة في قاموسه نهائياً، والبعض يتمتع بأخلاق رفيعة ويعطي المتدرّج حقه»، يسأل المحامي المتدرّج فاروق: كيف يمكن للمتدرّج في ظل ما يفرض عليه، خلال سنوات التدرج الثلاث، أن يوفّر مصروفه؟ مضيفاً أن هذه المهنة ليست «لمين ما كان». المتدرّجون أبناء الطبقات الميسورة لا يشعرون بالمعاناة كحال غيرهم من الزملاء.

ومع أن جميع المحامين على يقين من الحالة المؤسوفة التي نعيشها والتي تزداد سوء يوماً بعد يوم، يبقى البعض مصراً على غض النظر بحجّة أن المحاماة «مهنة حرّة وليست وظيفة، إنما مهنة أخلاق» كما ورد على لسان النقيب السابق ملحم خلف في حرم جامعة القدّيس

> **هل باتت المحاماة عملاً مقتصراً على ميسوري الحال؟ او لمن يستطيع الاستحصال على دعم مادي عائلي خلال مدة التدرج؟**

يوسف سنة 2020 أثناء حوار مع اللجنة الطلّابية التي أدلت بضرورة تفويض المحامين المتدرّجين ببدل اتعاب و لو رمزي، فحتى خلال السنوات الثلاث التي يتعيّن على المتدرج إكمالها في مكتب محام بالاستئناف، لا يوجد قانون يجبر المحامي على دفع بدل معين يمكّن المتدرج من الاستحصال على ما يخوله تأمين احتياجاته، كما هو الحال في بلدان أخرى كفرنسا مثلاً.

هل باتت المحاماة عملاً مقصوراً على ميسوري الحال؟ او لمن يستطيع الاستحصال على دعم مادي عائلي خلال مدة التدرج؟ خصوصاً أن مبدأ التمانع وحدود ممارسة المهنة تمنع المحامي الجمع بين المحاماة ومهن عديدة أخرى.

بحثاً عن حلول

طالما أن مهنة المحاماة تهدف إلى تحقيق رسالة العدالة بإبداء الرأي القانوني والدفاع عن الحقوق عملاً بنص المادة الأولى من قانون تنظيم مهنة المحاماة ، وهي تساهم في تنفيذ الخدمة العامة، اليس المتدرجون جديرين بحماية تُسبغها عليهم نقابة المحامين؟ حماية من الاستغلال وضياع الحقوق؟ يطرح بعض الحقوقيين اقتراحاً يقضي بإلزام كل محام عامل أن يسجّل في مكتبه محامياً متدرجاً تختاره النقابة بطريقة ممكننة وإلكترونية من دون أي تدخل بشري، بحيث تؤمّن النقابة سجلاً خاصاً بطالبي التدرج الذين يتعذر عليهم إيجاد مكتب للتدرج فيه، ويختار برنامج إلكتروني ممكنن أسماء المحامين، ويلزمهم بتسجيل هؤلاء المتدرجين من جهة أخرى، في ما يتعلق بالأتعاب ، لا يمكن لمهنة المحاماة أن تترك متدرجيها تحت تسلط المحامي المدرّج. ينبغي للنقابة أن تضع حداً أدنى للأتعاب المتوجبة لهؤلاء المحامين المتدرجين، قد يكون متصلاً بعدد الجلسات أو بمكان انعقادها، ويحدد بدلاً متحركاً للنقل. فالمحامي العامل الذي يتقاضى أتعابه من موكله يلحظ هذه المصاريف ولا يجوز أن يثري على حساب المتدرج.

(انجلا بوليغان)

المادة 5
من قانون تنظيم مهنة المحاماة

بعد تحصيل شهادة الحقوق اللبنانية، يحق لكل لبناني (منذ اكثر من 10 سنوات)، يتمتع بسيرة توحي الثقة والاحترام، وغير محكوم عليه جزائيا او تاديبيا، ان يسعى للتسجيل في نقابة المحامين

المادة 12
من قانون تنظيم مهنة المحاماة

على المحامي المتدرج الذي يطلب تسجيل اسمه في نقابة المحامين ان يعين في طلبه اسم المحامي الذي يرغب التدرج في مكتبه وان يبرز وثيقة تثبت موافقة هذا المحامي على قبوله متدرجاً في مكتبه

كيف نحمي البيانات الشخصية؟

طلبت الحكومة من اللبنانيين التسجيل على منصة خاصة للاستفادة من البطاقة التمويلية ومنصة اخرى للتلقيح ضد جائحة كورونا وغيرها من المنصات التي يتم الطلب فيها من المواطن حفظ معلومات ومستندات هامة ومنها رقم الهوية ونسخة عنها أو رقم جواز سفره وتم التداول في وزارة الاتصالات مؤخرا بشأن الاستفادة من بيانات مشتركي الهاتف الخليوي في حين لم تتطرق اي من الحكومات المتعاقبة إلى موضوع الحماية التي يسبغها القانون على هذه البيانات التي لا يجوز التصرف بها إلا بموافقة صاحبها في حين تتجاهل الحكومة هذه الحماية التي نظمها قانون المعاملات الإلكترونية والبيانات ذات الطابع الشخصي والذي تضمن احكاماً تسهل المعاملات الرسمية والخاصة وتحمي الاعمال الإلكترونية والبيانات ذات الطابع الشخصي وتنص على عقوبات جزائية على المخالفين

(القوس)

■ صادق علوية

في العام 2021 وإثر صدور قانون البطاقة التمويلية أصدرت اللجنة المختصة في مجلس الوزراء قرار تحديد آلية ومعايير تطبيق القانون رقم 230 الصادر في 16 تموز 2021 المتعلق بالبطاقة الالكترونية التمويلية، وقد تضمّن القرار رقم 5/ق م/2021 في مادته الخامسة عشرة وتحت عنوان: "حماية خصوصية المعلومات" أنه "تُعتمد قواعد الخصوصية وامن البيانات المعمول بها في جميع مراحل تنفيذ المشروع وفقا لإرشادات النظام الأوروبي العام لحماية البيانات المعتمد من قبل الإتحاد الأوروبي، ويراقب التفتيش المركزي الإلتزام والتأكد من اعتمادها". ففي الوقت الذي تستند فيه الحكومة الى معايير الاتحاد الأوروبي التي ليس للقضاة الحق بالاستناد إليها في أي نزاع كونها ليست جزءا من التشريع اللبناني، تتجاهل القانون اللبناني علما أن المجلس النيابي قد أقر في العام 2018 قانون المعاملات الإلكترونية والبيانات ذات الطابع الشخصي (القانون رقم 81 الصادر بتاريخ 2018/10/10 والذي تم نشره في الجريدة الرسمية العدد 45 - الصادرة بتاريخ 2018/10/18) ومنذ ذلك الحين لم تقم الحكومات بأية خطوة لتطوير المعاملات او لتعزيز حماية البيانات الشخصية للمقيمين، بل تجاهلته في كل قراراتها اللاحقة، وما استناد قرار الية البطاقة التمويلية الى معايير الاتحاد الأوروبي إلا مثالٌ صارخٌ عن هذا التجاهل في حين أن كل ما نص عليه القانون من مراسيم وأنظمة تطبيقية لم تصدر باستثناء قرار وزير الاقتصاد السابق حول تنظيم اجراءات التصريح عن جمع ومعالجة وتعديل البيانات ذات الطابع الشخصي وكيفية نشرها بموجب القرار رقم 59 تاريخ 2020/05/11 وما عدا ذلك بقي حبرا على ورق، رغم أن الحكومة نفسها قد سمحت بموجب هذا القانون للشركات بتقديم طلبات الاشتراك عبر الانترنت في دورة التراخيص الثانية في المياه البحرية لاستكشاف وانتاج النفط وذلك عبر شبكة الإنترنت بالاستناد الى قانون المعاملات الالكترونية والبيانات ذات الطابع الشخصي حيث عدّلت بعض مواد دفتر الشروط الخاص بدورات التراخيص في المياه البحرية بموجب المرسوم 2020/6437 لتجيز لنفسها حق الاستفادة من هذا القانون دون أن تقوم باستصدار المراسيم التطبيقية لعموم معاملات المواطنين .

يتضمن قانون المعاملات الإلكترونية والبيانات ذات الطابع الشخصي احكاما تسهّل المعاملات الرسمية والخاصة وتحمي الأعمال الالكترونية وتنظمها حيث يتضمّن الباب الخامس من هذا القانون بابا كاملا تحت عنوان حماية البيانات ذات الطابع الشخصي في المواد 85 لغاية 93 منه .

عرّف القانون البيانات ذات الطابع الشخصي بأنها : جميع انواع المعلومات المتعلقة بشخص طبيعي التي تمكّن من التعريف به، على نحو مباشر أو غير مباشر، بما في ذلك عن طريق مقارنة المعلومات المتعددة المصادر او التقاطع فيما بينها

تضمن باب حماية البيانات ذات الطابع الشخصي – الباب الخامس من القانون :فصلا خاصا بالأحكام العامة وفصل يتعلق بتجميع المعلومات ذات الطابع الشخصي ومعالجتها في حين تناول الفصل الثالث منه الإجراءات المطلوبة لوضع المعالجات قيد التنفيذ اضافة الى حق الوصول والتصحيح في الفصل الرابع منه وكانت الأحكام الجزائية لمخالفة هذا القانون منصوص عنها في الفصل الخامس من هذا الباب وتضمن الباب السادس: الجرائم المتعلقة بالأنظمة والبيانات والبطاقات المصرفية وتعديلات على قانون العقوبات والمحاكمات كما يقتضي على مقدمي الخدمات التقنية التعاون مع القضاء المختص والمراجع المنصوص عنها في القانون الذي يرمي الى صون الحق بسرية المخابرات التي تجرى بواسطة اية وسيلة من وسائل الاتصال لإظهار الحقيقة في كل تحقيق يجريه القضاء او في كل دعوى عالقة امامه وعلى مقدم الخدمات التقنية، بناءً لقرار المرجع القضائي المختص أن يزوده فوراً بالمعلومات المتعلقة بحركة البيانات وبالبيانات التقنية الأخرى المنصوص عنها في القانون، وان يخولها الوصول الى المعلومات المذكورة وفقاً للوقت الحقيقي (real time) لأي عملية اتصال عابرة عبر شبكته.

ويعتبر اخلال مقدم الخدمات التقنية في حدود مقتضيات التحقيقات بهذه الموجبات جنحة يُعاقب عليها بالحبس من ثلاثة الى ستة اشهر وبالغرامة من عشرة الى خمسين مليون ليرة لبنانية او بإحدى هاتين العقوبتين.

> **لم تقم الحكومات بأية خطوة لتعزيز حماية البيانات الشخصية للمقيمين**

وينص القانون أيضا على أن تُحدد آلية حفظ المعلومات المتعلقة بحركة البيانات وماهية هذه المعلومات او محوها، وذلك بموجب مرسوم يتخذ في مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير العدل وهو الأمر الذي لم يصدر بعد .

على المسؤول عن معالجة البيانات ذات الطابع الشخصي ان يتخذ جميع التدابير، في ضوء طبيعة البيانات والمخاطر الناتجة عن المعالجة، لضمان سلامة البيانات وامنها ولمنع تعرضها لتشويه او تضررها او وصولها الى اشخاص غير مخولين الاطلاع عليها.

> **الحق بالمراجعة**
>
> لصاحب البيانات ذات الطابع الشخصي أو لأي من ورثته مراجعة المحاكم المختصة، لا سيما قاضي الأمور المستعجلة، وفقاً للأصول النزاعية، لضمان ممارسة حق الوصول والتصحيح ولتقرير الالتزام بتطبيق أحكام هذا الباب في ما خص البيانات ذات الطابع الشخصي المتعلقة به. عندما تتعلق المعالجات بأمن الدولة الداخلي أو الخارجي، لا يمكن اطلاع صاحب البيانات ذات الطابع الشخصي على بياناته موضوع المعالجة إذا كان ذلك يعرّض غاياتها أو أمن الدولة الداخلي أو الخارجي للخطر.

لا تقدموا البيانات الشخصية إلا إذا ...

لا يحق لأي كان أن يقوم بتجميع بيانات الكترونية من المواطنين مباشرة دون تحديد صفته لهم، وعليه إبلاغهم بهدف معالجته لهذه البيانات وإبلاغهم بالأشخاص الذين سترسل اليهم هذه البيانات. فإذا طلبت شركة ما من المواطنين تعبئة بيانات شخصية عنهم عبر موقعها الالكتروني باستمارة مثلا، يتوجب على المسؤول عن معالجة البيانات ذات الطابع الشخصي إعلام الاشخاص الذين تستقى منهم البيانات ذات الطابع الشخصي بما يلي:

1- هوية المسؤول عن المعالجة او هوية ممثله.
2- اهداف المعالجة.
3- الطابع الالزامي او الاختياري للإجابة على الاسئلة المطروحة
4- النتائج التي قد تترتب على عدم الاجابة.
5- الاشخاص الذين سترسل إليهم البيانات.
6- حق الوصول الى المعلومات وتصحيحها والوسائل المعدة لذلك.

يجب ان تتضمن الاستمارات المستعملة لجمع البيانات إيراداً صريحاً وواضحاً للمعلومات الستة المذكورة.

الجرم	العقوبة
الإخلال بحفظ البيانات أو عدم التعاون مع القضاء	جنحة يُعاقب عليها بالحبس من ثلاثة إلى ستة أشهر وبالغرامة من عشرة الى خمسين مليون ليرة لبنانية أو بإحدى هاتين العقوبتين
الولوج غير المشروع إلى نظام معلوماتي	يعاقب بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنتين وبالغرامة من مليون إلى عشرين مليون ليرة لبنانية أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من أقدم، بنية الغش، على الوصول أو الولوج إلى نظام معلوماتي بكامله أو في جزء منه أو على المكوث فيه. تشدد العقوبة إلى الحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات والغرامة من مليونين إلى أربعين مليون ليرة، إذا نتج عن العمل إلغاء البيانات الرقمية أو البرامج المعلوماتية أو نسخها أو تعديلها أو المساس بعمل النظام المعلوماتي.
التعدي على سلامة النظام	يعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات وبالغرامة من ثلاثة ملايين إلى مئتي مليون ليرة لبنانية أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من أقدم، بنية الغش وبأي وسيلة على إعاقة عمل نظام معلوماتي أو على افساده.
التعدي على سلامة البيانات الرقمية	يعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات وبالغرامة من ثلاثة ملايين إلى مئتي مليون ليرة لبنانية أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من أدخل بيانات رقمية، بنية الغش، في نظام معلوماتي وكل من ألغى أو عدّل، بنية الغش، البيانات الرقمية التي يتضمنها نظام معلوماتي.
إعاقة أو تشويش أو تعطيل	كل من أعاق أو شوّش أو عطل قصداً وبأي وسيلة، عن طريق الشبكة المعلوماتية أو أحد أجهزة الحاسب الآلي وما في حكمها، الوصول إلى الخدمة أو الدخول إلى الأجهزة أو البرامج أو مصادر البيانات أو المعلومات يعاقب بالحبس من ثلاثة أشهر إلى سنتين وبالغرامة من مليونين إلى ثلاثين مليون ليرة لبنانية أو بإحدى هاتين العقوبتين.
إساءة التصرف بالأجهزة والبرامج المعلوماتية	يعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات وبالغرامة من ثلاثة ملايين إلى مئتي مليون ليرة لبنانية أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من استورد أو أنتج أو حاز أو قدّم أو وضع في التصرف أو نشر، دون سبب مشروع، جهازاً أو برنامجاً معلوماتياً أو أي بيانات معدة أو مكيفة، بهدف اقتراف أي من الجرائم المنصوص عليها في الفصل المتعلق بالأنظمة والبيانات المعلوماتية

فاووش

يكاد لا يمر اسبوع على خبر وفاة أحد السجناء إلا وتأتي فاجعة وفاة آخر. الظروف داخل سجون لبنان الـ 24 تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم. تزايدت صعوبة السجناء في التواصل مع ذويهم بسبب ارتفاع كلفة استعمال وسائل النقل مما يعقد زياراتهم، والغلاء المعيشي وارتفاع كلفة الاستشفاء وأسعار الأدوية (إذا وجدت) وتفشي الأمراض والأوبئة ووجود عقبات عديدة لإيجاد الحلول المناسبة، يزيد من معاناة الناس خلف القضبان حيث يتمدد الرعب من شبح الموت

شبح الموت خلف القضبان

■ احمد مدلج

خمس حالات وفاة من 1 شباط 2022 إلى 18 شباط 2022. توفي السجين إيلي مسلم في أول أسبوع من شهر شباط 2022 في السجن، بعد ذلك توفي السجين رياض حريراتي في 9 شباط 2022 في المركز الطبي. وفي 11 شباط 2022 توفي السجين إبراهيم طويريج بعد أن نُقل إلى المستشفى. وتسبب مرض السل بوفاة السجين طارق أبو العينين في 14 شباط 2022. أما السجين يوسف الحسن فتوفي في 18 شباط 2022.

يشكو السجناء وذووهم من الإهمال الطبي وعدم قدرة إدارة السجن على تأمين الدواء، يدّعون أن ذلك هو السبب الرئيسي الذي أدى إلى وفاة السجناء الخمسة. أما قيادة فرع السجون في وحدة الدرك الإقليمي، فأكدت لـ «القوس» أن أسباب وفاة هؤلاء السجناء في السجون تعود للمشاكل الصحية التي كانوا يعانون منها، وليس بسبب أي تقصير من قبل إدارة السجون. فالمديرية العامة لقوى الأمن الداخلي تواجه «تحديات صعبة» في تأمين حاجات ضباطها وعناصرها ومراكزها الطبية.

وتتحدث جمعيات عاملة في السجون لـ «القوس» عن صعوبات في عملية زيارة الأطباء للسجون لمعاينة السجناء المرضى. ولا شك ان تراجع تامين العديد من الأدوية يفاقم المشاكل ويؤدي الى تدهور الوضع الصحي للسجناء المرضى ومدمني المخدرات الذين يخضعون للعلاج.

على أي حال، فُتح تحقيق قضائي لتحديد أسباب وفاة السجناء، ووضعت تقارير الطب الشرعي لكل منها. وقد يطلب القضاء التوسّع في التحقيق لتحديد الأسباب الطبية الدقيقة للوفاة، وعلى المحققين القضائيين تحديد ما

> **ينبغي على الأطباء أن يزوروا السجن ثلاث مرات على الاقل في الإسبوع، ويجروا فيه تفتيشاً صحياً شاملاً**

إذا كان سبب الوفاة يتعلق بتقصير جنائي، أم بظروف قاهرة من دون أي نوايا جنائية أو تقصير مقصود. ويفترض أن يبقى التحقيق سرّياً لحين ختمه بعد جمع كامل المعطيات وتحليلها.

القانون يداوي

تناول مرسوم تنظيم السجون (المرسوم رقم 49/14310) حقوق السجناء بنقلهم بأمر من قائد السجن بناء على رأي الطبيب إلى "حبس المستشفى" (غير المتوفر حالياً)، وعليه أن يتخذ جميع التدابير اللازمة للمحافظة عليهم (مادة 20). كما ورد في المرسوم الحق بزيارة طبية حيث ينبغي على الأطباء أن يزوروا السجن ثلاث مرات على الأقل في الاسبوع، ويجروا فيه تفتيشاً صحياً شاملاً، وأن يتخذوا جميع التدابير الواقية من الامراض الوبائية، وأن يعتنوا بأمر المرضى ويزوروهم كلما دعت الحاجة إلى ذلك. ويُستشارون في الأمور الصحية وخواص المأكولات التي يقدمها المتعهدون، التي تباع في الحانوت، وعليهم أن يدونوا كل ملاحظاتهم (مادة 53).

أما بالنسبة للمعايير الدولية، فقد نصت قواعد الأمم المتحدة النموذجية الدنيا لمعاملة السجناء (قواعد نيلسون مانديلا) على مسؤولية الدولة في توفير الرعاية الصحية للسجناء. ويفترض أن يحصل السجناء على نفس مستوى الرعاية الصحية المتاح في المجتمع، كما يفترض أن يكون لهم الحق في الحصول على الخدمات الصحية الضرورية مجاناً، من دون تمييز على أساس وضعهم القانوني. ولا بد ان تنظم الخدمات الصحية في السجون من خلال علاقة وثيقة بالإدارة العامة للصحة العمومية وبطريقة تضمن استمرارية العلاج والرعاية، بما في ذلك ما يخص فيروس نقص المناعة البشرية والسل والأمراض المعدية الأخرى (قاعدة 24 فقرة 1 و2).

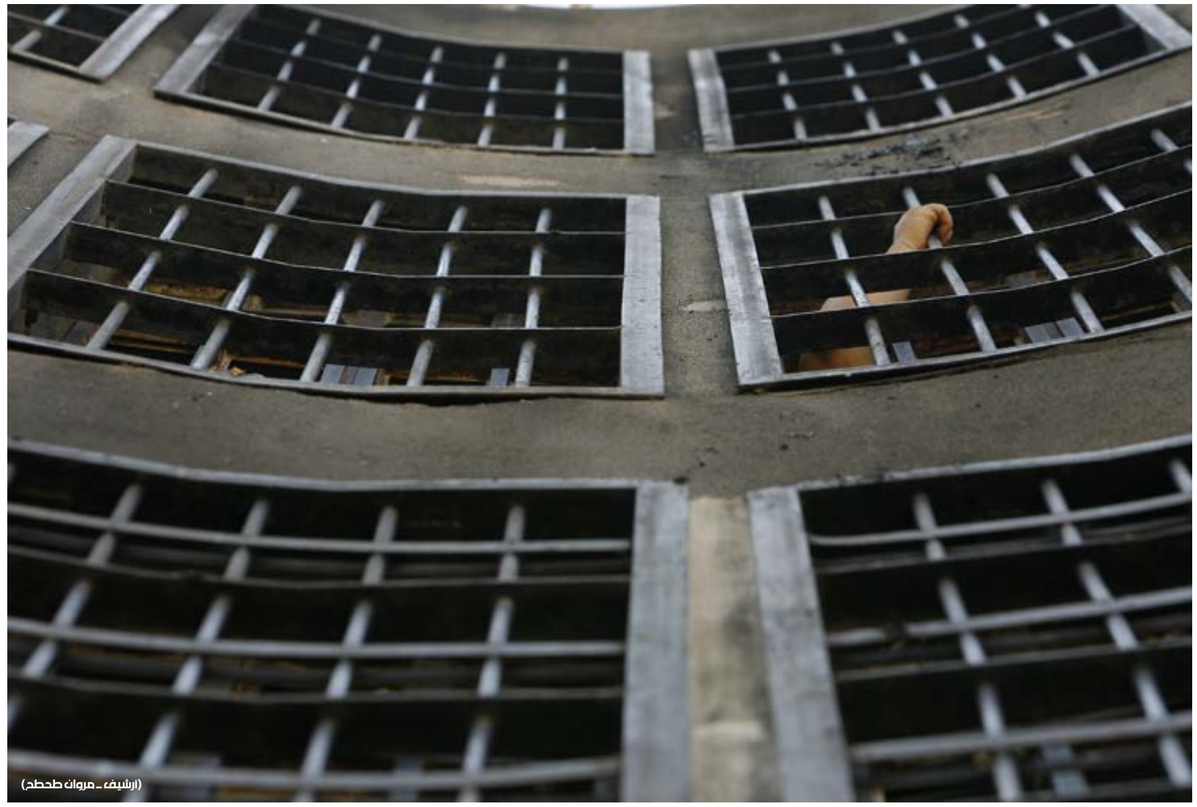
(الأرشيف - مروان طحطح)

دواء السلّ بـ 300 ألف ليرة

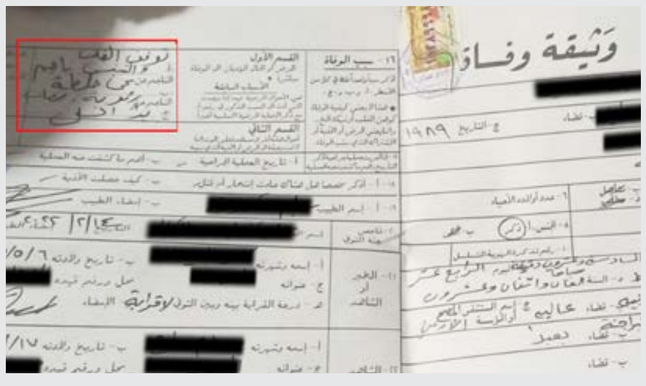

مرض السل نوعان: السل الكامن أو السل غير النشط، أي الذي لا تظهر عوارضه على حامله ولا يسبب عدوى من خلال الرذاذ والنفس.

من بين الأدوية المعتمدة لمعالجة مرض السل الـ "ISONIA-ZID" و"RIFAMPIN"، بحسب أحد الأطباء المختصين ويمكن تأمين هذه الادوية عبر وزارة الصحة. كلفة العلبة الواحدة (تحتوي على 100 حبة) حوالي 300 ألف ليرة لبنانية بحسب وزارة الصحة.

قد تمتد فترة العلاج من شهرين إلى سنة، وقد يؤدي التوقف عن العلاج بعد فترة قصيرة إلى تفوّق البكتيريا على الدواء ما يزيد خطورة داء السل وصعوبة علاجه. فعزل المريض وتأمين العلاج من دون انقطاع هو الحل الانسب لمعالجة السل. لكن كيف يمكن تأمين العلاج المتواصل في ظل عدم توفر الأدوية وتجنب العدوى في سجون مكتظة؟

تحت القوس

إدارة السجون اختصاص مهني

■ عمر نشابة

للعقوبات القانونية المانعة للحرية ثلاثة اهداف أساسية:
- الردع العام والخاص عن ارتكاب الجرائم وتكرارها.
- حماية المجتمع من أفعال جرمية ارتكبها شخص محدّد.
- اصلاح السلوك الجنائي لهذا الشخص تمهيداً لإعادته الى المجتمع.

وبالتالي ان مهمة إدارة السجون لا تقتصر على الحراسة وعلى تنظيم عملية احتجاز الأشخاص المحكومين والأشخاص الموقوفين قبل محاكمتهم (ويفترض ان يبقى هؤلاء خارج السجن الا في حال تشكيلهم خطر مباشر على المجتمع وعلى مسار المحاكمة). بل لا بد من قيام مؤسسة متخصصة مهنياً بتحقيق اهداف العقوبة.

قوى الامن الداخلي هي أكبر مؤسسات الضابطة العدلية. وقد كلّفت مؤقتاً منذ قيام الجمهورية اللبنانية بإدارة السجون وحراستها غير ان ذلك ليس من اختصاصاتها. ويشكل ذلك تحدياً صعباً لقوى الامن وعبئاً لطالما شكت منه وزارة الداخلية والبلديات.

مشاكل السجون تتفاقم يوماً بعد يوم ويعاني السجناء وذويهم ويعاني معهم عناصر قوى الامن.

في وزارة العدل مديرية للسجون يتمتع فيها قضاة وموظفون بكامل المعرفة والكفاءة لتولي وظيفة إدارة السجون مهنياً ولتحقيق الأهداف التي وضعها المشرّع. هذه المديرية تحتاج الى اهتمام أكبر من قبل الحكومة كما تحتاج الى الموارد المادية والبشرية اللازمة لبداية توليها إدارة السجون. قد لا يعد ذلك من الاولويات في ظل الازمات التي يمر بها لبنان لكن لا يحق لدولة ان تتخلى عن مسؤولياتها تجاه آلاف البشر الموجودين في عهدتها.

روايات خلف القضبان

تقطيب الفم

في وقفة تضامنية مع المبنى «باء» حيث السجناء المضربون عن الطعام والماء والدواء، قام بعض السجناء في مبنى «الأحداث» في سجن رومية بتقطيب شفاههم مطالبين بالعفو العام نظراً لتفاقم الأوضاع الصحية في السجون وعدم القدرة على تأمين الدواء والاستشفاء.

بورصة الحانوت

المنتج	السعر ل.ل.	المنتج	السعر ل.ل.
سيجرز ورق سيلفر	10,000	كزبرة	3,500
بيض كرتونة	95,000	حليب سميدس	122,750
لحمة ناعمة كيلو	137,000	زيتون بولس كيلو	51,500
رز مصري	25,000	جبنة 400 غرام	30,000
سميدس 8 قطع	14,390	دواء غسيل صغير	13,300
بطاطا	15,000	محارم صغيرة	18,860
بندورة بلدي	15,000	مياه ريم كبيرة صندوق	31,750
فروج	66,000	كبايات بلاستيك	37,000
جوانح	59,000	سكر كيلو	23,500
ملوخية 200 غرام	39,000	حامض	10,000
جزر	9,600	كرانش شوكولا	11,000
سجق	185,000	سردين	19,000

هذه الاسعار تقريبية ويمكن ان تتغير بين يوم وآخر. وقد تختلف عن اسعار الحوانيت في السجون الاخرى.

◆ المختبر الجنائي

تشمل الإساءة الجنسية للاطفال جميع اشكال سوء المعاملة الجسدية والعاطفية التي تؤدي إلى إحداث ضرر فعلي لصحة الطفل وحياته ونموه وكرامته. للفحص الجنائي الشامل والدقيق أهمية كبيرة في التحقيق الكامل في مثل هذه القضايا، وبناء مقاضاة فعّالة في المحكمة. واجب الخبير تفسير الآثار الموجودة على جسد الضحية وجمع العينات وتحليلها، لاسيما من خلال التقيد الوثيق بالبروتوكولات والإجراءات التي تحافظ على جميع الادلة التي من شأنها أن تعزز قيمة التقييم الجنائي للعنف الجنسي

وراء الصمت خوف من «الفضيحة»
انتبهوا من «عمّو»

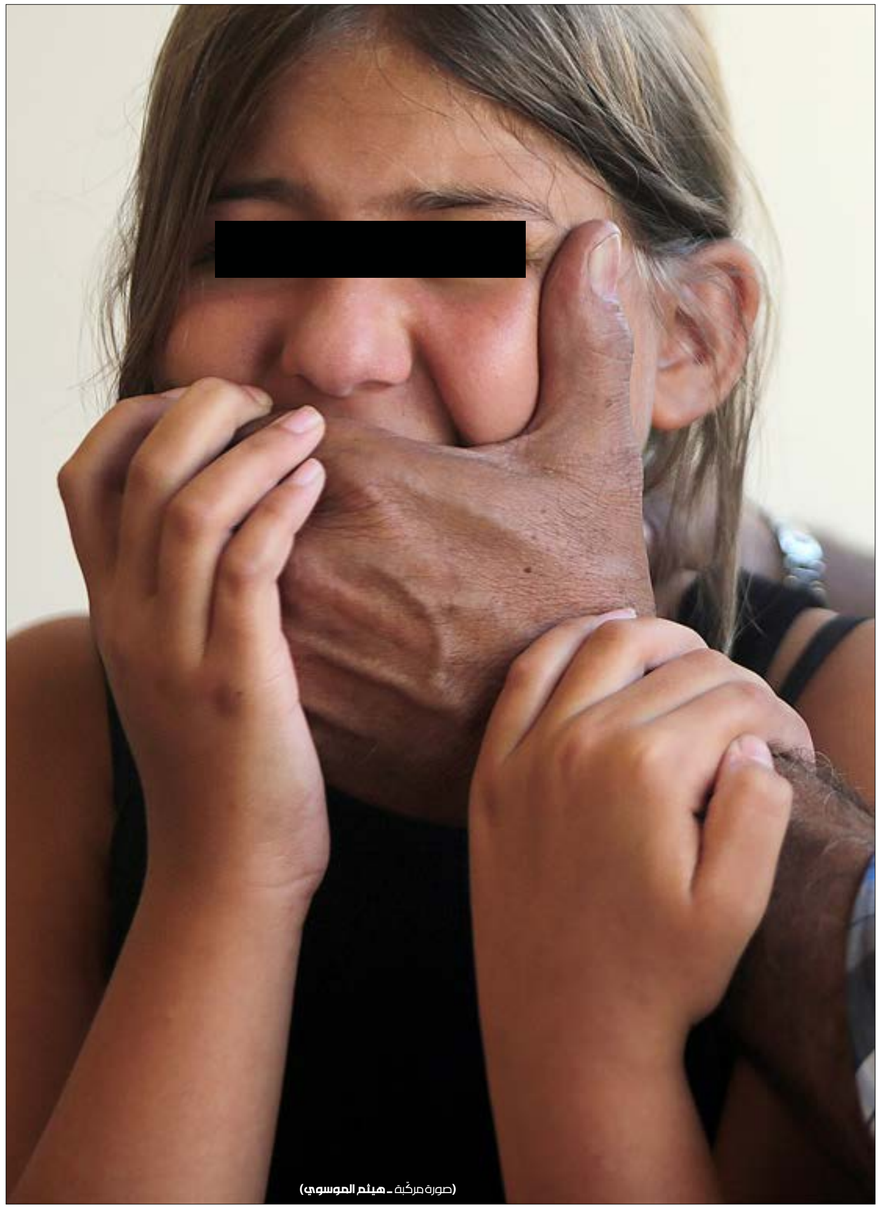
(صورة مركّبة ـ هيثم الموسوي)

■ جنان الخطيب

«كنت لابسة بلوزتي الصفرا يلي عليها فراشة، بس ناسية أي بنطلون كنت لابسة. كل يلي بتذكرو اني كنت كتير مشوشة وكان بس بدي اضهر من غرفة جدو وارجع كفي الرسوم المتحركة يلي كنت عم احضرها». هذا ما قالته سمر، ابنة السبعة أعوام لشقيقتها.

الأطفال رمز البراءة الذين كنا نعتقد أنهم بمأمن من المنحرفين، وبأنهم، بالنسبة إلى الجميع، جسد صغير طاهر لا يمكنه أن يشكّل أبداً ثمناً للمتعة أو الاشتهاء الجنسي، إلى أن بدأنا نشهد سلسلة من جرائم الاغتصاب والتحرش، تحوّل الأطفال فيها الى ضحايا. «هتك عرض»، كما يرد في التقارير الجنائية، وأصبح فاعلوها جناة في أرشيف محاضر الاغتصاب.

تشمل الإساءة الجنسية للأطفال جميع أشكال سوء المعاملة الجسدية والعاطفية، التي تتراوح بين مشاهدة وملامسة أجزاء من جسم الطفل، والاتصال الفموي، وعرض مواد إباحية أو استخدام طفل في إنتاج مواد إباحية، وصولاً إلى الاغتصاب الجنسي الكامل، ما يؤدي إلى ضرر فعلي لصحة الطفل وحياته ونموه وكرامته.

يعد «سفاح القربى»، أي الإساءة الجنسية

> **عادة ما تكون اولى خطوات التحرش التقرب من الطفل واستمالته من خلال تقديم الالعاب او الحلوى**

للأطفال من أفراد الأسرة، والأشخاص المعروفين للطفل، أكثر أنواع الاعتداء الجنسي شيوعاً. تشمل الدائرة أي شخص لديه سلطة على الطفل، أي أفراد الأسرة المباشرون والممتدون: جليسات الأطفال، معلمو المدارس، أو رجال الدين وغيرهم. يكون التقرب من الطفل واستمالته من خلال تقديم الألعاب أو الحلوى أولى خطوات التحرش.

من ناحية أخرى، يكون الخوف من «الوصمة» أو «الفضيحة» شعوراً تشترك فيه عائلات الأطفال المعتدى عليهم، فيتراجع كثير منهم عن تبليغ الجهات الرسمية. في محاولات لـ «حفظ وحدة العائلة» يخضع الطفل للتهديد حتى ينكر الحادثة، وهنا يكمن سر استمرارية الإساءة وعدم القدرة على حماية الطفل من تكرار الحادثة. ولذلك، يصعب توثيق الاعتداء الجنسي بين أفراد الأسرة ومعالجته، إذ يجب حماية الطفل من الإيذاء الإضافي والإكراه على عدم الكشف عن الإساءة أو إنكارها، كي تتوقّف محاولات الإنكار التي يتذرّع بها أفراد الأسرة.

سفاح القربى ناقوس خطر

يجب توخي الحذر من شخص بالغ يقضي بعض الوقت مع الأطفال ويعرض السلوكيات التالية:

- لا يحترم الحدود أو يستمع عندما يخبره أحدهم بـ (لا).
- المشاركة في لمس الأطفال .
- يحاول أن يكون صديق الطفل بدلاً من ملء دور الكبار في حياة الطفل .
- التحدث مع الأطفال حول مشاغلهم أو علاقاتهم .
- يعطي هدايا للطفل من دون مناسبة أو سبب.
- يعبّر عن اهتمام غير طبيعي بالتطور الجنسي للطفل

الفحص الجنائي الشامل

للفحص الجنائي الشامل والدقيق أهمية كبيرة في التحقيق الكامل في مثل هذه القضايا، وبناء مقاضاة فعّالة في المحكمة. أضف إلى ذلك، أن حماية الطفل المعتدى عليه جنسياً من أي صدمة عاطفية إضافية أثناء الفحص البدني لها أهمية كبيرة.

يصعب اكتشاف جرائم التحرش لأن معظم حالات التحرش بالأطفال تقع من أشخاص لهم صلة بالطفل. أضف إلى ذلك أن نسبة ظهور علامات جسدية في ضحايا التحرش لا تتجاوز 20% من الحالات، بالمقارنة مع جرائم الاغتصاب. ففي جرائم الاغتصاب يمكن تواجد كميات وفيرة/كافية من الحمض النووي الموجود في السائل المنوي للمعتدي، والعلامات الفيزيائية على جسد الضحية تكون على سبيل المثال لا الحصر تمزق غشاء البكارة، تشققاً في منطقة الشرج، آثار العراك، إلخ. خلافًا لذلك، في حالات التحرش تكون كمية الأدلة قليلة جداً في حال وجودها أساساً، لأنّ التحرش يكون عبر ملامسة الأعضاء التناسلية للضحية. هنا تكمن الصعوبة لدى الخبير الجنائي الذي يبدأ بالبحث عن أي آثار أو أذيات في جسد الطفل. لذلك، ينصب اهتمام الخبير الجنائي على البحث عن وجود أدلة أثر (Trace Evidence) كشعر العانة، والأدلة سريعة الزوال (Transient Evidence) كعلامات العض، بغية توثيقها وتحليلها. تشمل المعاينة الجنائية فحص الجسم لكشف آثار الضرب والعض والخدش، مع إيلاء اهتمام خاص للفم والثدي والأعضاء التناسلية والشرج. الشاغل التالي للخبير هو جمع الأدلة البيولوجية، بشرط أن يكون الانتهاك الجنسي قد حدث خلال الـ 72 ساعة الماضي، وكذلك يعاين الخبير الملابس وأي مادة ملتصقة بالجلد مثل الألياف أو النباتات.

أثناء المعاينة، يقيس الخبير العضات وتصويرها بعناية للسماح بمطابقة أسنان المعتدي المزعوم أو استبعادها، وأخذ عينات لعابية منها إذا كانت حديثة الوقوع. كما توفر التقنيات الجنائية أدلة داعمة كما يحدث في حال وجود شعر العانة بين أرداف طفل ما قبل البلوغ. وبالمقابل، يجري الخبير تحليلاً للدم والبول في حالة تعرض الطفل للإيذاء أثناء تأثير المخدرات، وكذلك اختبار الحمل عند الفتيات في سن الإنجاب.

غالباً ما يتم تشخيص الإساءة الجنسية للأطفال بناءً على أدلة مختلفة، لا سيما الدليل الجنائي. ونادراً ما يكون الفحص البدني وحده تشخيصياً من دون وجود ظروف نفسية، واجتماعية، وظروف مرتبطة بتاريخ العائلة.

واجب الخبير تفسير الآثار الموجودة على جسد الضحية وجمع العينات وتحليلها، لاسيما من خلال التقيد الوثيق بالبروتوكولات والإجراءات التي تحافظ على جميع الأدلة التي من شأنها أن تعزز قيمة التقييم الجنائي للعنف الجنسي. فالانتباه إلى جميع التفاصيل وتوثيقها يضمن تحقيق مقاضاة أكثر فعالية للمعتدي.

أخطاء شائعة

الخطوات المتبعة أثناء سير عملية التحقيق في الجريمة لا تتم وفقاً للمعايير الدولية، بل تشوبها عيوب خطيرة. وسواء كان ذلك بسبب نقص القدرات أو الالتزام، فإن الفشل في تنفيذ أهم المهام الأساسية في إدارة مسرح الجريمة وحمايته بات حتمياً، عدا عن النقص الواضح في الالتزام من جانب السلطات اللبنانية بالتحقيق بالجرائم بشكل فعّال.

ففي حين يجب حماية مسرح الجريمة لتقليل مخاطر تلوث (contamination) وفقدان الأدلة، لا يتم تحديد مسرح الجريمة وعزله بواسطة شريط عازل على كامل الحدود، كما لا يمنع دخول الأشخاص غير المخولين، فنرى الكثير من الفضوليين يتحركون داخل مسرح الجريمة. ومن ناحية أخرى، نرى العناصر القائمين بالتحقيق يدخلون المسرح ويجمعون الأدلة من دون لباس عازل وقفازات، بل يتّكئون أحياناً على الأدلة؟

500 مليون

عدد الخلايا الجلدية التي تتساقط من جسدك خلال 24 ساعة فقط. لذلك انتبه! الخبراء الجنائيون قادرون على تحليل الكميات الضئيلة من الحمض النووي المتواجدة في هذه الخلايا ومعرفة أين كنت، وماذا لمست.

معتقلات العدوّ الإسرائيلي في فلسطين المحتلة

اعتقل جنود الإحتلال 8000 فلسطيني عام 2021 من بينهم 1300 قاصر و184 سيّدة

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة، صادق علوية، جنان الخطيب
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
info@alqaous.com
www.alqaous.com
alqaous alqaous22 alqaous 01/34 99 54 صادرة عن شركة أخبار بيروت